فوزي آل سيف

رجال حول أهل البيت

الجزء الثاني

الإمام الباقر عليه السلام

1- زيد الشهيد
2- محمد بن مسلم
3- جابر الجعفي
4- سديف المكي
5- الكميت الأسدي

محمد بن علي الباقر عليه السلام
الإمام أبو جعفر 57- 114 هـ

ولد الإمام الباقر سنة 57 هـ ، وتوفي سنة 114 هـ، وعمره 57 سنة منها 4 سنوات في حياة جده الإمام الحسين عليه السلام ، وبعدها 35 سنة في حياة أبيه السجاد، ومدة إمامته 18 سنة.
عاصر من حكام بني أمية، عبد الملك بن مروان- وهشام بن عبد الملك.
بلغت الفتوحات إلى تلك الفترة أقصى اتساعها، حيث تحول الفتح إلى عمل عسكري مجرّد يهدف الغنيمة الشخصية للقائد أو الخليفة..
يرى بعض محققي التاريخ : أن الفتوحات الأموية هي التي حالت دون نشر الإسلام ، إننا عندما نقارن بين انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا ( ماليزيا واندونيسيا وغيرها ) وبين انحساره عن أوربا ، ماذلك إلا لكون الذين حملوه إلى آسيا أناس مخلصون ، بينما تظاهر بحمله أولئك الفاتحون الذين ساروا وراء الغنائم فكان النتيجة ما رأينا ..

ولكي يتضح الأمر نورد مثالا ذكره الطبري في تاريخه في أحداث سنة 110 هـ : فقد ذكر أن الاشرس السلمي طلب من يفتح ما وراء النهر ، فأشير عليه بأبي الصيداء الذي اشترط أن يخرج على شرط أن من أسلم لا تؤخذ منه الجزية !! فسارع الناس للدين ، فكُتب للوالي الأشرس إن الخراج قد انكسر . فأعاد عليهم الخراج فحدثت ثورة انتهت إلى رجوعهم للوثنية !! في قصة مفصلة تراجع في المصدر المذكور .
وبقدر ما دخلت أراض تحت سيطرة المسلمين، فقد دخلت ثقافات أكثر، حملتها معها الأقوام التي فتحت أراضيها، وشكل ذلك تهديدا خطيرا ، لعقيدة المسلمين، ولعدم قدرة الحاكمين من الخلفاء وأتباعهم على مواجهة هذا التحدي.
بل يمكن القول إن السلطة الأموية كان لها يد في تشجيع الحركات الفكرية المنحرفة الدامية إلى شل حركة المسلمين كالقول بالجبر، أو تلك الهادفة إلى تغييب المسلمين عن الرقابة على الحاكمين كالقول بالإرجاء.
يضاف إلى ذلك أنه كانت الحاجة قائمة، لتفصيل أحكام الدين، وبيان مواقفه، وتشريح أدلته، وتفسير كتابه فكان الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ، الذي تحدث عنه جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قبل ولادته- بأنه يبقر العلم بقراً، هو الوارث لعلم جده، والحافظ لشريعته في مواجهة تلك الأسئلة الحائرة والتحدي الثقافي، كما كان على يده بيان الموقف الصحيح تجاه الحركات الفكرية المختلفة، وعنه انتشر العلم النبوي في العقائد، والتفسير، و الأحكام. فقد أخذ عنه من الأصحاب والرواة ما يزيد على أربعمائة وثمانين شخصا .
أشار على الحكم الأموي بطريقة، تخلص البلاد الإسلامية من الارتهان للروم، إذ كانوا ينقشون على نقودهم عقيدتهم في التثليث، وهذه النقود كانت هي المتداولة عند المسلمين ولما أراد عبد الملك بن مروان تغيير ذلك، ضغط عليه ملك الروم بأنه سوف يأمر بنقش سب النبي، على النقود إن لم ينته عبد الملك عما أراد، فضاق بعبد الملك الأمر. فأشير عليه بأن يبعث إلى الإمام الباقر سائلا، وبالفعل فقد وضع الإمام الباقر خطة لضرب وصناعة النقد في بلاد المسلمين تنتهي إلى الاستغناء عن نقد الروم..
وقد يجد البعض في هذا خلافا لما هو المألوف في الأذهان عن أن الأئمة كانوا معارضين للحكم المنحرف فكيف يقوم الامام υ بهذا العمل الذي من شأنه تقوية ذلك الحكم ؟ ولكن بالنظر إلى فكرة أخرى يزول التعجب ، فإن تراث النبي 1 كان أربعة اشياء :
1/ الدين والشريعة ( التي كان يمثلها القرآن والسنة ) 2/ الإمامة الدينية ( بمعنى وصية النبي للامة باتباع القيادة الربانية المتمثلة في أهل بيته ) 3/ الأمة الإسلامية التي كانت خير أمة أخرجت للناس 4/ الكيان السياسي لهذه الأمة وإن لم يكن رساليا بالكامل ..
والأئمة كانوا يحرسون هذه الأربعة على نحو الاستقلال ، بمعنى أنهم كانوا يهتمون بها

كلها ، وإن لم يستطيعوا رعاية أحدها لسبب أو آخر كانوا يهتمون في الآخر .
أثر عنه من الأحاديث في مختلف فنون المعرفة والعلم أكثر مما أثر عن غيره، وكان ومن بعده ابنه الإمام الصادق عليه السلام فاتحة لنهضة فكرية عظيمة لا تزال آثارها مشهودة حتى اليوم، وتلمس في غنى النصوص الإسلامية، ووفائها بحاجة المسلمين العقيدية ، وقام بتربية العشرات من العلماء والفقهاء .
وإذا اردنا أن نستعرض جانبا من ذلك :
فقد تكلم عن الاعتقاد بوحدانية الله وصفاته : ففي البداية قال : إن الناس لا يزال لهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء .
وينقل ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : بينما محمد بن علي بن الحسين في فناء الكعبة فإذا أعرابي فقال له هل رأيت الله حيث عبدته فأطرق وأطرق من كان حوله ثم رفع رأسه إليه فقال : ما كنت لأعبد شيئا لم أره ! فقال : وكيف رأيته ؟ قال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته بان من الأشياء وبانت الأشياء منه " ليس كمثله شيء " ذلك الله لا إليه إلا هو! فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .
شيء من أحاديثه :
قال عليه السلام ـ كما ذكره في تحف العقول ـ : الإيمان إقرار وعمل . والإسلام إقرار بلا عمل .
وقال عليه السلام : الإيمان ما كان في القلب . والإسلام ما عليه التناكح والتوارث وحقنت به الدماء . والإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان .
وقال عليه السلام : من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئا . ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئا .
وقال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية .
وكما دعا إلى الأخلاقيات والقضايا الأخروية ، فقد دعا بقوله وعمله إلى تصحيح معاش الانسان والحث على العمل ، والكسب ونبذ الكسل والتواكل ، والزعم بأن العبادة والتدين يعني ترك الدنيا ، فعن محمد بن المنكدر أنه كان يقول ما كنت أرى إن على بن الحسين ( ع ) يدع خلفا أفضل من على بن الحسين حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليهما السلام فأردت أن أعظه فوعظني ! فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكان رجلا بادنا ثقيلا وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين فقلت ـ في نفسي ـ سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أما لأعظنه ! فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي ببهر وهو يتصاب عرقا فقلت أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ؟ أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟! فقال ( ع ) لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عزوجل أكف بها نفسي وعيالي عن الناس وإنما كنت أخاف لو جاء الموت وأنا على معصية من معاصي الله تعالى ! فقلت : صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني ..
ولا يعني ذلك الدعوة إلى التكالب على الدنيا والتنافس على عطائها من حله وحرامه وإنما ينبغي أن يكون ذلك من طريق الحلال ، فقد فرض الله للخلائق نصيبهم من الحلال ، ولن يصيبوا من الحرام أكثر منه .ولذا فقد حذر الامام υ من التعرض للحرام فقال :
ليس من نفس إلا وقد فرض الله عز وجل لها رزقها حلالا يأتيها في عافية وعرض لها بالحرام من وجه آخر فإن هي تناولت شيئا من الحرام قاصها به من الحلال الذي فرض لها وعند الله سواهما

فضل كثير وهو قوله عز وجل : ( واسألوا الله من فضله )
وأكد υ على مواصلة المؤمنين بعضهم بعضا فقال :
أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة وإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ، ثم باهى بهما الملائكة ، فيقول : انظروا إلى عبدي تزاورا وتحابا فيَّ ، حقٌّ عليَّ ألا اعذبهما بالنار بعد هذا الموقف ، فإذا انصرف شيعه الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه ، يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل فإن مات فيما بينهما اعفي من الحساب .

انتقل إلى جوار ربه ـ مسموما على المشهور ـ في المدينة المنورة سنة 114 هـ .

## 1- زيد بن علي بن الحسين عليه السلام
## أبو الحسين
## العمر: 43 سنة
## الوفاة: سنة 121 هـ شهيداً

" رحم الله عمي زيدا.. انه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، وقد استشارني في أمر خروجه.. "

الإمام الصادق عليه السلام

صلى الفجر، وجلس للأذكار والتعقيبات على عادته في كل يوم،حتى تطلع الشمس..
وبعد قراءة تلك الأذكار والأدعية، جاءه البشير بأن مولودا قد ولد له للتوّ..- الحمد لله رب العالمين، وهل أفضل من الولد في زمن جرّد فيه الأمويون سيف عداوتهم، وليستأصلوا نسل أمير المؤمنين عليه السلام ؟! لا يزال يرن في أذنيه ذلك الفحيح الذي أطلقه جيش عمر بن سعد وهو يزحف على خيام الحسين: لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية.. أرادوا وأراد الله، ولا رادّ لإرادته !!.

أرادوا استئصال هذه الذرية. فوضع الله عليها يد بركته فإذا بها تملأ الأرض رجالا ثائرين، وأئمة هادين، وعلماء صالحين...

بعد أن علت الشمس وقدم الأصحاب يهنئون زين العابدين علي بن الحسين بمولوده الجديد، التفت إليهم:

- أي شيء ترون أن أسمي هذا المولود ؟!.

أترى أن الإمام عليه السلام كان متحيرا في تسمية المولود ؟! أم كان يريد أن يكشف للحاضرين عن المستقبل الذي سيصنعه هذا الوليد ؟!.

في جوابهم كان الاختلاف، فبعضهم اقترح أحد أسماء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وإذا كان أخوه الباقر قد سمي محمدا فليكن اسم هذا أحمد مثلا، والآخر فضل اسم جده الحسين، وهكذا قال كل كلمته.. قطع الإمام حبل نزاعهم مناديا:

- يا غلام علي بالمصحف!.

وتوجه إلى القبلة متفائلا بالقران، وفتحه فإذا بالآية في رأس الصفحة: (( وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما )) أطبقه وفتحه أخرى فإذا في رأس الصفحة (( إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم )) بان السرور على وجه الإمام وقال لأصحابه: هو والله زيد، هو والله زيد .

هكذا فتح زيد عينيه على الحياة، وقد خط الله سبحانه وتعالى قدر حياته الجهادية ورضيه لزيد.. وعاش زيد في ظل أبيه السجاد مدة (17) عاما، ملاحظاً نبع الحزن الذي لا يجف في قلب أبيه، ومتأثرا بالعين الدامعة أبدا، فلونت تلك الملاحظة لوحة حياته.

لقد عاش زيد مأساة كربلاء في البكاء اليومي المستمر لوالده، وفي تداعي المعاني الدائم الذي كان يتم، فإذا ذهب والده إلى السوق. فإن منظر القصاب الذي يسقي الكبش قبل ذبحه. يتحول إلى مغناطيس يستجلب كل مناظر الشفاه الذابلة ظماً في كربلاء. إلى ذهن أبيه، لماذا اشتعلت النار في موقع فلا يرى فيه إلا ألسنة اللهب التي تضطرم بأخبية نساء أبيه في يوم الطف.. وهكذا كانت كربلاء الحاضرة معه أبدا، وفي كل موقف.

ولم يكن هذا هو العامل الوحيد الذي يصبغ حياة أبيه بلون الحزن والدمعة الساخنة.. لقد كان يبكي أكثر عن خشية الله، ولم يصنع ما يستوجب البكاء، ولكنها قلوب أحباب الله تشتعل شوقا إلى لقائه، وتحترق ألما إن لا يعينها الجسد على الانطلاق..

وأخذ الولد من صفات والده تلك ما استطاع، وكان ذلك المقدار كافيا لتأهيله بين الناس إلى درجة الإعجاب الشديد.

وبعد رحيل والده قام بتربيته أخوه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام ، وكان يتوسم فيه كل خير، فقد دخل عليه ذات مرة فلما رآه قال الإمام الباقر عليه السلام (( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله )) ثم قال: أنت والله يا زيد من أهل ذلك.. [1] وكان يقول: اللهم اشدد أزري بزيد.

من أبيه ورث الانقطاع إلى العبادة حتى كان يصلي في نهاره ما شاء الله

فإذا جن عليه الليل نام نومة خفيفة ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله ثم يقوم قائما على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع سجد سجدة ثم يصلي الفجر ثم يجلس للتعقيب حتى يرتفع النهار ثم يذهب لقضاء حوائجه.. وكان يصوم في كل سنة ثلاثة أشهر وفي كل شهر ثلاثة أيام..

وورد منهل أخيه الباقر لعلوم الأولين والآخرين، فعلّ منه ونهل ما استطاع، حتى اشتمل على علم كثير جعله المبرّز بين الهاشميين بعد الصادق عليه السلام .

على الطرف الآخر كان الحكم بيد بني أمية وقد عملوا بوصية أبي سفيان " تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الصبيان بالكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار " وحازوا بذلك التصديق الكامل لنبوءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورؤياه الصادقة للقردة تنزو على منبره، فكانوا( الشجرة الملعونة) من دون منازع أو شريك.والدور يصل إلى هشام بن عبد الملك الذي جمع في شخصيته خبث الباطن وقبح الظاهر، فكان (استاندارد) الحاكم الأموي المطلوب ذلك أنه (كان أحول خشنا فظا غليظا.. ولم ير زمان أصعب من زمانه) [2]. واشتدت وطأته على العلويين، الذين كانوا في نظر الناس أحق بمقام الخلافة من هشام ونظرائه.. أنه لا ينسى موقفه مع علي بن الحسين عليه السلام في الطواف ببيت الله الحرام. لقد كان يحاول الوصول إلى الحجر الأسود، ولكن موجات الطائفين جعلته كرة، هذه الموجة تقذفه وتلك تلقفه، وكاد يخنق بضغط تلك الجموع فاضطر إلى الابتعاد، مراقبا من بعيد جموع الحجيج المزدحمة.وانشقت الصفوف كما لو ضربتها عصا موسى عليه السلام

---

[1] / الغدير 3/ 70.

[22] / مروج الذهب 3/ 217.

وانفرج الناس.. وتقدم رجل كسته الهيبة جلباب العزة، وألبسته التقوى رداء الطمأنينة، تقدم بخطوات واثقة، بينما انفرج الناس حتى استلم الحجر، بل الحجر استلم يده.. وفاض كأس هشام بالغضب من هذا الذي ينافسه على الناس ؟ من (ملك القلوب) هذا ؟ ولم يطل به المقام، ذلك أن الفرزدق الشاعر أجاب عن أسئلته برائعته الميمية:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

هذه الصور ازدحمت في ذهن هشام بن عبد الملك عندما أخبر أن زيدا بن علي بن الحسين ينتظر الإذن للدخول عليه، وقبل أن يؤذن لزيد أمر هشام الجالسين أن لا يفسحوا لزيد عندما يدخل. ودخل حليف القرآن تسبقه أسارير النور المنبعثة من وجهه، لم يفسح له أحد مكانا في المجلس، فوجه كلامه إلى هشام:

- اتق الله يا أمير المؤمنين!! فغضب هشام وأجابه:
- أنت توصيني بتقوى الله ؟!.
- إنه ليس أحد من عباد الله بفوق أن يوصى بتقوى الله ولا من عباده دون أن يوصي بتقوى الله.

كان السهم صائبا فلم يستطع هشام رده لذلك أعطى للموضوع جهة أخرى وقال له:

- أنت المؤهل نفسك للخلافة الراجي لها ؟! وما أنت وذاك لا أم لك، وإنما أنت ابن أمة!.

كان في هذا الكلام موضوعا التهمة السياسية بالإعداد للثورة والتغيير لانتقاص شخصية زيد.. ولم ينكر زيد التهمة الأولى لأنه يراها إحدى وسائل الإصلاح في أمة رسول الله وهو القائل بأنه يودّ لو يقع من الثريا إلى الأرض فيتقطع قطعا إذا كان ذلك في إصلاح الأمة.. إلا أنه في الثانية لما وجدها مخالفة للقيم الدينية قال:

- إني لا أعلم أحدا أعظم عند الله منزلة من نبيه وهو ابن أمة فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن إبراهيم فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام ؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله وهو ابن علي بن أبي طالب أن يكون ابن أمة ؟![3] .

كان يوسف بن عمر الثقفي الوالي الجديد على العراق قد كتب لهشام أن خالدا القسري (والي العراق السابق) قد ادعى بمال على زيد، فوجدها هشام فرصته وأرسل زيدا إلى الكوفة ليجمع يوسف بن عمر بينه وبين خالد المدعي عليه، فيصيب بذلك عصفورين بحجر واحد فهو من جهة يبعد زيدا عن مركز الحكم وقد أشار لأحد أعوانه إلى خطورة بقاء زيد في الشام قائلا " لا يبيتن هذا في عسكري " ومن جهة أخرى فما من طريق أفضل لتشويه سمعته من التهمة المالية وفي منطقة الكوفة حيث جموع الشيعة.

وبالفعل أخرج زيد من دمشق وهو يقول: ما كره قوم قط حرّ السيف إلا ذلوا. ودخل الكوفة وفيها انقلب السحر على الساحر إذ ظهرت براءة زيد من التهمة الملفقة ضده..

وكانت هذه إضافة إلى سواها من ظلم الأمويين وأهمها كما قال زيد:

أنه شهد هشاما ورسول الله يسب عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيره ووالله لو لم يكن إلا هو رجل آخر لخرج عليه..

كان يعتمل في نفسه الغضب للدين، والحمية لأحكامه، ويسعى لأن تقاد الأمة إلى سعادتها بيد قادتها الصالحين المرضيين من آل محمد.. وكان مستعدا في ذلك لأن يخوض عباب الموت حتى يصل

---

[3] / تنقيح المقال 1/467.

إلى الهدف..

لا يهمه أن يكون المصلوب بالكناسة كما أخبره أخوه الباقر مرارا، وكذلك ابن أخيه الصادق، فماذا يضره إذا كان في ذلك على بصيرة من أمره، ويقين من ربه ؟! وسواء تحقق ذلك الهدف ووصل " الرضا من آل محمد" إلى مقام القيادة الفعلية لأمور البلاد أم لم يصل، فإن دوره يبقى في حدود الشمعة المضيئة للآخرين درب الكرامة والعزة.

ضمن هذه الظروف، جاء زيدا العديد من أهل الكوفة داعين إياه للثورة، خصوصا أن الوالي على الكوفة لا يحظى بتأييد سكانها ولا يملك من الجنود إلا القليل!!.

وهكذا تتابع المؤيدون حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألفا.

وكانت مخابرات الوالي ترصد حركة غير عادية في الكوفة، وكان الطلب يشتد أثر زيد، حتى كانت ليلة جردت السلطة فيها حملة على بيت رجل من شيعة زيد كان يتوقع وجوده عنده فلم يوجد، وأخذ الرجل وصاحب له فضربت أعناقهما.

بهذه العملية خرجت المواجهة إلى العلن، واقتربت ساعة الاصطدام وبالرغم من أن زيدا كان قد كاتب أصحابه على أن يكون موعد الثورة الشاملة أول شهر صفر من سنة (121 هـ)، إلا أن تصاعد وتيرة الأوضاع في الكوفة جعل من غير الممكن بالنسبة لزيد الانتظار إلى ذلك الموعد فتحرك معلنا الثورة بشعار " يا منصور أمت " في ليلة الأربعاء الثالثة والعشرين من محرم أي قبل الموعد بأسبوع.

كان الوالي قد أعلن الأحكام العرفية قبل ذلك، ودعى الناس للحضور إلى المسجد يوم الثلاثاء، ونادى مناديه: إن برئت الذمة ممن وجد من العرب والموالي في غير المسجد، وهكذا حبس الناس في المسجد، وفوجئت الثورة بهذا الإجراء، فلم يجد زيد بدا من الخروج لكيلا يصفى هو وأنصاره.

" وأصبح زيد بن علي وجميع من وافاه تلك الليلة مائتان وثمانية عشر من الرجالة، فقال زيد: سبحان الله فأين الناس ؟! قيل: هم محصورون في المسجد، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر [4].

كثير من الذين بايعوا أرادوا أن "يخدعوا " الله!! فإذا كان النصر لزيد فقد ضمنوا مستقبلهم لأن أسماءهم مسجلة في ديوان الثوار وإن كان النصر للأمويين فهم في المسجد- ومعهم حجتهم !- ولم يصبهم مكروه وهؤلاء في الثورات ليسوا عديمي النفع فقط بل كثيرو الضرر.. فالفرق- كما ترى- واضح بين خمسة عشر ألفا وبين مائتين!!. وأقبل زيد حتى انتهى إلى جبانة الصيادين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد في أصحابه فهزمهم ثم انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام فهزمهم حتى ظهر إلى المقبرة ويوسف بن عمر على التل ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكرون ولو شاء زيد أن يقتل يوسف يومئذ قتله.

وأقبل زيد بن علي فقال: يا نصر بن خزيمة أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية ؟! فقال نصر: جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت.

المعركة كانت على أشدها بينما أهل الكوفة موجودون في المسجد الذي لا يحرسه غير مجموعة قليلة، ولو حمل من في المسجد عليهم لأزالوهم، ولكن بمقدار ما كانت المعركة حامية في الخارج كانت العزائم واهية خائرة في داخل المسجد..

وحمل زيد بمن معه قاصدا المسجد وقد وقف دونه عبيد الله بن العباس الكندي في أهل الشام فهزمهم زيد وانتهى بأصحابه إلى المسجد وأدخل راياته من فوق الأبواب، وأصحابه ينادون:

- يا أهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز وإلى الدين والدنيا.

---

[4] / مقاتل الطالبيين/ 93.

إلا أن الموجودين فيه لم يخرجوا، إذ لم يكن المانع هو حصرهم في المسجد إنما كان سجن أنفسهم في زنزانات الخوف وحب الدنيا.

كان النهار قد تصرم والمعركة تنتقل من ميدان إلى آخر وأنصار الوالي على كثرتهم- لا يثبتون أمام ثوار زيد- على قلتهم-..

قال سعيد بن خيثم: وكنا مع زيد في خمسمائة وأهل الشام اثنا عشر ألفا، إذ وصل رجل من أهل الشام من كلب على فرس رائع فلم يزل شتما لفاطمة بنت رسول الله فجعل زيد يبكي حتى ابتلت لحيته وجعل يقول: أما أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله ؟! أما أحد يغضب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أما أحد يغضب لله ؟!.

قال: ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلة، وكان الناس فرقتين نظارة ومقاتلة، فجئت إلى مولى فأخذت منه مشملا[5] كان معه ثم استترت من خلف النظارة حتى إذا صرت من ورائه ضربت عنقه وأنا متمكن منه بالمشمل فوقع رأسه بين يدي بغلته ثم رميت جيفته عن السرج وشد أصحابه علي حتى كادوا يرهقونني، وكبر أصحاب زيد وحملوا عليهم واستنقذوني منهم فركبت وأتيت زيدا فجعل يقبل بين عيني ويقول: أدركت والله ثارنا، أدركت شرف الدنيا والآخرة وذخرها [6].

ولما لم يستطع جيش الوالي أن يصمد لحرب أنصار زيد، استعانوا بالرماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد وأكثروا فيهم القتل، وكان الظلام قد خيم..

وفي هذه الأثناء، وبينما السهام تنطلق خارقة عتمة الليل، صوب زيد وأصحابه، وإذا بواحد منها يقع في جبهة زيد ويثبت فيه. لم يعلم غير المقربين بالأمر، وكان الجميع قد بدأوا يتسللون من مواقعهم استعدادا لصباح اليوم التالي حيث تدور المعركة الفاصلة.

وتسلل جماعة من أصحاب زيد إلى منزل طبيب وجاءوا به إلى زيد، والسهم لا يزال نابتا في جبينه، فقال له الطبيب:

- إن نزعته من رأسك تمت.

- الموت أيسر علي مما أنا فيه. أجاب زيد.

وما إن أشرقت شمس الصباح حتى كانت شمس هاشمية قد غربت، ووُري جسد زيد في مكان خفي. إلا أن مولى سنديا كان قد عرف مكان دفنه فذهب إلى الوالي الأموي وأخبره، وهكذا نبش قبره وأخرج ليصلب في كناسة الكوفة معلما شاهدا على الظلم الأموي.

وفي المدينة يدخل الفضيل بن يسار على الإمام الصادق قادما من الكوفة بعد أن شارك في ثورة زيد . فقلت في نفسي والله لا اخبرته بقتل زيد بن علي فيجزع عليه، فلما دخلت عليه قال: ما فعل عمي زيد ؟! فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه ؟!.

قلت: أي والله قتلوه.

قال: فصلبوه ؟!.

قلت: أي والله صلبوه.

فأقبل يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنها الجمان ثم قال:

يا فضيل شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام ؟!.

قلت: نعم.

قال: فكم قتلت منهم ؟.

قلت: ستة.

---

[5] / سيف قصير يشتمل عليه بالثوب

[6] / مقاتل الطالبيين/ 93.

قال: فلعلك شاك في دمائهم!.
فقلت: لو كنت شاكا في دمائهم ما قتلتهم!! فسمعته يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمي زيد وأصحابه شهداء مثلما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه [7].

## 2- محمد بن مسلم بن رياح الثقفي
## أبو جعفر
## توفي سنة150هـ

" زرارة وبريد ومحمد بن مسلم والأحول أحب الناس إلي أحياء وأمواتا)
الإمام الصادق عليه السلام
إذا كان رسول الله قد أبغض عددا من القبائل من بينها ثقيف،لما سيرتكبه أبناء هذه القبائل- في الجملة- من جرائم وموبقات، فلا يعني ذلك أن كل من ينتمي لهذه القبائل سيكون مبغوضا للرسول حتى لو عمل صالحا.. كلا فالمرء مجزي بعمله، و(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ).
إن ذلك البغض والكراهية ناظر إلى أمثال الحجاج الثقفي ويوسف بن عمر وأمثالهم الذين حلفوا يمينا على محو الدين واضطهاد المسلمين..
إلا أننا سنجد من بين هذه القبائل من يكون مصداقا ( يميز الخبيث من الطيب ) وذلك لضرب فكرة الحتمية، والجبر التي يتعلل به بعض الناس لتبرير سوء عملهم، سواء حتمية الوراثة أو التربية أو الظروف المحيطة. محمد بن مسلم أيضا ثقفي طائفي، لكنه بحسن اختياره وكثرة سعيه أصبح من حواريي الإمامين الباقر وابنه الصادق، وحتى قيل عنه أنه (ما كان أحد من الشيعة أفقه من محمد بن مسلم).
ولنلق نظرة على الوضع السياسي والاجتماعي الذي عاش فيه محمد بن مسلم.
في ظل هذا الوضع كان قلب الصراع هو المعرفة ، بأحكام الدين وبأحاديث الرسول ، وكان محمد بن مسلم لعلاقته الخاصة بالإمام الباقر ثم الصادق "موسوعة أحاديث" فقد حفظ عنهما آلاف الأحاديث ونظرة سريعة إلى أسانيد الموسوعات الحديثية الموروثة عن أهل البيت تؤكد لنا هذا المعنى..
فقد اختصه الإمام الباقر بالتربية أولا وبالتعليم ثانيا، ولنستمع إلى ما يرويه:
خرجت إلى المدينة وأنا وجع ثقيل، فقيل له (للإمام): محمد بن مسلم وجع، فأرسل إلي أبو جعفر بشراب- مع غلام- مغطى بمنديل، فناولنيه الغلام، وقال لي: اشربه فإنه قد أمرني أن لا أرجع حتى تشربه، فتناولت فإذا رائحة المسك منه، وإذا شراب طيب الطعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك إذا شربت فتعال ففكرت فيما قال لي، ولا أقدر على النهوض، قبل ذلك على رجلي، فلما استقر الشراب في جوفي كأنما أنشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه فصوت بي: نصح الجسم، ادخل.
فدخلت وأنا باك.. فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه، فقال لي: وما يبكيك يا محمد ؟ فقلت: جعلت فداك أبكي على اغترابي وبعد الشقة وقلة المقدرة على المقام عندك والنظر إليك، فقال لي: أما قلة المقدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنا، وجعل البلاء إليهم سريعا، وأما ما ذكرت من الغربة فلك بأبي عبد الله (الحسين) أسوة، بأرض ناء عنا بالفرات صلى الله عليه، وأما ما ذكرت من بعد الشقة فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق منكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله، وأما ما ذكرت من حبك قربنا والنظر إلينا وأنك لا تقدر على ذلك فالله يعلم ما في

[7] / تنقيح المقال 1/ 468

قلبك وجزاؤك عليه [8].

كان الله قد انعم على محمد بن مسلم، فأصبح موسرا غنيا، بل وسيدا شريفا في قومه، فإن هذه النعم قد تتحول إلى نقم إن لم ينتبه صاحبها لآثارها، فينسى نفسه، ويطغى متجبرا، كما يحدث لكثير من أولي النعمة، فقد لاحظ الإمام الباقر هذا الأمر، ولكيلا يقع هذا العالم في خطأ غيره، حذره الإمام في إحدى زياراته إلى المدينة، ولقائه بالإمام قائلا له:

- تواضع يا محمد..

وقرأ الثقفي كامل الرسالة من الحرف الأول، فما إن عاد إلى موطنه في الكوفة حتى أخذ سلة تمر مع الميزان، وجلس على باب المسجد الجامع ينادي عليه.. لقد كان يريد أن يقضي بهذا العمل على أي بذرة من بذور الخيلاء والشخصية الكاذبة في نفسه، وأن يكسر هيكل الاعتبار المزيف.

لما رأى الثقفيون الموجودون في الكوفة زعيمهم على هذه الحالة، جاءوا إليه مسرعين يقولون: فضحتنا بين الناس!!.

فقال: إن مولاي أمرني بأمر ولن أخالفه، ولن أبرح حتى أبيع ما في هذه القوصرة!.

فقال له قومه: أما إذا أبيت إلا أن تشتغل ببيع وشراء فاقعد في الطحانين، فهيأ رحى وحجرا وجعل يطحن [9].

كان هدفه هو أن "يتواضع" أكثر مما عليه، ولذلك كان يرى أن القيام بأي عمل من الأعمال التي (لا تتناسب) وموقعه الاجتماعي يحقق له هذا الهدف..

هذه التربية وذلك التعليم أهله لأن يصبح في الكوفة، وبين أصحاب الأئمة الشخص الأول الذي يرجع إليه فيما عسر على فهمهم وفيما أغلق عليهم، (وميزانا) لأقوالهم، فقد قال هشام بن سالم: ما اختلفت أنا وزرارة قط، فأتينا محمد بن مسلم فسألناه عن ذلك إلا قال لنا: قال أبو جعفر فيها كذا وكذا وقال أبو عبد الله فيها كذا وكذا..

هذا مع العلم أن هشاما وزرارة كانا من كبار أصحاب الإمامين ، ومن علماء الشيعة.

بل إن عبد الله ابن أبي يعفور الذي يقول عنه الإمام الصادق أنه كان موفيا لله عز وجل ولرسوله ولإمامه بالعهد المعهود لله وأنه كان محمود الأثر مشكور السعي مغفورا له مرحوما برضا الله ورسوله وإمامه عنه، ثم يُقسم الإمام قائلا: فبولادتي من رسول الله ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ولرسوله ولإمامه منه.. [10].

عبد الله بن يعفور هذا، يتتلمذ على يد محمد بن مسلم ويرجعه الإمام الصادق إليه في حال أشكلت عليه مسائل، ولم يجد طريقا للإمام.. فقد روى ابن أبي يعفور: قلت لأبي عبد الله : إني ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكنني القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا، فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه ؟!.

فقال: فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه قد سمع مع أبي وكان عنده مرضيا وجيها [11].

وكان محمد بن مسلم ثقة مأموناً في الحديث، ولكن جرت العادة لدى الحاكمين أن يبعدوا من كان

---

[8] / الاختصاص/ 51.

[9] / الاختصاص/ 51.

[10] / تنقيح المقال 2/ 165.

[11] / الاختصاص/ 202.

على خط أهل البيت من الفقهاء والعلماء، وأن يلصقوا بهم التهم حتى تشوه سمعتهم بين الناس، ويسقط اعتبارهم- فهذا شريك بن عبد الله (القاضي) مع علمه بأن محمدا مأمون على الحديث، إلا أنه لا يجيز شهادته في قضية عادية !.

فقد رأى محمد بن حكيم وأحد أصحابه شريكا القاضي واقفا في بستان فقال محمد لصاحبه: هل لك في خلوة من شريك ؟!.

فأتيناه وسلمنا عليه، فرد علينا السلام، فقلنا: يا أبا عبد الله مسألة.

فقال: في أي شيء ؟! قلنا في الصلاة. قال: سلوا عما بدا لكم.

فقلنا: لا نريد أن تقول قال فلان وقال فلان، إنما نريد أن تسنده إلى النبي.

قال: أليس في الصلاة ؟!.

قلنا: بلى.. قال: سلوا عما بدا لكم.

فقلنا: في كم يجب التقصير ؟! قال: كان ابن مسعود يقول: لا يغرنكم سوادنا هذا، وكان يقول فلان..

فقلنا: إنا قد استثنيا عليك أن لا تحدثنا إلا عن النبي .

قال: والله إنه لقبيح بشيخ أن يسأل عن مسألة في الصلاة عن النبي لا يكون عنده فيها شيء وأقبح من ذلك أن أكذب على رسول الله.

قلنا: فمسألة أخرى.. فقال: أليس في الصلاة: قلنا: بلى. فقال: سلوا.

قلنا: على من تجب الجمعة ؟!.

قال: عادت المسألة جذعة ما عندي في هذا عن رسول الله شيء!.

فأردنا الانصراف. فقال: إنكم لم تسألوا عن هذا إلا وعندكم من علم.

قلنا: نعم: أخبرنا محمد بن مسلم الثقفي عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن النبي .

فقال: الثقفي الطويل اللحية ؟! قلنا نعم، فقال: أما إنه كان مأمونا على الحديث ولكن كانوا يقولون أنه خشبي!! ثم أضاف: ماذا رووا ؟!. قلنا: رووا عن النبي، أن التقصير يجب في بريدين فإذا اجتمع خمسة أحدهم الإمام منهم أن يجمعوا [12].

الغريب أن شريكا هذا يتردد في قبول شهادة محمد بن مسلم مع أنه أعلم منه وأنه (مأمون على الحديث) حسب اعترافه.. فقد شهد محمد بن مسلم وأبو كريبة الأزدي بشهادة عن شريك وهو قاض في الكوفة [13]. فنظر في وجهيهما عليا ثم قال: جعفريان فاطميان، فبكيا، فقال لهما: ما يبكيكما ؟! فقالا له: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم لما يرون من سخيف ورعنا، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن نكون من شيعته فإن تفضل وقبلنا فله المن علينا والفضل قديما.

فتبسم شريك وقال: إذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم، يا وليد اجزهما هذه المرة ولا يعودا ثانية.

وكما كان علماء السلطة يبعدون علماء أهل البيت بالتهمة، إذ أن عدم قبول الشهادة يعني طعنا في العدالة، فقد كان أهل البيت يبينون للناس فضل أصحابهم فقد روى أبو كهمس قال: دخلت على أبي عبد الله فقال لي: شهد محمد بن مسلم الثقفي القصير عند ابن أبي ليلى بشهادة فرد شهادته ؟!.

قلت: نعم.

فقال: إذا صرت إلى الكوفة فأتيت ابن أبي ليلى فقل له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها

---

[12] / المصدر/ 52.

[13] / الإمامة والسياسة 2/ 389

بالقياس ولا تقول: قال أصحابنا ثم سله عن الرجل يشك في الركعتين الأوليين من الفريضة، وعن الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله! وعن الرجل يرمي الجمار بسبع حصيات فيسقط منه واحدة.. كيف يصنع ؟! فإذا لم يكن عنده فيها شيء فقل له: يقول لك جعفر بن محمد ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف بأحكام الله منك وأعلم بسيرة رسول الله منك ؟

فلما قدمت أتيت ابن أبي ليلى قبل أن أسير- إلى منزلي فقلت له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتيني فيها بالقياس ولا تقول قال أصحابنا.

قال: هات.. قلت: ما تقول في رجل شك في الركعتين الأوليين من الفريضة فأطرق ثم رفع رأسه إلي فقال: قال أصحابنا. فقلت: هذا شرطي عليك ألا تقول قال أصحابنا. فقال: ما عندي فيها شيء.

فقلت ما تقول في الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله ؟ فأطرق ثم رفع رأسه فقال: قال أصحابنا.. فقلت هذا شرطي عليك. فقال: ما عندي فيها شيء. فقلت: رجل رمى الجمار بسبع حصيات فسقطت منه حصاة كيف يصنع ؟! فطأطأ رأسه ثم قال: قال أصحابنا..

قلت أصلحك إن هذا شرطي عليك. فقال: ليس عندي فيها شيء. فقلت: يقول لك جعفر بن محمد ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف منك بأحكام الله وأعرف منك بسيرة رسول الله ؟!.

قال: ومن هو ؟.

قلت: محمد بن مسلم الطائفي القصير.

فقال: والله إن جعفر بن محمد قال لك هذا ؟! قلت: والله إنه قال لي جعفر بن محمد هذا..[14]

فأرسل إلى محمد بن مسلم فدعاه فشهد عنده بتلك الشهادة فأجاز شهادته . لقد بقي في المدينة أربع سنوات متصلة تتلمذ فيها على يد الإمام الباقر فلما قبض استمر يدخل كل يوم على الإمام الصادق متعلما ومستزيدا هذا إضافة إلى سفراته فيما بعد ذلك من السنوات، للحج و ا لعمرة.

وشهد في هذه الأثناء صراع الأصالة والالتقاط بين منهج الأئمة ومنهج مخالفيهم إذ كان الأئمة يرون أن الدين لا يتبع الاستحسانات والأقيسة، بل هو أحكام الله المبينة التي جاءت في القران الكريم الذي حوى كل شيء إذ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) وجاءت أحاديث الرسول وأفعاله لتبين وتوضح المجمل من الأحكام، وقد بلغ رسول الله ذلك خير بلاغ فقد ( أنال وأنال وأنال) لكن عند أهل البيت كانت (قواعد العلم).

وكان الصراع يدور بين تحكيم أقوال رسول الله من قبل الأئمة، وبين تحكيم الآراء البشرية عند منافسيهم حيث لم يكونوا يستطيعون مجاراة أهل البيت في المعرفة بحديث الرسول ..

فقد شهد محمد بن مسلم إحدى حلقات هذا الصراع، ذلك أن أبا حنيفة النعمان دخل على الإمام الصادق ، فقال له الإمام: يا أبا حنيفة القتل عندكم أشد أم الزنا ؟!.

قال أبو حنيفة: بل القتل.

فقال الإمام: فكيف أمر الله في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربعة ؟! كيف يدرك هذا بالقياس ؟! يا أبا حنيفة ترك الصلاة أشد أم ترك الصيام ؟!. قال: بل ترك الصلاة.

قال: فكيف تقضي المرأة صيامها ولا تقضي صلاتها ؟ كيف يدرك هذا بالقياس ؟.

ويحك يا أبا حنيفة النساء أضعف على المكاسب أم الرجال ؟.

قال: بل النساء.

قال: فكيف جعل الله للمرأة سهما وللرجل سهمين ؟ كيف يدرك هذا بالقياس ؟.

يا أبا حنيفة: الغائط أقذر أم المني ؟!. قال: بل الغائط.

قال: فكيف يستنجى من الغائط ويغتسل من المني ؟ كيف يدرك هذا بالقياس.

---

[14] / بحار الأنوار 47/ 403

ويحك يا أبا حنيفة تقول سأنزل مثلما أنزل الله ؟.
قال: أعوذ بالله أن أقوله.
قال: بلى تقوله أنت وأصحابك من حيث لا تعلمون [15].

## 3- جابر بن يزيد الجعفي
## توفي سنة 128 هـ

" رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا.. "

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

"إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ".

يتفاوت الناس في علمهم وفي قدرتهم على تحمل العلم، فبينما تجد البعض لا يستطيع استيعاب حقائق الشهود، تجد آخرين يتعاملون مع معادلات الغيب، لأنهم ( يؤمنون بالغيب ).

وفيما يصعب على أناس معرفة الأسباب في علم الظاهر، تجد آخرين يسبحون في محيطات علم الباطن..

وقد قضت سنة الله في الخلق والكون، أن تتعلق الأمور الهامة بالغيب والباطن غالبا، فبدءا من مسألة الخالق، إلى مسألة الخلق والإنشاء، إلى غيرها من المسائل.

ولذلك أيضا فإن " أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أوملك مقرب أو عبد ممتحن".ولأن الكثير من الناس يعيشون في أدنى درجات الظاهر فلا يصدقون إلا الأمور المحسوسة، لذلك يعيش أهل علم الباطن في أزمة قد تنتهي أحيانا إلى اتهام هؤلاء العلماء بالجنون واختلاط الحواس وربما إلى الاتهام بالزندقة!!.

وإذا كان علم هؤلاء غريبا على عموم الناس فإن طريقة حياتهم أكثر غرابة، ألم يقل المعصوم ( تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل) ؟!.

إن هؤلاء في سبيل أهدافهم- لا مانع لديهم من الخروج على المألوف والتمرد على الواقع المعاش، لأنهم يعيشون الهدف، و (يؤمنون بالغيب ) أنهم في هذا يشبهون الأنبياء في كونهم أصحاب رسالة هادية للمجتمع وغريبة على المألوف فيه.

لا مانع لديهم من التضحية بأشخاصهم أو اعتبار شخصياتهم إذا تطلبت مصلحة الرسالة ذلك.

وجابر بن يزيد الجعفي رجل من هذا الطراز فقد أوتي علم الباطن حتى قيل إن علم الأئمة انتهى إلى أربعة سلمان (المحمدي) وجابر بن يزيد والسيد ويونس بن عبد الرحمان.. وقد بلغ نهاية الغاية في إنكار الذات حين أنجز الدور المكلف به (التظاهر بالجنون) بأمر من الإمام الباقر، أنجزه بدون تردد..

كيف ؟! لنتابع مسيرة جابر منذ البداية حينما يدخل على الإمام الباقر منتميا إلى خطه ومهاجرا من الكوفة مسقط رأسه إلى المدينة ليطلب العلم من الإمام الباقر، ويتوسم فيه الإمام، شخصية استثنائية ذات كفاءات عالية في الاستيعاب والكتمان والتطبيق فيدفع إليه كتابا ويقول له:

- إن أنت حدثت بهذا حتى يهلك بنو أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي؛ وإن أنت كتمت منه شيئا بعد هلاك بني أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي. ثم دفع إليه كتابا آخر وقال له: إن حدثت به بشيء منه أبدا

---

[15] / الاختصاص/ 190.

فعليك لعنتي ولعنة آبائي (!).
كانت هذه الأحاديث الخاصة، على وجه كبير من الأهمية والسرية، ولذا كانت تشكل ضغطا كبير على جابر، لإفشائها لذلك كان يأتي إلى الإمام الباقر فيقول: جعلت فداك إنك حملتني وقرا عظيما بما حدثتني به من سركم الذي لا أحدث به أحدا فربما جاش في صدري حتى يأخذني شبه الجنون!! فيقول له الإمام الباقر: يا جابر إذا كان ذلك فأخرج إلى الجبانة فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا.
ذلك لأن (حديثنا صعب مستصعب أمرد ذكوان وعر أجرد لا يحتمله والله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد ممتحن).
وإذا، كان جابر يحمل هذه العلوم فقد كان ينضح من إنائه شيئا الأمر الذي كان يجعل من يسمع منه لا يتعقلها، فيشنع بها عليه، لذلك أمره الإمام الباقر أن يحدث الناس بقدر ما يعقلون.
وبعد أن أمضى فترة تعلمه على يد الإمام الباقر، كلف بالسفر إلى الكوفة مرة أخرى لهداية الناس وإرشادهم.. ولم يكن يخفى على الحكم الأموي الموقع الهام الذي يحتله جابر بين أصحاب الأئمة، والكفاءات الخاصة التي يتميز بها. وكان يخطط لقتله باعتباره الوكيل الأول للإمام الباقر في الكوفة، وكانت عناية الله تحرسه، وتخطيط الإمام كان يسبق مكر الحكام..
فقد ودع جابر هذه المرة إمامه وسار من المدينة متجها إلى الكوفة حتى وصل إلى (الأخيرجة) وهي منزل في الطريق، وقبل أن يغادر وصله كتاب من الإمام الباقر:
(ففك الخاتم وأقبل يقرأه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره.. يقول الراوي.. ثم أغلق الكتاب فما رأيته ضاحكا ولا مسرورا.. فلما وافينا الكوفة ليلا بت ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظاما له فوجدته قد خرج علي وفي عنقه كعاب قد علقها، وقد ركب قصبته وهو يقول أجد منصور بن جمهور أميرا غير مأمور، وأبياتا من نحو هذا، فنظر في وجهي ونظرت في وجهه ولم يقل لي شيئا ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأيته واجتمع علي وعليه الصبيان والناس وجاء حتى دخل الرحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جن جابر بن يزيد.
فوالله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه:
أن انظر رجلا يقال له جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث برأسه إلي، فالتفت الوالي إلى جلسائه وقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي ؟!. قالوا: أصلحك الله كان رجلا له علم وفضل وحديث وحج فجن، وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. فأشرف الوالي عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب، فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله [16].
وكتب الوالي إلى هشام بن عبد الملك بالأمر، فانصرف عن قتله، وظل جابر على هذه الحالة من التخفي والتنكر، إلى أن انقضى زمان هشام بن عبد الملك والوليد وانقضى معه الخطر، تغير الدور المطلوب وعاد جابر إلى ما كان عليه من (العقل)!! يقول عبد الحميد ابن أبي العلاء: دخلت المسجد حين قتل الوليد (بن يزيد) فإن الناس مجتمعون، فأتيتهم فإذا جابر الجعفي عليه عمامة خز حمراء، وإذا هو يقول: حدثني وصي الأوصياء وارث علم الأنبياء محمد بن علي ..) [17].
واستمر يبلغ رسالة الله وأحكام الدين وينفق مما عنده، وكان قد روى عن الباقر سبعين ألف حديث، وألف عددا من الكتب من بينها: تفسير القرآن الكريم- وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب

---

[16] / الكافي 1/ 396.

[17] / تنقيح المقال 1/ 202.

النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين، وكتاب مقتل الحسين وكتاب النوادر، ورسالة الإمام أبي جعفر إلى أهل البصرة.

## 4- سديف بن مهران المكي
## شهيدا بيد والي المنصور سنة 147 هـ

زعمت أمية وهي غير حليمة
أن لن يزول ولن يهد بناؤها
وقضى الإله بغير ذاك فذبحت
حتى ترفع في العجاج دماؤها

سديف المكي

انتهت دولة بني أمية !!.

وفي هذا عبرة للمعتبر، وانتهت أيامهم، وظلم رعيتهم، وتجرعوا العلقم الذي كانوا يطعمونه الاخرين، صباحا ومساء.. وهكذا، " فأول راض سنةً من يسيرها ".

لقد خلف لنا سديف بن اسماعيل المكي، الشاعر العلوي المتدفق وصاحب الإمام الباقر دعاء هو أشبه بوثيقة سياسية لمراقب عاش الوضع السائد أيام بني أمية فقد كان يقول:

اللهم صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة، اللهم استحصد زرع الباطل وبلغ نهيته واجتمع طريده اللهم فأتح له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله، وتفرق أمره ليظهر الحق في أحسن صورته وأتم نوره [18].

انقضت الشهور الألف، التي أحزنت رؤياها قلب الرسول ، وجرحت- بما اقترف فيها- أفئدة الصالحين.. وبقيت عبرة، لو كان معتبر، إن الملك قد يبقى مع الكفر ولكنه لا يبقى مع الظلم حتما.

وجلس أبو العباس السفاح، أول الخلفاء العباسيين، في بلاطه، على سريره، بينما جلس بنو هاشم على الكراسي دونه، ودونهم بنو أمية على الوسائد..

ساعة.. إذ دخل الحاجب قائلا:

---

[18] / أعيان الشيعة 7/ 191.

- يا أمير المؤمنين.. بالباب رجل حجازي أسود، راكب على نجيب متلثم، يستأذن ولا يخبر باسمه ويحلف أن لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك. فعرفه السفاح، وقال للحاجب:

- هذا مولاي سديف فليدخل.

ما إن وقعت عينا سديف على بني أمية جلوسا على الوسائد في المجلس حتى تداعى إلى ذهنه صور الشهداء من آل البيت ، الذين قتلوا صبرا وسما بيد الأمويين، وصور السجون التي احتضنت أولياءهم ، ثم ها هم يجلسون على الوسائد آمنين كأن شيئا لم يكن!!.

أترى العباسيين قد نسوا شعاراتهم التي أوصلتهم إلى السلطة ؟!

" الرضا من آل محمد " و" الدفع عن المظلومين".. ها هم على بساط واحد مع قتلة آل محمد، فاندفع ينشد بحماس:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديما والرؤوس القماقم الرؤاس
يا أمير المطهرين من الذم ويا رأس منتهى كل رأس
أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد أناس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
انزلوها بحيث أنزلها اللـ ـه بدار الهوان والإتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحز المواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم عنك بالسيف شأفة الأرجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والإمام الذي بحران أمسى رهن قبر في غربة وتناسي
فلقد ساءني وساء سوائي قربهم من نمارق وكراسي

وتغير لون أبي العباس، فلقد أشعل سديف الشاعر العلوي فتيل غضبه، ولم يكن الأمر ليخفى على الأمويين الجالسين، فقد قال بعضهم لبعض: قتلنا والله العبد!!.

والتفت السفاح إلى حرسه وأمرهم بقتلهم..

ولم يكتف سديف بذلك، فقد أشعل الأرض تحت أرجل الأمويين، الذين كانوا قبلئذ قد تداخلوا مع السلطة العباسية في بدايات عهدها.. فقد عبأ الجو الحاكم ضد بني أمية، فها هو ينشد السفاح مرة أخرى :

يا ابن عم النبي أنت ضياء استبنا بك اليقين الجليا
جرد السيف وارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
لا يغرنك ماترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا
بطن البغض في القديم فأضحى ثاويا في قلوبهم مطويا

لقد كان يلتزم جانب التبري، تماما كما التولي، فقد كان يحدث قائلا:

- حدثني محمد بن علي وما رأيت محمديا قط يعدله، قال: حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: نادى رسول الله في المهاجرين والأنصار فحضروا بالسلاح، فصعد، المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا.

كان الجميع ينتظر ثبات السلطة لتبدأ في رد المظالم لأصحابها وتحقق العدل، إلا أن كل يوم يمر ما كان أفضل من تاليه.. حتى لقد ترحم الناس - على (النباش الأول)!.

وجاء فرعون بني العباس أبو جعفر المنصور الذي لم يكن ليوقفه حد من عهد أو يمين عن غدر أو قتل.. فقد بدأ بصانع دولتهم أبي مسلم الخراساني وقتله غدرا ثم ثنى بعمه عبد الله بن علي بعد أن أعطاه المواثيق والعهود وهكذا فعل بابن هبيرة.

وكان المنصور الذي يعاني من عقدة نقص أشار إليها بقوله (إن بني مروان لم تبلَ رِممهم وآل أبي

طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة)!! قد أعطى قبل سقوط الدولة الأموية يمين بيعة، لمحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، وهكذا فهو في نظر الناس كان سوقيا، وفي عنقه بيعة للنفس الزكية، فأراد أن يثبت للناس خلافته بقمع أهل البيت والتنكيل بهم.. وهكذا.. فقد أدخل عليه في المدينة محمد بن عبد الله الملقب بالديباج- لجماله- فناداه (خليفة المسلمين)!!- يا ديوث!! ثم شرع يشتمه بألفاظ نابية في عرضه! وأمر به فجرد وضرب خمسين ومئة سوط فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفتري عليه لا يني، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ويحك اكفف عن وجهي فإن له حرمة برسول الله، فأغرى المنصور الجلاد قائلا: ويحك.. الرأس الرأس !. فضرب نحوا من ثلاثين سوطا وأصاب إحدى عينيه سوط فسالت ثم أخرج وكأنه زنجي من الضرب.. وقد كان من أحسن الناس [19].

ثم أنه أخذ بني الحسن مكبلين، وسار بهم من الربذة فمر بهم على بغلة شقراء، فناداه عبد الله بن الحسن: يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر..

وأحضر المنصور محمد بن إبراهيم بن الحسن وكان يسمى (الديباج الأصفر) لحسنه، فقال له: أنت الديباج الأصفر!! قال: نعم.

قال: لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ثم أمر به فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها [20]. وأما الباقي فقد سجنوا في المطبق تحت الأرض ثم هدم عليهم!!.

أمام هذه المظالم، والتعديات على حريم الدين وحقوق الناس، صمم محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن على الثورة، وكانا يأتيان أباهما متنكرين ويستأذنانه بالخروج فيقول: إن منعكما أبو جعفر (المنصور) أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

وهكذا فقد "جرى الاتفاق على إعلان خلع المنصور في البصرة والمدينة في آن واحد ولو نجحت هذه الخطة إذن لتقوضت على الأرجح دعائم الحكم العباسي، إلا أن محمدا اضطر إلى الظهور قبل أن يتم أخوه استعداداته وهكذا تمكن المنصور من مهاجمتهما بالتتابع وقد استطاع محمد في بادئ الأمر أن يكتسح كل شيء أمامه، فقبض على عامل المنصور في المدينة وتمكن خلال بضعة أيام من أن ينشر سلطانه على جميع أنحاء الحجاز واليمن فبايعه أهلها بالخلافة وأفتى الإمام أبو حنيفة والإمام مالك مؤسسا المذهبين الشهيرين بصحة دعوته، وإذ وجد المنصور أن تلك الحركة كانت أشد خطرا من توقع فقد التجأ إلى ما اشتهر به من خداع ومواربة وبعث بكتاب إلى النفس الزكية يعده فيه بالأمان على نفسه وولده وأخوته ومن تابعه وبإنزاله حيث شاء من البلاد ومنحه مبلغا كبيرا من المال .

- فكتب إليه محمد يعده إن دخل هو في بيعته أن يؤمنه ويصفح عنه لأن الخلافة كانت من حقه ثم ختم الرسالة بقوله "أي أمان تعطيني ؟! أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم" ؟!.

.. وما كاد المنصور يبعث بهذا الكتاب حتى أرسل عيسى ابن أخيه على رأس جيش كبير لسحق النفس الزكية، وقبيل المعركة خير محمد أتباعه بين تركه ومؤازرته وعندئذ تفرق معظمهم إذ كانوا يخشون على أنفسهم وعائلاتهم ولم يبق معه سوى ثلاثمائة رجل يواجه بهم جيش المنصور، ونشبت معركة هائلة انتهت بمقتل محمد وأتباعه جميعا فدفنوا في مقبرة الشهداء بالقرب من المدينة.

---

[19] / الكامل لابن الأثير 5/ 524

[20] / المصدر 526.

أما إبراهيم فقد فسدت إجراءاته بسبب ثورة أخيه المبكرة ومع ذلك تمكن من حشد قوات كبيرة تمكن بها من إلحاق الهزيمة تكرارا بجيش المنصور إلى أن أصبح مركز العباسيين على جانب عظيم من الخطر بحيث صمم الخليفة على الفرار من الكوفة لولا أنه أوفد في اللحظة الأخيرة جيشا آخر بقيادة عيسى لمقاتلة إبراهيم فسار حتى وصل إلى موضع على ضفة الفرات جرت فيه معركة انتهت بانكسار جيش الخليفة ..) [21].

وكان سديف في تلك المعركة يجول مع إبراهيم، في المعركة يبعث الحماس بشعره، ويستنهض همم المقاتلين.. فها هو يخاطب المنصور قائلا:

أسرفت في قتل الرعية ظالما فاكفف يدك أظلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية جرارة يقتادها حسنيها

وها هو يخاطب إبراهيم بن عبد الله قائلا:

إيه أبا إسحاق مُليتَها في سيرة ترضى وعمر طويل
اذكر هداك الله ذحل الألى سير بهم في مصمتات الكبول

وكان المنصور قد بلغ منه الخوف كل مبلغ إذ كان شبح إبراهيم حاضرا معه في كل وقت فقد أهديت للمنصور عجة مخ وسكر فاستطابها، واستلذها فقال: أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأمثاله!! وبقدر ما كشف المنصور عن الدافع الأساسي الذي يجعله يخوض في الدماء، لكيلا يُحرم العجة، فقد كشف عن مقدار الخوف الذي يتملكه من ثورة إبراهيم.. وكان يكرر دائما أنه لا يعلم: هل رأسه لإبراهيم أم رأس إبراهيم له.

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

بينما إبراهيم يقاتل في بسالة منقطعة النظير وعدته أربعمائة رجل في مواجهة آلاف من جنود العباسيين.. إذ جاء سهم عاثر فوقع في حلقه.. فتنحى عن موقفه وقال: أنزلوني .. (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أردنا أمرا وأراد الله غيره..

وتتبع المنصور الثائرين بعد نهاية المعركة.. وكان، سديف في رأس القائمة.. فقد أمر عبد الصمد بن علي والي المدينة أن يقتله فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه، وقيل بل حمله إلى المنصور فدفنه حيا.. نعم.. دفنه حيا لكي ينعم بأكل عجة المخ والسكر!!.

## 5- الكميت بن زيد الأسدي

[21] / مختصر تاريخ العرب/ 207.

**أبو المستهل**
**العمر: 46 سنة**
**الوفاة: سنة 126 قتلاً بيد أعوان خالد القسري**

(كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القران وكان كاتبا حسن الخط، وكان نسابة، وكان جدليا وهو أول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك، وكان راميا لم يكن في بني أسد أرمى منه وكان فارسا شجاعا، وكان سخيا دينا ) .

في شبابه، وحينما انفجر بركان الشعر الملتزم بداخله، كانت (الهاشميات)[22]، ولم يكن الكميت قبلها معروفا بالشعر، إذ أن الهاشميات- على قوتها وبلاغتها- كانت أول إنتاجه. ولعله لم يكن واثقا كل الثقة من شعره، أو هو ميل المرء عندما يبدأ بالجديد، وحاجته للتشجيع، لذلك جاء إلى الفرزدق بن غالب، الشاعر المشهور الذي يشترك معه في الولاء لأهل البيت ، ودار بينهما الحوار التالي، إذ بدأ الكميت مخاطبا الفرزدق:

- يا أبا فراس. إنك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي.
- صدقت.. أنت ابن أخي فما حاجتك ؟!.

نفث لساني فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته وإن كان قبيحا أمرتني بستره وكنت أول من ستر عليه. وأعجب الفرزدق بمنطق الكميت، فقال له: أما عقلك فحسن وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدني ما قلت:

وهنا بدأ الكميت في إنشاده أبيات من بائيته، فقال:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب.....

فقال الفرزدق: فيم تطرب يا ابن أخي ؟! وأكمل الكميت قائلا:

ولا لعبا مني، وذو الشوق يلعب!

فقال الفرزدق: بلى يا ابن أخي: فالعب فإنك في أوان اللعب،

وتابع الكميت إنشاده:

---

[22] / الهاشميات: روائع الكميت الشعرية قالها مدافعا عن منهج أهل البيت وحقهم في الإمامة ومعددا مظلومياتهم وكان لها صدى كبير في الأوساط الدينية والأدبية، وقد تميزت بالعاطفة الصادقه لأهل البيت، وهجاء أعدائهم هجاء سياسيا لاذعا، حتى قيل إن الكميت أول من نظم الحجاج والجدال للشيعة شعرا.

أولاها الميمية التي مطلعها:

من لقب متيم مستهام غير ما صبوة ولا أحلام=

= ثم البائية التي مطلعها:

طربت وما شوقا إلى البعض أطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

وكذلك بائيته التي مطلعها:

إني ومن أين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب

ولاميته ومطلعها:

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

وبائيته ومطلعها:

طربت وهل بك من مطرب ولم تتصاب ولم تلعب

ورائعته العينية التي يبدأها بـ:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهم يمتري فيها الدموعا

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب
وأمام دهشة الفرزدق الذي قال: فما يطربك يا ابن أخي ؟! فقال الكميت:
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى وخير بني حواء والخير يطلب
فقال: ومن هؤلاء ؟ ويحك، فأكمل:
إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب
ونفذ صبر الفرزدق قائلا: ويحك أرحني! من هؤلاء ؟! فقال الكميت أخيرا:
بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
قال: لله درك يا بني أصبت فأحسنت إذ عولت عن الزعانف والأوباش، إذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك، ثم أكمل قائلا:
خفضت لهم مني جناح مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبا على إني أذم وأغضب
وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها وإني لأوذى فيهم وأؤنب
وأمام هذه المعاني الجادة الملتزمة، والسبك المتين الرائع قال الفرزدق:
- يا ابن أخي أظهر ثم أظهر ! وكد الأعداء فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي! [23].
وما أن أذاع الكميت هاشمياته حتى انطلق نجما محلقا في سماء أفضل الشعراء وحتى تحولت إلى (حديث الناس) فالهاشميون وأنصار أهل البيت وجدوا فيها تبويبا لطيفا لحججهم فيما يرتبط بأمر الإمامة، وأعداء الحكم الأموي اكتشفوا فيها كنز تعبئة ثورية، بل روى بعضهم قائلا: أدركت الناس بالكوفة من لم يرو.
طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
فليس بشيعي !!.
ولنتابع مسيرة هذا الشاعر المناضل، وموقعه في مدرسة أهل البيت، لنرى كيف كان تقدير الأئمة له.
فقد دعا له الإمام السجاد بسعادة الحياة وبالشهادة، حكى صاعد مولى الكميت، قال: دخلت مع الكميت على علي بن الحسين فقال له: إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله ثم أنشده قصيدته التي أولها:
من لقلب متيم مستهام غير ما صبوة ولا أحلام
فلما أتى على آخرها قال له ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فالله لا يعجز عن مكافأتك: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت ثم قسط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم، وقال له: خذ يا أبا المستهل، فقال له: لو وصلتني بدانق لكان شرفا لي. ولكن إن أحببت أن تحسن إلي فادفع إلي بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرك بها، فقام ونزع ثيابه ودفعها إليه كلها ثم قال: اللهم إن الكميت جاهد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضن الناس وأظهر ما كتمه غيره من الحق فأحيه سعيدا وأمته شهيدا وأره الجزاء عاجلا وأجزل له جزيل المثوبة آجلا فأنا قد عجزنا عن مكافأته، قال الكميت: مازلت أعرف بركة دعائه [24].
وبعد رحيل الإمام السجاد اختص الكميت بابنه الباقر عليه السلام باعتباره إمامه، وقائده، وكان عندما ينشده شعره، يطلب الإمام من الله للكميت الرحمة والمغفرة، وهكذا الأمر بالنسبة إلى

---

[23] / مروج الذهب 3/ 243.

[24] / الغدير 2/ 189 عن خزانة الأدب

الإمام الصادق ، فبالرغم من أن الشعر محظور في أيام الحج، ولعل ذلك لما يتضمنه الشعر- عادة- من المبالغة والكذب، إلا أن الكميت عندما يدخل على الإمام ينشده شعرا قاله في مدح أهل البيت، يعتبر الكميت ذلك عملا عباديا، لا يتنافى مع موقع الحج فعن محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك ؟! قال: إنها أيام عظام!! فقال (الكميت): إنها فيكم، قال: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب فأنشده، فكثر البكاء وارتفعت الأصوات فلما مر على قوله في الحسين:

كأن حسينا والبهاليل حوله لأسيافهم مايختلي المتبتل
وغاب نبي الله عنهم وفقده على الناس رزء ما هناك محلل
فلم أر مخذولا لأجل مصيبة وأوجب منه نصرة حسين يخذل

فرفع الإمام يديه وقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى، ثم أعطاه ألف دينار وكسوة فقال له الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه ولكني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فإني أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله .

وهكذا استمر حاملا روحه على كفه وكما قال السجاد جاهد في آل رسول الله بنفسه حين ضن الناس، ناشرا مظلومية أهل البيت وحقانية توجهاتهم، وناعيا على ظالميهم، محفزا الناس للثورة عليهم، والثأر لشهداء آل الرسول .

وكان لسانه أمضى من السنان، وشعره أقوى من العاصفة، إنه عندما يرفع شعاره، يتبعه المظلومون والمضطهدون لأنهم يجدون فيه ضميرا يشعر بإحساسهم، ولسانا يتكلم عنهم ها هو يعبر عن شعور الألوف من الناس الذين وجدوا بني أمية قد سلوا سيف البغي القاطع على أولياء الله الصادقين، و ( قاموا يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع) مع صنائعهم ومرتزقتهم..

فقل لبني أمية حيث كانوا وإن خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا

ولذلك كان من الطبيعي أن ينال الشهادة، فالشهادة ليست إلا ميراث هؤلاء الرجال.. لقد تنبه الحكام الأمويون إلى الدور الاستثنائي الذي كانت هاشميات الكميت تقوم به في حشد ولاء الناس لأهل البيت، وفي تركيز وعي الناس بقضية الإمامة، وفي تحطيم الهيكل الذي صنعه الأمويون عنه الناس، تحطيم ذلك بإيجاد مقارنات بين صفات الطهر في أهل البيت وفي نقيضها لدى بني أمية، لقد كان يصرخ:

ساسة لاكمن يرى رعية النا س سواء ورعية الأنعام
لا كعبد المليك أو كوليد أو كسليمان بعد أوكهشام
من يمت لا يمت فقيدا وإن يحيا فلا ذو إل ولا ذو ذمام

وهكذا كتب هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري بأنه يأخذ الكميت (فيقطع يديه ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها).. فقط لا غير!!.

فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فأخذ وسجن بانتظار تنفيذ الأحكام فيه.. إلا أن أحد أصدقائه وهو أبان بن الوليد وكان قد عرف عن تلك القرارات، فأرسل إليه من يخبره.

بقي الكميت يفكر في طريقة للخلاص، وهكذا أرسل إلى زوجته أن تأتي ومعها لباسها وخفان، ودخلت عليه سجنه، فلبس الثياب التي جاءت بها، واتفق على أن تبقى في سجنه، بينما يخرج متنكرا وبالفعل، فقد خرج الكميت متنكرا في ملابس زوجته وهو يقول:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوايح والمشلي
علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

وهكذا استطاع أن ينجو من السجن.

وتمر الأيام وكما يزداد عداء خالد القسري للكميت، تزيد عدد قصائد الكميت وهجاءاته لخالد

حتى عُزل خالد- ضمن الصراع الدائر بين القبائل- وعُين مكانه يوسف بن عمر الثقفي، فدخل عليه الكميت، وبدأ يمدحه - معرضا بخالد-:

وما خالد يستطعم الماء [25] فاغرا بعدلك والداعي إلى الموت ينعب

هذا والحراس قيام على رأس يوسف، وكانوا حراس خالد ، وهم يمانيون، فتعصبوا لخالد ووضعوا نعال سيوفهم في بطن الكميت فوجؤوه بها، قائلين: أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟! فلم يزل ينزف حتى مات.. رحمة الله عليه [26].

وكما كانت بدايته مع أهل البيت مصاحبا لهم ومدافعا عنهم، ومادحا إياهم، فقد كانت نهايته كذلك، فقد حدث ابنه المستهل أنه لما حضرت الكميت وفاته ، أغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه وقال ثلاثا: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد.

وقبل أن نطوي هذه الصفحة الطاهرة من حياة بطل من أبطال الرسالة ننقل فقرات من إحدى قصائده (الهاشميات) السابقة..

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل [27]

وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل [28]

فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يعدل [29]

وعطلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التي نتنحل [30]

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل

رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل

ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جُنَة مما نخاف ومعقل [31]

أرانا على حب الحياة وطولها يجد بنا في كل يوم ونهزل [32]

نعالج مرمقاً من العيش فانياً له حارك لا يحمل العبء أجزل [33]

---

[25] / إشارة إلى خالد القسري عندما خرجت عليه جماعة مسلحة في المدينة، ووصل الخبر إليه وهو يخطب على المنبر، ففزع فزعا شديدا ودهش حتى لم يدر ماذا يقول، فقال: أطعموني ماء!!.

[26] / الغدير 2

[27]- ألا أداة استفتاح وعم : من عمى البصيرة . فيقال رجل عم في امره لا يبصره ورجل اعمى في البصر .

[28]- المتزمل النائم المتلفف بثيابه والنعسة النومة من النعاس وهو السنة من غير نوم .

[29]- الكرى النوم والمساوي العيوب جمع مساءة والميل أراد الميل عن الحق والجور والظلم . يقول : طال سكوت الناس عن المظالم واغماضهم العيون على القذى لا يحركون ساكنا ولا يطالبون بحق حتى ظهر الجور فلو أن هذا الميل والحيف يعدل ويغير بالعدل في الرعية لكان سكوتهم أكمل لهم .

[30]- نتنحل : من النحلة وهي الدعوى . والملة : الدين .

[31]- الجنة : الوقاية والمعقل الحرز .

[32]- يجد من الجد ضد الهزل . يقول : اننا في هذه الحياة غافلون ساهون عن واجباتنا نحب أن تطول أيامنا ولا ندري ماذا يصير إليه أمرنا ونحن في تقصير وخمول .

[33]- المرمق من العيش الدون اليسير . وقوله له حارك أجزل : يعني العيش والحارك مفصل العنق في الصلب والاجزل من به قروح في الكتفين يقال بعير أجزل . والعبء الثقل يقول : نحن نعالج ونقاسي آلام الحياد والمعيشة الخسيسة ونقاوم المتاعب مقاومة عظيمة .

فتلك أمور الناس أضحت كأنها أمور مضيع آثر النوم بهل [34]
فيا ساسة هاتوا لنا من حديثكم

ففيكم لَعَمري ذو أفانين مقول [35]
ألم يتدبر آية فتدله على ترك ما يأتي أم القلب مقفل
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم فحتى مَ حتى مَ العناء المطول
رضوا بفعال السوء من أمر دينهم فقد أيتموا طوراً عداءً و أثكلوا
كما رضيت بخلاً وسوء ولايةٍ

لكلبتها في أول الدهر حومل [36]
نباحاً إذا ما الليل أظلم دونها وضرباً وتجويعاً خبال مخبل [37]
وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا لاجور من حكامنا المتمثل
هم خوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول [38]
لهم كل عام بدعة يحدثونها أزلوا بها أتباعهم ثم أوجلوا
كما ابتدع الرهبان ما لم يجيء به كتاب ولا وحي من الله منزل
تحل دماء المسلمين لديهم ويحرم طلع النخلة المتهدل
وليس لنا في الفيء حظ لديهم وليس لنا في رحلة الناس أرحل [39]
فيارب هل إلاّ بك النصر يرتجى عليهم وهل إلا عليك المعول
ومن عجب لم أقضه أن خيلهم لاجوا فها تحت العجاجة أزمل [40]
هماهم بالمستلئمين عوابس كحدآن يوم الدجن تعلو وتسفل [41]
يحلئن عن ماء الفرات وظله حسيناً ولم يشهر عليهن منصل [42]
كأن حسيناً والبهاليل حوله لأسيافهم ما يختلي المتبقل [43]
يخضن به من آل أحمد في الوغى دما ًظل منهم كالبهيم المحجل [44]

---

[34]- يقول : امور الناس ضائعة كأنها الابل المهملة تسرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع . انما يعني هشام بن عبدالملك آثر الدعة والرفاهية على النظر في أمر دينه وأمر رعيته كما آثر هذا المضيع على تضييع ابله وغنمه باهمالها . وبهل نعت للامور .

[35]- المقول اللسان البليغ وأفانين أي ضروب الكلام وفنونه ومتنوعاته .

[36]- حومل امرأة من العرب كانت تجيع كلبة لها وهي تحرسها فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار وتقول : التمسي لنفسك لا ملتمس لك فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع . يقول : ان رعايتهم للامة كرعاية حومل لكلبتها .

[37]- نباحا : اي تنبح دونها وتحرسها ثم تعاملها بالضرب والتجويع . وخبال مخبل أي فساد مفسد .

[38]- المهول المحلف . وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا ان يستحلفوا الرجل أو قدوا نارا وألقوا فيها ملحا فيتقعقع فيهولون بها .

[39]- الفيء ما يفئ عليهم من الغنائم يقول : اننا محرومون من الغنائم وحقوقنا مغتصبة وليس لنا ما نركب عليه من الدواب فنغزو مع الناس .

[40]- الازمل الصوت وجمعه الازامل .

[41]- هماهم من الهمهمة وهو ترديد الصوت في الصدر. وحدآن جمع حدأة طائر معروف والدجن الغيم .

[42]- يحلئن أي يمنعن أيضاً والمنصل السيف .

[43]- البهاليل جمع بهلول الضحوك والمتبقل الذي يأخذ البقل يقول : ان دم الحسين ومن معه حلال لأسيافهم كما يختلي المتبقل فينتقي ما شاء من البقل .

وغاب نبي الله عنهم وفقده على الناس رزء ما هناك مجلل
فلم أرَ مخذولا أجل مصيبة وأوجب منه نصرة حين يخذل
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغي أول[45]
تهافت ذبان المطامع حوله فريقان شتى ذو سلاح وأعزل [46]
إذا شرعت فيه الأسنة كبرت غواتهم من كل أوب وهللوا
فما ظفر المجرَى إليهم برأسه ولا عذل الباكي عليه المولول
فلم أر موتورين أهل بصيرة وحق لهم أيد صحاح وأرجل [47]
كشيعته والحرب قد ثفِيت لهم أمامهم قدر تجيش ومرجل
فريقان هذا راكب في عداوة وباك على خذلانه الحق معول
فما نفع المستأخرين نكيصهم ولا ضر أهل السابقات التعجل
فإن يجمع الله القلوب ونلقهم لنا عارض من غير مزن مكلل [48]
سرابيلنا في الروع بيض كأنها أضَا اللوب هزتها من الريح شمأل [49]
على الجرد من آل الوجيه ولا حق تذكرنا أو تارنا حين تصهل [50]
نكيل لهم بالصاع من ذاك أصوعاً ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجل [51]
ألا يفزع الأقوام مما أظلهم ولما تجبهم ذات ودقين ضئيل [52]
إلى مفزع لن ينجي الناس من عمى ولا فينة إلا إليه التحول
إلى الهاشميين البهاليل إنهم لخائفنا الراجي ملاذ وموئل
إلى أي عدل أم لأية سيرة سواهم يؤم الظاعن المترحل

---

[44]- يخضن أي الخيل .يقول : ظل المحجل من الخيل كالبهيم الذي لا إشارة فيها من كثرة ما سال من الدم .

[45]- فيا آخراً : يعني هشاما وأول : يعني أول آبائه . الرامون : يعني الذين قاتلوا . وغيرهم : يعني الآمر بقتله وهو يزيد . وأسدى أعطى ومنح .

[46]- تهافت أي تساقط وتزاحم على الفتك به أهل الطمع والخسة وهم أتباع يزيد كما يتهافت الذباب على الشراب . والأعزل الذي لا سلاح معه .

[47]- الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه . ويريد بالموتورين أصحاب الحسين . لم أر مثل هؤلاء الموتورين لم يدافعوا ولم يأخذوا بالثأر وهم قادرون .

[48]- العارض السحاب . والمزن السحاب الابيض مكلل أي مخيم كثيف نعت للعارض ويريد بالعارض هنا الجيش . يقول : ان جمع الله قلوبنا وتحفزنا للقائهم فان لنا جيشا عرمرماً مكللا بالسلاح . ويريد بقوله من غير مزن : أي ليس العارض من ماء المزن ما وإنما هو من الرجال الأبطال .

[49]- السرابيل الدروع التي يلبسونها في الحرب . والروع الفزع . واللوب جمع لوبة الحرة وهي الارض التي قد ألبستها حجارة سود . والأضا جمع إضاءة وهي الغدران والشمأل الشمال وخص الشمال لأنها تحدث بمرورها على الماء حبكاً وطرائق .

[50]- الجرد جمع أجرد القصار الشعور من الخيل . والوجيه ولاحق فرسان نجيبان من خيل العرب .

[51]- الصاع الكيل والسجل الدلو يقول : متى نلقهم بجمعنا نوقع بهم من الشدة والصرامة أضعاف ما نلنا منهم .

[52]- وذات ودقين : أي حرب شديدة . والودق المطر يقال للحرب الشديدة : ذات ودقين تشبيها بسحاب ذات مطرتين شديدتين .

وفيهم نجوم الناس والمهتدى بهم إذا الليل أمسى وهو بالناس أليل
إذا استحكمت ظلماء أمر نجومها غوامض لا يسري بها الناس أُفّل
وإن نزلت بالناس عمياء لم يكن لهم بصر إلا بهم حين تشكل
فيا رب عجل ما يؤمل فيهم ليدفأ مقرور ويشبع مرمل
وينفذ في راض مقر بحكمه وفي ساخط منا الكتاب المعطل
فإنهم للناس فيما ينوبهم غيوث حياً ينفي به المحل ممحل [53]
وإنهم للناس فيما ينوبهم أكف ندى تجدي عليهم وتفضل
وإنهم للناس فيما ينوبهم عرى ثقة حيث استقلوا وحللوا [54]
وإنهم للناس فيما ينوبهم مصابيح تهدي من ضلال ومنزل [55]

الإمام الصادق عليه السلام

1- مؤمن الطاق
2- هشام بن الحكم
3- زرارة بن أعين
4- جابر بن حيان
5- السيد الحميري

[53]- الحيا الخصب . والمحل الجدب والممحل الذي دخل في المحل

[54]- عرى ثقة : أي يوثق بهم ويعتمد عليهم في الملمات . واستقلوا : أي سافروا . وحللوا من الحلول أقاموا .

[55]- الأصل والشرح عن الروضة المختارة / صالح علي الصالح .

**جعفر بن محمد الصادق عليه السلام**
**الإمام أبو عبد الله**
**83- 148 هـ**

**ولد سنة 83 هـ وتوفي سنة 148هـ وعمره 65 سنة، عاش منها 12 سنة مع جده السجاد، و19 سنة مع أبيه الباقر ، ومدة إمامته 34 سنة.**

عاصر من حكام الأمويين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد ومروان بن محمد (الحمار)، ومن حكام العباسيين أبو العباس السفاح، والمنصور.

تميز حكم الأمويين تلك الفترة بالضغط على الأمة. واللعب بثرواتها، باستثناء فترة حكم عمر بن عبد العزيز وكان شعارهم في ذلك " احلب الدرّ فإن انقطع فاحلب الدم "، وزاد في أيام سليمان ويزيد والوليد الفساد الأخلاقي لأنهم- وهم الحاكمون- لم يكونوا يمتنعون عن التظاهر به، وفي نفس الوقت كثرت الانتفاضات والثورات ضد هذا الحكم.

كما تميز حكم العباسيين (أيام السفاح والمنصور) بكونه لا يزال طري العود ولم يستحكم، وأنه كان لتوه قد رفع شعارات الدعوة إلى( الرضا من آل محمد)..

وفّر الظرف المذكور (أواخر أيام الأمويين وأوائل أيام العباسيين) فرصه مناسبة للإمام الصادق عليه السلام لأداء رسالته الثقافية، لانشغال الحاكمين بأنفسهم.. فكان عليه السلام قد أسس مدرسة علمية بلغ عدد تلاميذها أربعة آلاف. نقلوا عن الإمام الصادق علماً كثيراً ودونوه فيما عرف بالأصول الأربعمائة التي اعتمد عليها المحدثون فيما بعد لتأليف الموسوعات الحديثية الموسعة. كما نقل عنه تلاميذه مختلف فنون العلم كالفلسفة والكيمياء و الطب.. وغيرها .

وقد تخصص في كل فن من فنون المعرفة رجال .. ففي الكلام والفلسفة هناك أشخاص ، وفي اللغة العربية وآدابها آخرون ، وفي علم الفقه وتفاصيل الشريعة جماعة ، وفي الكيمياء والعلوم الطبيعية متخصصون وهكذا .

مكنه من ذلك علمه المحيط بكتاب الله حيث قال : **والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن قال الله Y ( فيه تبيان كل شيء ) . وقال: سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي .**

أخذ عنه الحديث والعلم والمعرفة أربعة آلاف . كما أخذه عنه زعماء مدارس أخرى مثل : أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومالك بن أنس وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب السجستاني ,, وغيرهم .

شهد عصره ظهور مدرسة الرأي والقياس على أثر ما زعموه من عدم كفاية الأحاديث النبوية ، حيث أن بعض فقهائها قال : إنه لم يصح عنده سوى سبعة عشر حديثا عن النبي 1 ..

وحيث أن هذا المنهج كان ينتهي إلى تقليل الاعتماد على النص النبوي ويكثر الاعتماد على الرأي البشري فقد تصدى له الإمام وأصحابه نظريا ، فقد نقل أن **أبا حنيفة قد دخل على الامام υ فقال له : أيهما أعظم عند الله القتل أو الزنا ؟ قال بل القتل ، قال : فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلا بأربعة ؟ الصلاة أفضل أم الصيام ؟ فقال :بل الصلاة أفضل . فقال υ فيجب على قياس قولك : أن على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة حال حيضها دون الصيام وقد أوجب الله قضاء الصوم دون الصلاة .. البول أقذر أم المني ؟ قال : البول , قال : فيجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني وقد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول ؟؟ يا أبا حنيفة إن السنة إذا قيست محي الدين .**

وكان يقول : **إنا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنا نفتيهم بآثار من رسول**

**الله وأصول علم عندنا نتوارثها كابرا عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء فضتهم وذهبهم .**

وفي مقابلها كانت مدرسة الحديث التي ابتليت بالنظر الجامد على الروايات ، ولم تنقح مضامين الروايات مما سهل دخول الكثير من الحديث المنتحل والمصنوع . ولعل من أسباب ذلك إضافة إلى كونها ردة فعل على المدرسة الأولى ، المنع من كتابة الحديث النبوي طيلة قرن من الزمان تقريبا حتى جاء عمر بن عبد العزيز .. بالطبع هذا في غير مدرسة أهل البيت .

كما شهد هذا العصر **ظهور حركة الغلاة :** وهي وإن كان ظاهرها رفع شأن الأئمة إلاّ أن واقعها كان ينسف أرضية الالتزام الديني، لذلك قاومها الإمام الصادق، وحارب دعاتها، وتبرأ من زعمائها، كما أوضح الفكر الصحيح في المسألة. حيث قال لسدير : **يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي من هؤلاء براء ، برئ الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ولا دين آبائي والله لا يجمعني وإياهم يوم إلا وهو عليهم ساخط .**

**وقال في حق أبي الخطاب رأس تلك الحركة : على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون ، في اشد العذاب غدوا وعشيا ..**

**وفي مقابل ذلك شهدت تلك الأيام تفشي فكرة الزندقة :** كان لانتشار ترجمة الكتب من جهة ، والتوسع غير المبرمج في الفتوح وعدم وجود إجابات فكرية على الكثير من الأسئلة التي طرحت . . أثر في انتشار فكر الزندقة .. ولم ينفع في ذلك أن قام بنو العباس بتعيين شخص باسم صاحب الزنادقة يقتل من قيل إنه زنديق .. في ذلك . وإنما كان ينبغي مواجهتهم فكريا .

هذا **أبو شاكر الديصاني يسأل الإمام : ما الدليل على أن لك صانعا ؟ قال : وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين : إما أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري ، فإن كنت صنعتها ، فلا أخلو من أحد معنيين ، إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لايحدث شيئا ، فقد ثبت المعنى الثالث : أن لي صانعا وهو رب العالمين**

ثار في أيام الأمويين عمّه زيد بن علي بن الحسين، " ولو ظفر لوفى" وكان زيد يتمتع بتأييد الإمام الصادق الخفي، كما ثار في أيام العباسيين محمد بن عبد الله (النفس الزكية)، وأخوه إبراهيم .

رفض الإمام الصادق عليه السلام المشاركة المباشرة في الثورات، كما رفض استدراج قادة العباسيين ولو كان بعضهم قد عرض عليه ذلك بحسن نية، وذلك لأن تقييمه للظرف والرجال كان (ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني) وأثبت جريان الأحداث فيما بعد صواب ذلك التقييم.

كان الامام الصادق ـ بالرغم من الموقف العدائي الذي وقفته السلطات الحاكمة منه ومن أتباعه ـ وبالرغم من الموقف الاقصائي الذي سلكه بعض أرباب المذاهب والآراء منه ومن أتباعه يأمر أصحابه بتكريس الانسجام الاجتماعي في الأمة ، ونبذ عوامل التشنج والتوتر فقد أكد على التقية كمنهج يصنع الوحدة الاجتماعية ولو في حدودها الظاهرية ، وينزع فتائل المواجهة ..

كما أمر أصحابه بأن يكونوا المبادرين إلى تحقيق ذلك الانسجام الاجتماعي ، باختلاطهم بسائر أفراد المجتمع ، فكان يقول :

**كما رواه زيد الشحام قال : قال لي أبو عبد الله ( عليه السلام ) : اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام و أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الامانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد ( صلى الله عليه وآله ) ، أدوا الامانة إلى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا ، فان رسول الله ( صلى الله عليه وآله )**

**كان يأمر بأداء الخيط والمخيط . صلوا عشائركم[56] واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الامانة وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور وقيل : هذا أدب جعفر وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره وقيل : هذا أدب جعفر ، فوالله لحدثني أبي ( عليه السلام ) أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي ( عليه السلام ) فيكون زينها آداهم للامانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث ، إليه وصاياهم وودائعهم ، تسأل العشيرة عنه فتقول : من مثل فلان إنه لآدانا للامانة وأصدقنا للحديث**

كان للمنصور العباسي معه مواقف وحاول أن يقتله أكثر من مرة، بدعوى أنه يحضر للثورة ضد المنصور وأنه يجمع السلاح، والأموال، ولأن الإمام عليه السلام كان في غير هذا الاتجاه حقيقة. إذ كان يقيم الظروف بما لا تنتهي إلى هذا، وأن الداء لم يكد يعالج بالانتفاضة المسلحة، فكانت محاولات المنصور تنتهي إلى الفشل.

قضى عليه السلام عام 148 هـ مسموما كما ذكرت الروايات . ودفن في المدينة المنورة.

## 1- محمد بن علي بن النعمان الكوفي الصيرفي
## مؤمن الطاق

لئن كان للسيف صليل وحدّ باتر، فللعلم جلال وأثر قاهر.

وإذا كان الكثير من الناس يتصورون أن الحضارة تصنع في الكليات العسكرية ومصانع الأسلحة فإنهم يرتكبون بذلك خطأ فادحا، ذلك أن السيف لم يكن إلاّ من أجل صيانة منجزات القلم الصادق، وللدفاع عن مكتسبات العلم النافع.

وبالرغم من أننا نجد حياة العلماء والمكتشفين والمبدعين خالية من الضجيج بعيدة عن الصخب، عكس حياة العسكريين وأصحاب القدرة التي لا تخلو في يوم من أيامها من حادث مثير. إلاّ أن تلك الحياة الهادئة في ظاهرها والتي تضج بالحيوية والحركة الفكرية في داخلها لا تلبث أن تنقل حياة الأمم خطوات إلى المستقبل في حركة كبيرة واستثنائية.. حركة في فهم دينها أو وعي واقعها بشكل صحيح، أو في تسخير قدرات الطبيعة المحيطة بها، أو في الاستفادة من تجارب الأمم

[56] ) وذلك باعتبار أن التداخل المذهبي كان قائما بقوة في تلك الفترة ، فقد تجد قسما من العشيرة على مذهب والقسم الآخر على مذهب غيره ، بل أحيانا تجد ذلك بين الاخوة ..

لكيلا تكرر الكارثة.

- لذلك نجد أنفسنا في تاريخ الأمة الإسلامية خصوصاً مدينين لفضل العلماء والفقهاء وأمثالهم، لا لمن حمل سيفه ووضعه على الأخضر واليابس، وإذا كان الشاعر قد قال:

السيف أصدق أنباء من الكتب  في حده الحد بين الجد واللعب

فقد أثبت التاريخ عكس ذلك، وانتهى السيف بينما بقي الكتاب، وكان أصدق، وأبقى أثراً، وأعمق وجوداً في نفوس الأمم، بل ربما كان ذلك السيف الذي مدحه الشاعر لم يلبث أن انقلب على من مدحه، عندما انفصل عن الكتاب والعلم.

لذلك يأتي عرضنا لحياة هؤلاء الرجال العلماء، عرضاً للعلم، وتخليداً للفكر الذي انتموا إليه. وفي طليعة هؤلاء مؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي.

بالرغم من أنه كان صيرفياً يعمل في طاق المحامل بالكوفة، إلاّ أنه لم يشتهر بها إنما اشتهر بتصريف الكلام، ونقد العقائد والنحل، مدافعاً في ذلك عن منهج أهل البيت عليهم السلام، فلا تراه قائماً من جلسة حوار إلا ليجلس - إلى حلقة نقاش وهكذا فما أن يصل إلى مكان حتى يستلمه أهل ذلك المكان بالأسئلة.

وبالرغم من أن مسكنه الكوفة إلاّ أنه- تبعاً لتجارته ولمسؤولياته- كان ينتقل بين المدن الإسلامية وفي طليعتها المدينة المنورة حيث مركز الثقل الديني، المتمثل في وجود الإمام الصادق عليه السلام حيث كان يتزود من علمه وفقهه، ثم يعود إلى مركز عمله. وفي كل تلك المناطق لم يكن مجهولاً ولا نكرة.

ولدقته في النقد للدراهم، والعقائد، فقد لقبه أعداؤه بشيطان الطاق، ذلك أنه لاحاه قوم في درهم، فقال إنه أصيل، وقال إنه ستوق أي مزيف وبينما أجمع أولئك على صحة الدرهم أصر ابن النعمان على أنه مزيف، وبعد الفحص تبين صحة كلامه وبطلان كلامهم، الأمر الذي حيرهم وأدهشهم فسموه شيطان الطاق (أي طاق المحامل حيث يعمل)، وفي العقائد كذلك فقد تفوق عدداً من المرات على منافسه أبي حنيفة فسماه بشيطان الطاق.

ولمعرفة الإمام الصادق عليه السلام باستيعاب مؤمن الطاق لمعالم الشريعة، وتفوقه فيها، وفنه في إدارة الحوار مع مخالفيه في العقيدة، لذلك فإنه قد سمح له بأن يدخل في الحوار كيف ومع من شاء وبينما منع الإمام آخرين من هذا الأمر، نظراً لعدم كفاية قدرتهم على مواجهة الخصوم مما يحسب آنئذٍ على أصل المذهب.

فعن أبي خالد الكابلي قال رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو جالس في المسجد وأهل المدينة أزاره، وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه وقلت: إن أبا عبد الله نهانا عن الكلام، نقال: أوَأمرك أن تقول لي ؟!. فقلت: لا ولكنه أمرني أن لا أكلم أحداً.

قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك. فدخلت على أبي عبد الله فأخبرته بقصة صاحب الطاق فتبسم أبو عبد الله وقال: يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلّم الناس فيطير وينقض وأنت إن قصوك لن تطير .

وإذا كان الجدال العقيم الذي لا يهدف الوصول إلى العلم مرفوضا وغير محبذ، و( ما أراد الله بقوم شراً إلاّ ابتلاهم بالجدل )، فإن النقاش العلمي، والدفاع عن العقيدة، والاحتجاج لها أمر مطلوب، وهو أحد مصاديق ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن ). ولعل هذا أحد أسباب تشجيع الأئمة عليهم السلام لأصحابهم الكفوئين، للنقاش والدفاع عن ثقافة أهل البيت.

ونتعرض هنا إلى بعض مناظراته مع مخالفيه، ونشير إلى أن هذا الأسلوب (العلمي) هو الذي يجب أن يكون حاكماً على العلاقة بين أهل الخلاف، لا الشنق والإعدام كما هي طريقة الحكام أو التكفير والتفسيق كما هي طريقة أنصاف العلماء.

**مع ابن أبي خدرة الخارجي**

فقد اجتمع قوم من الخوارج وقوم من الشيعة بالكوفة عند أبي نعيم النخعي فقال ابن أبي خدرة الخارجي : إن أبا بكر أفضل من علي ومن جميع الصحابة بأربع خصال: فهو ثان لرسول الله، دفن في بيته وهو ثاني اثنين معه في الغار وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله (ص) وهو ثاني صديق من الأمة.

وكان مؤمن الطاق حاضراً.. فانبرى له قائلاً: يا ابن أبي خدرة..

ـ أترك النبي (ص) بيوته التي أضافها الله إليه ونهى الناس عن دخولها إلاّ بإذنه، ميراثاً لأهله وولده ؟! أو تركها صدقة على المسلمين ؟!.

فإن تركها ميراثا لولده وأزواجه فقد ترك تسع زوجات، فليس لعائشة إلا نصيب إحداهن (وهو التُسع من الثُمن وبالطبع فإن نصيبها لم يكن ليتسع لدفن أبي بكر). وإن كان تركها ميراثاً لجميع المسلمين فإنه لم يكن له نصيب من البيت إلا كما لكل رجل من المسلمين.

وأما قولك إنه ثاني اثنين إذ هما في الغار فإن مكان علي هذه الليلة على فراش النبي وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار.

وأما قولك في صلاته بالناس فقد تقدم ليصلي بالناس في مرض رسول الله (ص) فخرج النبي وتقدم وصلّى بالناس وعزله عنها ولو كان قد صلّى بأمره لما عزله من تلك الصلاة.

وأما تسميته الصديق فهو شيء سماه الناس وقد أوجب الله على صاحبك الاستغفار لعلي بن أبي طالب بقوله تعالى: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم )[57].

وكان يتولى مناظرة المنحرفين، بأجوبة يعدها من قبله أو يستمعها مباشرة من الإمام عليه السلام .

**مع ابن أبي العوجاء:**

ابن العوجاء واحد من كبار زعماء الزنادقة في وقته، وكان- مع أصحابه- يصطنعون الشبهات ويلقونها بين ضعاف المسلمين وحتى بعض علمائهم، فكانوا يضطربرن في الجواب ولا يستطيعون، وزاد قيام العباسيين بمتابعتهم بالقتل، والعرض على السيف من اشتهار أفكارهم، فبينما كان ينبغي الرد على الشبهة بالبصيرة، وعلى الريب باليقين، قام العباسيون بالرد على كل ذلك بالسيف..

وفي المقابل كان أهل البيت عليهم السلام وهم غوث الناس- يواجهون تلك الشبهات بقناعات قوية، وأجوبة، ويكلفون أتباعهم بالتصدي لها.

فقد روى مؤمن الطاق:

قال لي ابن أبي العوجاء مرة: أليس من صنع شيئاً وأحدثه حتى يعلم أنه من صنعته فهو خالقه ؟!.

قلت: بلى.

قال: فأجلني شهراً أو شهرين ثم تعال حتى أريك.

فجئت فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي:

ـ أما أنه قد هيأ لك شأنين [58]، وجاء معه بعدة من أصحابه ثم يخرج لك الشأنين قد امتلأ دوداً، يقول هذا الدود من فعلي، فقل له: إن كان من صنعك وأنت أحدثته فميز ذكوره من الإناث.

---

[57] / رجال الكشي 2/ 424.

[58] / الشأن ملتقى العروق التي يجري منها الدمع إلى العين، وهنا بمعنى الجمجمة.

وبالفعل فقد التقى محمد بن علي النعمان مؤمن الطاق مع ابن أبي العوجاء حسب الموعد بينهما، وكان قد أتى معه بما كان قد ذكر الإمام الصادق عليه السلام ، وقال له:

- إن كان من صنعك فميز الذكور من الإناث.

وبالطبع لم يستطع، التمييز، ولا التبرير إنما قال:

- هذه والله ليست من إبزارك هذه التي حملتها الإبل من الحجاز [59].

**مع أبي حنيفة:**

لمؤمن الطاق مناظرات مع مخالفيه لكنها مع أبي حنيفة النعمان بن ثابت تكتسب طرافة خاصة، ذلك أن أبا حنيفة لما كان لا يمثل في حينه مذهب السلطة والحكم كان بالإمكان النقاش معه بحرية، إضافة إلى أن هذا النوع من المناظرات مهما كان لاذعاً فإنه لا يفسد للود قضية، ولنأخذ نماذج من تلك المناظرات الطريفة، فقد دخل على أبي حنيفة يوماً فقال له أبو حنيفة :

- بلغني منكم معشر الشيعة أن الميت منكم إذا مات كسرتم يده اليسرى لكي يعطى كتابه بيمينه..

وللأسف فإن هذه الدعايات التي عاناها أتباع أهل البيت عليهم السلام في ذلك الزمان لا تزال في هذا العصر، عصر النور، وسرعة الاتصالات، والعلم ؟! ولا يكلف أحدهم نفسه لكي يطلع على الحقائق أن يتحرك من مقعده لكي يطلع على ما كتبه هؤلاء بأقلامهم، فانظر، (فما أشبه الليلة بالبارحة)!.

وبالطبع لم يجد مؤمن الطاق جواباً لهذا السؤال- النكتة إلا نكتة من نوعه.

فقال: مكذوب علينا يا نعمان ولكن بلغني عنكم معشر المرجئة أن الميت منكم إذا مات قمعتم في دبره قمعاً فصببتم فيه جرة من ماء لكيلا يعطش يوم القيامة..

فقال أبو حنيفة: مكذوب علينا وعليكم.

ولقيه بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام فقال لمؤمن الطاق: مات إمامك!!.

فأجابه: لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم!! يقصد إبليس.

وكما كان مجادلاً حاذقاً ومتكلماً ناطقاً، فقد خلف عدداً من الكتب، فله كتاب الإمامة وكتاب المعرفة، وكتاب الرد على المعتزلة في إمامة الفضول، وكتاب الجمل في أمر عائشة وطلحة والزبير، وكتاب إثبات الوصية، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة وكتاب الاحتجاج في إمامة علي عليه السلام ، وكتاب كلامه مع الخوارج.

[59] / تنقيح المقال 3/ 162

## 2- هشام بن الحكم
## الوفاة: سنة 188 هـ في الاختفاء من هارون الرشيد
## ولد سنة 113 هـ

(هشام بن الحكم رائد حقنا وسابق قولنا المؤيد لصدقنا والدامغ لباطل أعدائنا من تبعه وتبع أثره تبعنا ومن خالفه وألحد فقد عادانا وألحد فينا )

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

مع انتمائه إلى خط أهل البيت وجد ضالته.

ذلك أنه بالرغم من قدرته على الجدل وإقناع الخصم بحق أو باطل، إلاّ أنه كان يجد كلامه وإن بدا مقنعاً للسامع، وغير قابل للرد في نظر المجادل إلاّ أنه كان يستطيع بسهولة أن يدرك أن هذا الكلام غير صحيح وإن بدا مرتب الألفاظ ومحكم المقدمات.

فقد تستطيع إقناع الآخرين بما لديك لضعف حجتهم، وقلة اطلاعهم ولكنك تدرك أن ما قلته لا يمت للصواب بصلة.

ومع انتمائه لمنهج أهل البيت واطلاعهم على ثقافتهم، استطاع أن يغدو معجزة زمانه لأنه جمع الحق إلى لسانه وقدرته.

فكيف صُنعت هذه المعجزة على يد هشام بن الحكم ؟! لنكن مع البداية.. حيث كان هشام جهمياً من أتباع الجهم بن صفوان الذي كان يؤمن بأن الصفات التي يوصف بها البشر كالعلم والقدرة والحياة لا يمكن وصف الله تعالى بها، الأمر الذي يستلزم تعطيل أكثر الصفات.

وكان هشام في مذهبه هذا قوي الحجة، هذا وهو لم (يخط عارضه بعد) أي لا يزال في ميعة الشباب، وأوائله.

وجاء ذلك اليوم الذي كتب فيه من السعداء!! ولنترك عمه عمر بن يزيد يتحدث:

.. وكان ابن أخي هشام يذهب في الدين مذهب الجهمية خبيثاً فيهم (أي قوياً) فسألني أن أدخله على أبي عبد الله ليناظره ؟! وهنا يتبين كم كانت ثقته في نفسه كبيرة.

فأعلمته أني لا أفعل ما لم أستأذنه فيه، فدخلت على أبي عبد الله فاستأذنت في إدخال هشام عليه فأذن لي، فقمت من عنده، وخطوت خطوات، فذكرت رداءته وخبثه، فانصرفت إلى أبي عبد الله عليه السلام فحدثته رداءته وخبثه، فقال لي أبو عبد الله: يا عمر تتخوف عليّ !!.

فخجلت من قولي وعلمت أني قد عثرت!! إذ كيف أخاف على الصادق من هشام ؟! والصادق هو الأمين على علوم الوحي، وعنده ما نزلت به الكتب ومواريث الأنبياء !!.

وهكذا خرج عمر خجلاً إلى ابن أخيه هشام، ودخل معه وجلسا، " فلما تمكن من مجلسه سأله أبو عبد الله عن مسألة فحار فيها هشام وبقي، فسأله هشام أن يؤجله فيها فأخله أبو عبد الله، فذهب هشام واضطرب في طلب الجواب أياماً فلم يقف عليه فرجع فأخبره أبو عبد الله بها وسأله عن مسألة أخرى فيها فساد أصله وعقم مذهبه فخرج هشام من عنده مغتمّاً متحيراً (قال: فبقيت أياماً لا أفيق من حيرتي).

وكان لا بد لهشام الذي استطاع أن يعجز غيره من العلماء بمسائله ونقاشه بالرغم من عقم محتوى مذهبه، كان لا بد له أن يعترف أن قدرته الكلامية لم تغن عنه من حق الإمام شيئاً، وأنه الآن يقف أمام عالم لا كالعلماء، إنه نفحة من رسول الله 1 ، وثمرة طيبة من علي عليه السلام .

" فسألني هشام أن أستأذن له على أبي عبد الله ثانياً، فدخلت عليه فاستأذنت له فقال أبو عبد

الله لينتظرني في موضع سماه بالحيرة لألتقي معه فيه غداً إن شاء الله إذا راح النهار، فجئت إلى هشام وأخبرته بمقالته وأمره فسرّ بذلك واستبشر، وسبقه إلى الموضع الذي سماه.

ثم رأيت هشاماً بعد ذلك فسألته عما كان بينهما فأخبرني أنه سبق أبا عبد الله إلى الموضع الذي كان سمّاه، فبينا هو إذا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل على بغلة له، يقول هشام فلما أبصرت به وقرب مني هالني منظره وأرعبني حتى بقيت لا أجد شيئا أتفوه به ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقته، ووقف أبو عبد الله علي مليّاً ينتظر ما أكلمه وكان وقوفه علي لا يزيدني إلاّ تهيباً وتحيراً، فلما رأى ذلك مني ضرب بغلته وسار حتى دخل بعض السكك، وتيقنت أن ما أصابني من هيبته لم يكن إلا من قبل الله عز وجل ومن عظم موقعه ومكانه من الرب الجليل [60].

وهكذا دخل هذا الشاب إلى التجمع الرسالي الذي كان يقوده الإمام الصادق عليه السلام ليصل في فترة قصيرة إلى أعلى المراتب، ذلك أن هذا التجمع إنما تحكمه قيم الكفاءة والتقوى فمن كان كفوءاً يتقدم سواء كان صغير السن أو كبيره..

ليس هذا التجمع أسرة مالكة حتى يتقدم فيها الأمير وأبناؤه ، ولا قبيلة حتى يتقدم فيها الكبير سناً، إنما قيم التفاضل فيه الكفاءة.. لذلك استطاع هشام على حداثة سنه أن يتقدم من هو كبر منه سناً، وأقدم منه انتماء. فقد دخل على الإمام الصادق عليه السلام بمنى (وهو غلام أول ما اختط عارضاه وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبو جعفر الأحول (مؤمن الطاق) وغيرهم فرفعه على جماعتهم وليس فيه إلاّ من هو أكبر منه سناً، فلما رأى أبو عبد الله أن ذلك الفعل كبر على أصحابه وقال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده "[61] .

وكان الإمام الصادق عليه السلام كان يستشرف المستقبل حيث سيصبح هشام (الذي فتق الكلام في الإمامة وسهل طريق الحجاج، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب)، واستمر على ذلك حتى كانت منيته في اختفائه هرباً من هارون الرشيد ؟ الذي طلبه كما سيتبين بعدئذ.

ونود هنا أن نشير إلى ملاحظة مهمة، تلك هي أننا سنلاحظ أن أصحاب الصادقين والكاظم عليه السلام ، كانوا يتميزون في الغالب- بقدرتهم على المناظرة، بل إن أدوارهم ربما كانت تتلخص في هذا الاتجاه.. فما هو السبب ؟!.

لا.. لم تكن هذه المناظرات ترفاً فكرياً، أو ملح مجالس!!.

إنما كانت جوهر الصراع الدائر آنئذٍ..

ذلك أن الصراع في بدايات أيام العباسيين تحول عما كان عليه أيام الأمويين ليصبح صراع ثقافات وعقائد.. فإضافة إلى انفتاح البلاد الإسلامية على ما سواها من ثقافات بحيث عاد من الطبيعي أن تجد رأس الجالوت، وعمران الصابي، والموبذ المجوسي وعلماء المسلمين في مجلس نقاش واحد، وكل يدلي بما عنده.

إضافة إلى أن العباسيين بعد أن سيطروا على الحكم وجدوا أنهم يعانون (أزمة أيدلوجية) تغطي وجودهم السياسي، فظلّوا يبحثون هنا وهناك وفي هذه السوق كانت العقيدة والثقافة هي السلعة المطلوبة.

ولهذا وجدنا أن هارون الرشيد بالرغم من كونه يتصرف في بلاد بلغت أقصى اتساعها في عهده، بما تؤتي من خراج، وبما تستطيع الخلافة أن تحشد من عسكر ولكنه يخاف من لسان هشام بن الحكم الذي يراه أشذ عليه من مائة ألف سيف.

إن اللسان هنا بما يستطيع من تهديم عقيدي لشرعية النظام، يقوم فعلاً بدور مائة ألف سيف.

---

[60] / رجال الكشي 2/ 529.

[61] / تنقيح المقال 3/ 294.

لأن محور الصراع قد تغير!! ولذلك يصبح الإعلان عن هذه العقيدة بدوره مبرراً كافياً ( لإعدام) صاحبها !!..

ونأخذ نموذجين من مناظرات هشام بن الحكم إحداهما وهو شاب مع شيخ المعتزلة غير المنازع عمرو بن عبيد الذي ثنيت له وسادة الكلام والإفتاء في البصرة، فلنستمع إلى يونس بن يعقوب الذي روى أنه:

كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هشام! قال: لبيك يا بن رسول الله، قال: ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد ؟ وكيف سألته ؟.

فقال هشام: إني أجلك وأستحيي منك، فلا يعمل لساني بين يديك، قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أمرتكم بشيء فافعله، قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك علي، فخرجت إليه فدخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء من صوف متزر بها وشملة مرتد بها، والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي.

ثم قلت: أيها العالم أنا رجل غريب فأذن لي أسألك عن مسألة ؟

قال، فقال نعم. قال، قلت له: ألك عين ؟ قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال أرأيتك شيئاً كيف تسأل ؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل وإن كان مسألتك حمقاً.

قلت: أجبني فيها، قال، فقال لي: سل، قال، قلت: ألك عين ؟ قال: نعم قلت: فما ترى بها ؟ قال: الألوان والأشخاص ، قال، قلت: فلك أنف ؟ قال: نعم، قال، قلت ؟ فما تصنع به ؟ قال: أشتم به الرائحة، قال، قلت: فلك فم ؟ قال: نعم قال، قلت: فما تصنع به ؟ - قال: أذوق به الطعم.

قال، قلت: ألك قلب ؟ قال: نعم. قال، قلت: فما تصنع به ؟

قال : أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح، قال، قلت: أليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ قال: لا، قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟ قال: يا بني الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته ردته إلى القلب فيتيقن اليقين ويبطل الشك، قال، قلت: وإنما أقام الله القلب لشك الجوارح ؟ قال: نعم، قال، قلت: فلا بد من القلب وإلاّ لم تستيقن ا لجوارح ؟ قال: نعم.

قال، قلت: يا أبا مروان إن الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن لها ما شكت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافاتهم لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك.

قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام ؟ قال، قلت: لا، فقال: أجالسته ؟ قال، قلت: لا، قال: فمن أين أنت! قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذن هو، قال: ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: يا هشام مَن علّمك هذا ؟ قال: قلت يابن رسول الله جرى على لساني، فقال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى [62].

ولا يغيب عن البال أن نقطة الصراع الأصلية بين فرق المسلمين إنما هي (الإمامة) فـ (أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة في كل زمان) [63].

لذلك وجدنا أن أكثر كتبه ومناظراته كانت في اتجاه إثبات عقيدة أهل البيت في الإمامة، ورد

---

[62] / رجال النجاشي 433 والفهرست للشيخ الطوسي.

[63] / الملل والنحل للشهرستاني.

الأفكار الأخرى، ولعل استعراضاً سريعاً لكتبه يثبت هذا الأمر، بالرغم من تنوع مواضيعها:
فلهشام:
1- كتاب الإمامة.
2- الرد على من قال بإمامة المفضول.
3- اختلاف الناس في الإمامة.
4- التدبير في الإمامة (مجموع من كلامه).
5- الوصية والردّ على من أنكرها.
6- المجالس في الإمامة.
7- مناظرته مع الأباضية.
8- مناظرته في ضرورة احتياج الناس إلى حجة.
9- في بيان أحقية علي عليه السلام بالخلافة دون غيره.
10- في أفضلية علي عليه السلام على جميع الأمة.
11- في إثبات وجوب الموالاة لعلي عليه السلام .
12- في لزوم طاعة الإمام الحق.
وله في الحكمة والكلام:
13- كتاب الدلالة على حدوث الأشياء.
14- الرد على أرسطاليس في التوحيد.
15- كتاب الرد على الزنادقة.
16- المجالس في التوحيد.
17- الرد على أصحاب الطبائع.
18- الاستطاعة.
19- في الجبر والقدر.
20- كتاب الشيخ والغلام في التوحيد.
كما أنه كتب في أحداث التاريخ الإسلامي خصوصاً تلك التي تنتهي إلى البحث في مسائل الإمامة، فله:
21- كتاب الرد على المعتزلة في طلحة والزبير.
22- كتاب الحكمين.
وبالرغم من تقية هشام لكيلا يسلّط على نفسه سيف البغي العباسي، وعدم تظاهره ما أمكنه ذلك- بمعاداة خط العباسيين كما ينقل أن يحيى بن خالد البرمكي كان قد وجّه له سؤالاً محرجاً و هارون الرشيد، يسمع من خلف ستار فقد قال له:
- يا أبا محمد (كنية هشام) أما علمت أن علياً نازع العباس إلى أبي بكر ؟.
فأجاب هشام- نعم.
فسأله:- فأيهما كان الظالم لصاحبه ؟! فتوقف هشام وقال: - في نفسه - إن قلت العباس خفت الرشيد، وإن قلت: علياً ناقضت قولي وعقيدتي.
ثم قال: لم يكن فيهما ظالم !!.
فسأله مرة أخرى: أفيختصم اثنان في أمر وهما محقان جميعاً ؟!.
قال هشام: نعم اختصم الملكان إلى داود وليس فيهما ظالم وإنما أراد أن ينبهاه كذلك اختصم هذان إلى أبي بكر ليعلماه ظلمه، فأمسك السائل ووقع الجواب موقع القبول في نفس هارون ومال قلبه لهشام.
إلاّ أن ذلك كان من لحظات الإعجاب بالخصم التي ما تلبث أن تخلي مكانها لموقف

الخصومة الثابت، بل تزيد هذا الموقف عمقاً وتركيزاً، إذ أن قوة الحجة، والذكاء البارع الذي يصنع الإعجاب في المرحلة الأولى هو الذي يصنع الخوف ويزيد الترقب في المرحلة الثانية، حيث يعرف هارون أن يواجه رجالاً من هذا النوع الاستثنائي: بحور علم، ومحيطات معرفة!!.
والتقت هذه الهواجس والأفكار برغبة كامنة لدى يحيى البرمكي الذي كان يرى أن هشاماً أصبح رائد حق أهل البيت وسابق قولهم ومؤيد صدقهم،وكان عسيراً على يحيى البرمكي أن يسكن أمام ذلك، فبدأ يكيد لإنهاء أمر هشام.. وهكذا كان.. فقد جاء ذات يوم إلى هارون الرشيد وقال له: يا أمير المؤمنين إني استبطنت أمر هشام فإذا هو يزعم أن لله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة، قال: سبحان الله، قال: نعم، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الإلباد بالأرض.
فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم، لا يفطنون بي، ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتي بأصله لهيبتي، قال: فوجه يحيى فأشحن المجلس من المتكلمين، وكان فيهم ضرار بن عمرو، وسليمان بن جرير، وعبد الله بن يزيد الأباضي، و موبذان موبذ، ورأس الجالوت.
قال، فتسألوا وتكالموا وتناظروا وتناهوا إلى شاذ من مشاذ الكلام، كل يقول لصاحبه لم تجب ويقول قد أجبت، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس واغتنم ذلك لعلة كان أصابها هشام بن الحكم.
فلما أن تناهوا إلى هذا الموضع، قال لهم يحيى بن خالد: ترضون فيما بينكم هشاماً حكماً ؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير فأنى لنا به وهو عليل، قال يحيى: فأنا أوجّه إليه فأسأله أن يتجشم المجيء، فوجه إليه فأخبره بحضورهم، وأنه إنما منعه أن يحضره أول المجلس اتقاءه عليه من العلة، فإن القوم قد اختلفوا في المسائل والأجوبة، وتراضوا بك حكماً بينهم، فإن رأيت أن تتفضل وتحمل على نفسك فافعل.
فلما صار الرسول إلى هشام: قال لي: يا يونس قلبي ينكر هذا القول، ولست آمن أن يكون هاهنا أمر لا أقف عليه، لأن هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغير عليَّ لأمور شتى. وقد كنت عزمت أن من الله علي بالخروج من هذه العلة أن أشخص إلى الكوفة وأحرم الكلام بتة وألزم المسجد، ليقطع عني مشاهدة هذا الملعون- يعني يحيى بن خالد-.
قال: فقلت: جعلت فداك لا يكون إلاّ خيراً، فتحرز ما أمكنك، فقال لي: يا يونس أترى أتحرز من أمر يريد الله إظهاره على لساني أنى يكون ذلك، ولكن قم بنا على حول الله وقوته.
فركب هشام بغلاً كان مع رسوله، وركبت أنا حماراً كان لهشام، قال: فدخلنا المجلس فإذا هو مشحون بالمتكلمين، قال: فمضى هشام نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم وجلس قريباً منه، وجلست أنا حيث انتهى بي المجلس.
قال: فأقبل يحيى على هشام بعد ساعة، فقال: إن القوم حضروا وكنا مع حضورهم نحب أن تحضر، لا لأن تناظر بل لأن نأنس بحضورك إذ كانت العلة تقطعك عن المناظرة وأنت بحمد الله صالح ليست علتك بقاطعة عن المناظرة، وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم.
قال: فقال هشام للقوم: ما الموضع الذي تناهيتم به في المناظرة ؟ فأخبره كل فريق منهم بموضع مقطعه، فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض، فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير فحقدها على هشام. قال: ثم أن يحيى بن خالد قال لهشام: أنا قد غرضنا من المناظرة والمجادلة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس لإمام، وأن الإمامة في آل الرسول دون غيرهم ؟ لقال هشام: أيها الوزير العلة تقطعني عن ذلك، ولعل معترضاً يعترض فيكتسب المناظرة والخصومة. فقال: إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له، بل عليه أن يتحفظ المواضع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك ولا يقطع عليك كلامك، فبدأ

هشام وساق الذكر لذلك وأطال، واختصرنا منه موضع الحاجة.
فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في فساد اختيار الناس للإمام، قال يحيى لسليمان بن جرير: سل أبا محمد عن شيء من هذا الباب ؟ فقال سليمان لهشام: أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة ؟ فقال هشام: نعم. قال: فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه ؟ فقال هشام: لا يأمرني. قال: ولِمَ إذا كانت طاعته مفروضة عليك وعليك أن تطيعه ؟ قال هشام: عدِّ عن هذا فقد تبين فيه الجواب.

قال سليمان: فلِم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه ؟ فقال هشام: ويحك لم أقل لك أني لا أطيعه فتقول أن طاعته مفروضة، إنما قلت لك لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلاّ على سبيل سلطان الجدل ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمى، هل هو إلاّ أن أقول لك أن أمرني فعلت، فتنقطع أقبح الانقطاع، ولا يكون عندك زيادة، وأنا أعلم بما تحت قولي وما إليه يؤول جوابي، فتمعر هارون وقال: قد أفصح[64].

وهكذا وجد هشام نفسه مطلوباً للخلافة (في عصرها الذهبي) لكلمة حق قالها في مجلس مناظرة!! فخرج من بغداد، متسللاً إلى الكوفة حيث مركز الولاء لأهل البيت، وطلبه هارون أشد الطلب، وهو لا يزال مختفياً في الكوفة في بيت أحد شيعة أهل البيت عليهم السلام حتى وافاه أجله بعد ثلاث سنوات من الاختفاء ودفن في الكوفة.

ولم يطل الأمر ليحيى..

فعلى الباغي تدور الدوائر ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها وأحياناً في أسوأ منها، فما أن تسبب في القضاء على هشام، وقبل أن ينتهي عمر[65] هشام إلاّ مختفيا في بيت من بيوت الكوفة، تحت أشد الطلب من قبل هارون، كان البرامكة قد نكبوا على يد هارون نفسه.

ولسوف يدرك كلَّ باغ بغيُه  المرء ينسى والزمان يؤرخ

## 3- زرارة بن أعين الشيباني
## توفي سنة 150 هـ
## عمره 70 سنة

" اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه فقالوا أفقه الأولين ستة: زرارة ومعروف بن خربوذ وبريد، وأبو بصير الأسدي،

---

[64] / اختيار معرفة الرجال/ 538.

[65] / ذكر بعض الرجاليين أن هشاماً توفي سنة 199 كما عن النجاشي أو سنة 197، والذي يظهر أنه لم يبق إلى هذه المدة من الثابت أن وفاته كانت في أيام حكومة هارون الرشيد وهذا قد مات سنة 193 كما عن مروج الذهب، فالذي يظهر أنه توفي عام 188- خصوصاً أن نكبة البرامكة كانت سنة 187 باعتبار أنه اختفى ثلاث سنوات بعد تلك المناظرة، كما يؤيد ما نذهب إليه كلام الشيخ في الفهرست حيث قال أنه " توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستترا"، ومن المعلوم أن المدة اليسيرة لا تصل إلى اثني عشر عاماً !!.

والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي.. وأفقه الستة زرارة "

أبو عمرو الكشي

كان الناس يفسحون الطريق ويقفون على جانبيه احتراماً وإعجاباً، والقادم من بعيد قاصداً الصلاة رجل معروف، يذكرك بسيماء الأنبياء، لقد كان وسيماً، جسيماً، أبيض بين عينيه سجادة، وعلى رأسه برنس أسود، فيزيده جمالاً وهيبة، وفي يده عصا.

إنه شيخ الشيعة ورأسهم، وصاحب الإمام الصادق المقرب زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، وإلاّ فإن أصله روميّ ..

بدأ حياته متتلمذاً على يد الحَكم بن عيينة، وهذا وإن كان سمع بعض أحاديث الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام في مدرسته وسمع بعض حديثه إلا أنه لم يكن مهيئاً لدرجة صحبة الإمام والتأثر به..

كان الحكم وأمثاله ممن لم يستقوا علمهم من مدرسة أهل البيت عليهم السلام المرتبطة بالوحي الإلهي عبر الرسول (ص) تجسيداً للقول الشهير " حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ".

لذلك لم يستطع الشاب المتعلم زرارة أن يستمر مع الحكم، فقد وهبه الله فكراً عقولاً، وقدرة نقدية تحقيقية، وكان يرى أن مباني الحكم وآراءه لا تصمد أمام النقاش ساعة. فتركه، واتجه نحو المنبع الصافي المتمثل في أهل البيت عليهم السلام. فلازم منذ حداثة سنه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وسمع حديثه، حتى أصبح من خلّص أصحابه الذين يطلب عندهم علم أهل البيت عليهم السلام..

أهّله هذا الموضع من الإمام الباقر عليه السلام وذلك العلم الذي أخذه عنه أكثر من (14) عاماً، إلى المقدار الذي يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام : لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب.. لقد وهب حافظة عجيبة وإضافة إلى ذلك، عاقلة متميزة، ولذلك أصبح في وقته شيخ الشيعة في الكلام، وكان خصماً جدلاً لا يقوم أحد لحجته، وكان صاحب إلزام. ولوصوله إلى ذلك المستوى المتقدم فقد اختصه الإمام الصادق عليه السلام وكان سبّاقا في مجالي الفقه والكلام.

هاهو يجلس للتدريس، حتى تخرج على يديه عدد كبير من أصحاب الأئمة فلقد (كان المتكلمون من تلاميذه). وقد تخرج على يديه من أصبح - فيما بعد- من علماء الشيعة، فنحن نجد أن محمد ابن أبي عمير وهو من كبار فقهاء أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام يقول لجميل بن دراج- معلمه-: - ما أحسن محضرك، وأزين مجلسك!! فقال جميل:

- إي والله ما كنا حول زرارة بن أعين إلاّ بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم [66].

ولثقة الإمام الصادق في إدراكه لفكر أهل البيت فقد جعله ميزاناً، ومقياساً للشيعة حين اختلافهم، وأرشد إليه فقد دخل الفيض بن المختار على الإمام الصادق عليه السلام سائلاً إياه عن آية من القرآن، وبعد أن أجابه الإمام سأله الفيض:

- جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟!.

- وأي اختلاف يا فيض ؟! سأله الإمام. فقال الفيض:

- إني لأجلس في حِلقهم (جمع حلقة) بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم فبم حديثهم حتى أرجع إلى المفضل بن عمر فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي، ويطمئن إليه قلبي ..

- أجل هو كما ذكرت يا فيض إن الناس أولعوا بالكذب علينا كأن الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره، وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأساً، أنه ليس

---

[66] / اختيار معرفة الرجال ص 134.

عبد يرفع نفسه إلاّ وضعه الله وما من عبد وضع نفسه إلاّ رفعه الله فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس [67].

و أومى الإمام إلى زرارة بن أعين، والملاحظ هنا أن الإمام عليه السلام أعطى له تزكية شاملة، فهو لا يريد الدنيا، ولا يطلب بحديثهم وبحبهم إلاّ ما عند الله، وهو إضافة إلى ذلك قد وضع نفسه وهو عارف بتأويل الأحاديث ومعانيها.

ونظرا لموقعه المتميز هذا بين أتباع أهل البيت فقد حاول زيد بن علي بن الحسين، الثائر العلوي أن يضمه إلى صفوف أنصاره، ولما كانت نظرية الثورة لدى الإمام الصادق عليه السلام تختلف عنها لدى زيد: لذلك لم يشارك كبار صحابة الإمام فيها، وإن لم يكونوا ضدها في نفس الوقت، فقد جاء زيد الشهيد إلى زرارة. وسأله:

- ما تقول يا فتى في رجل من آل محمد استنصرك ؟! فقال زرارة:

- إن كان مفروض الطاعة نصرته وإن كان غير مفروض الطاعة فلي أن أفعل ولي أن لا أفعل [68].

وأعجب الإمام الصادق بإجابة زرارة.

وبلغت منزلة زرارة وعدد من إخوانه أن الإمام الصادق عليه السلام كان يراهم الممثلين الحقيقيين لأفكاره في مختلف الميادين بحيث أن من يهزمهم - فكرياً- فكأنما هزم الإمام عليه السلام ، ولعل هذا يبين لنا المنزلة السامية التي وصلوا إليها، فقد ورد رجل من أهل الشام على الإمام فاستأذن، فأذن له، فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس ثم قال: حاجتك أيها الرجل ؟!.

قال: بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك!.

فقال الإمام عليه السلام : في ماذا ؟

قال الشامي: في القرآن وصله وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه.

فقال الإمام عليه السلام : يا حمران (أخ زرارة) دونك الرجل.

قال الشامي: إنما أريدك أنت لا حمران.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن غلبت حمران فقد غلبتني. فأقبل الشامي يسأل حمران، وحمران يجيبه حتى مل الشامي من السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام كيف رأيت يا شامي ؟!.

قال: رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه.. فقال الإمام:

يا حمران سل الشامي. وأقبل حمران يسأله فما ترك له مفراً ولا مهرباً. فقال الشامي: أريد يا أبا عبد الله أن أناظرك في العربية. فالتفت الإمام عليه السلام وقال:

يا أبان بن تغلب ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكشر (يبتسم).

فقال أريد أن أناظرك في الفقه فقال أبو عبد الله: يا زرارة ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكشر، قال: أريد أن أناظرك في الكلام فقال: يا مؤمن الطاق ناظره، فناظره فسجل الكلام بينهما، ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به، فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة فقال للطيار: كلمه فيها، فكلمه فما تركه يكشر، ثم قال: أريد أن أكلمك في التوحيد فقال لهشام بن سالم: كلمه فيها، فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام فقال: أريد أن أتكلم في الإمامة فقال لهشام بن الحكم كلمه يا أبا الحكم، فكلمه فما تركه يريم لا يحلي ولا يمر.

---

[67] / تنقيح المقال 1.

[68] / تنقيح المقال 1/ 440.

فبقي أبو عبد الله يضحك حتى بدت نواجذه. فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال ؟!.
وأجابه الإمام: هو ذاك.. ثم بدأ يقيم طريقة النقاش والمناظرة بين الشامي وكل واحد من أصحابه.
وظل زرارة يصعد بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام صعوداً صاروخياً. وبالرغم من أن قسماً من أيام الإمام كانت أيام انفتاح نسبي إلا أنها كانت تخفي الشر المستطير، إذ ما لبث المنصور العباسي أن قلب ظهر المجن وبدأ يفتك بأتباع الأئمة أي فتك، لذلك كانت المصلحة تقتضي إخفاء العلاقة الوطيدة بين الإمام وبين زرارة بل وإشاعة نظرة مخالفة لما عليه زرارة من موقع الاحترام والتقدير بالنسبة للإمام.. ومن الواضح أن أمر المحافظة على حياة مثل هذا العالم الكبير، و" خزينة أحاديث الأئمة"، أهم من سائر الاعتبارات الشخصية والاجتماعية، لذلك أشاع الإمام الصادق عيب زرارة، وربما وصل الأمر إلى لعنه والتهجم عليه، كما يفهم من عدد من الأحاديث.
تلقت الأوساط الموالية والمخلصة هذه الأحاديث اللاعنة بكثير من القلق، ذلك أن غضب الإمام يعني خروج الشخص (المغضوب عليه) عن جادة الاستقامة، والحال أن زرارة هو زرارة لم يتغير !!.
وكان أول الذين فوجئوا بهذه الأخبار، زرارة نفسه، فبالرغم من تكذيبه إياها للمرة الأولى لمعرفته بوجود أشخاص لا يتقنون غير فن الكذب على الأئمة، إلا أن " تواتر " هذه الأخبار من مصادر متعددة، جعلت القلق يسيطر عليه، لذلك قام بإرسال ابنه عبد الله إلى الإمام الصادق للاستفسار منه عن صحة ما ينقل عنه، وتفسير ذلك إن كان صحيحاً. وجاء عبد الله للإمام، وحمل الرسالة الشفهية التالية لأبيه من الإمام:
" إقرأ على والدك مني السلام وقل له إني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقربه ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه وإنما أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ونكون بذلك دافع شرهم عنك يقول الله عز وجل ( أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ).
" والله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه ولقد كانت صالحة ليس للعيب فيها مساغ والحمد لله فافهم المثل يرحمك الله فإنك والله أحب الناس إليّ وأحب أصحاب أبي حياً وميتاً. فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها. فرحمة الله عليك حياً ميتاً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً " [69].
تلقت جماعة أخرى هذه الأحاديث الذامة لزرارة بعين الرضا، وتحقيق المصلحة، فمن جهة لم يكن يروقهم هذا الصعود المستمر لزرارة فأصحاب الإمام عليه السلام ، وقلّ أن يخلو رجل جليل وصاحب شخصية من حساد، وأعداء فكانوا ينقلون هذه الأخبار من دون نقل تفسيرها، بل وكانوا يصطنعون أحاديث ينسبونها للإمام الصادق عليه السلام ، وفي المقابل ينسبون لزرارة أقوالاً في العقائد والفقه لم يقل بها، ويسألون الإمام عنها، فينفي الإمام صحة هذه الأقوال، ويستفيدون من هذا النفي في تحطيم شخصية زرارة.
ومن الواضح أن هؤلاء يمارسون دوراً خبيثاً في إسقاط الشخصيات المهمة والقيادية في التجمع، خطر هذا الدور يتبين في الأثر النفسي الذي يحصل عند الأتباع ، في فقدانهم للثقة المطلوبة في

[69] / تنقيح المقال 1/ 439

العلاقة بين القائد وجمهوره، ذلك أنهم يبدؤون بالتشكيك في كل شيء، فإذا كان زرارة وهو في تلك المرتبة، قد تبين فيما بعد أنه شخص غير مستقيم العقيدة، فمن يضمن لنا أن هؤلاء الموجودين خير منه ؟!.

ولعلّنا نلحظ كثافة الجهد الذي بذله المنحرفون عن أهل البيت عليهم السلام في اتجاه إسقاط الشخصيات المعتمدة لدى الإمام عليه السلام .

فقد دخل جميل بن دراج وهو أحد تلاميذ زرارة على الإمام الصادق عليه السلام ، يقول فاستقبلني رجل خارج من عند أبي عبد الله من أهل الكوفة فلما دخلت على أبي عبد الله قال: لقيت الرجل الخارج من عندي ؟! قلت: بلى .

قال: لا قدس الله روحه ولا قدس مثله إنه ذكر أقواماً كان أبي ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة علمه وكذلك هم اليوم عندي، هم مستودع سري، أصحاب أبي حقاً إذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياءً وأمواتاً، يحيون ذكر أبي، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين.. ثم بكى.

فقلت من هم ؟!.

فقال: من عليهم صلوات الله ورحمته أحياءً وأمواتاً برير العجلي وزرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم.

وهكذا عانى زرارة كسائر العظماء والنوابغ من دعايات الجهلة، وبالرغم من كون هذا الأمر صعب الاحتمال لدى الكثيرين إلا أنه لا يضر المرء، ذلك ما لم ينحرف عن الخط المستقيم.

وكما قال الإمام ا لصا دق عليه السلام :

" وأنا والله راض عنك فما تبالي ما قال الناس بعد هذا ".

## 4- جابر بن حيان الكوفي

## توفي بعد سنة 188 هـ مختفياً

كان جابر ينتقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفا من السلطان..

ابن النديم

جابر.. أحد التجليات لعلم أهل البيت عليهم السلام ، المحيط الشامل، الذي يستمد كل ذلك من مصدر الوحي الإلهي..

لم يستوعب معاصروه ولا المتأخرون إمكانية أن يأتي رجل من المسلمين فيؤلف ثلاثة آلاف وتسعمائة كتاب!! في مختلف الفنون، خصوصاً أولئك الذين لا يروقهم أن يشار ببنان الإعجاب والتقدير إلى نابغة من نوابغ أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، لذلك أنكر بعضهم وجوده!! وكأن الشمس تغطى بغربال !.

الذين حاولوا تفسير هذه الظاهرة- الأعجوبة، عجزوا، إذ أن بالإمكان أن يكون فرد ما مؤسساً لعلم (كالكيمياء)، ولكن أن يقوم بكتابة هذا العدد الضخم من الكتب والرسائل في مختلف الفنون والعلوم، وفي كل جانب لا يقل إبداعه عن الآخر!! فكما يكتب في الطب بجدارة، يكتب في الفلسفة بتفوّق ويرد في خمسمائة كتاب على نظريات الفلاسفة، وهكذا يكتب في الأخلاق والوعظ كما يكتب في الكيمياء وخواص المواد.

ولكن العجب يزول عندما ننفذ إلى واقع هذا التلميذ الأمين والواعي لعلم النبوة والإمامة ذلك العلم المحيط، والشامل، الذي لا حد له لأنه يتصل ببحر علم الله سبحانه وتعالى.

ذلك أن العلم، والبشر مهما بلغ من الدقة، فإنه لا يكتشف إلا ظواهر الأشياء وعلاقاتها ولا بد من الرجوع آخر الأمر إلى ما يحكم به العيان العقلي لنهتدي به سواء السبيل، وهذا العيان العقلي لا يكون لك ولي من أفراد الناس بل يكون بادئ ذي بدء وحياً يوحى به إلى نبي ثم يتوارث وبغير هذا السند نظل نتخبط أين يكون الحق وأين يكون الباطل، فالشكوك لا تنجاب في رأي جابر " إلاّ بالعيان وإقامة البرهان، وإقامة البرهان لا تكون إلا بالعيان والعيان من أفعال الأنبياء " [70].

يقول جابر مفسراً تلك الظاهرة بأنه لم يقم بشيء سوى تأليف هذه الكتب وتجميعها، وأن هذا العلم إنما كان من الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه: " تأخذ من كتبي علم النبي وعلي وسيدي- أي الصادق- وما بينهم من الأولاد منقولاً نقلاً من كان وهو كائن وما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعة ". ويقول في موضع آخر: " فو الله ما لي في هذه الكتب إلا تأليفها والباقي علم النبي "[71].

تعجب الدكتور زكي محمود أن يستكثر بعض المسلمين على الأمة أن يكون لديها نابغة مثل جابر بن حيان، والحقيقة أن انتماء جابر الواضح لأهل البيت عليهم السلام، وعدم إمكانية إنكار هذا الانتماء، كما حصل لغيره من النوابغ، إذ أنه يشير في كتبه إلى " سيدي جعفر بن محمد صلوات الله عليه ".

فلما لم يكن ذلك ممكناً، استكثر بعض هؤلاء أن يكون نوابغ الفكر، وعمالقة العلم- عادة- من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

ولما كان إلغاء شخص بهذه الشهرة من التاريخ ضرباً من العبث واللغو، بعد أن غطت أخباره صفحات المؤلفين، ومعاجم الرجال، واحتلت نسخ كتبه مساحة واسعة في مكتبات العالم، بل أصبح يضرب بشهرته في تأسيس الكيمياء المثل، تنازل هؤلاء عن إلغاء الشخص لصالح إلغاء

---

[70] / جابر بن حيان 82/ د. زكي نجيب محمود.

[71] / المصدر ص 47 عن كتاب جابر (الخواص الكبير

الشخصية، فقالوا إنه موجود ولكن هذه الكتب المعروفة باسمه، ليست له، وإنما لمؤلف غيره ولنقرأ ما كتبه ابن النديم في رده على هذا الكلام:
" تقول عنه جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين أن هذا الرجل لا أصل له ولا حقيقة، وبعضهم قال أنه ما صنف- إن كان له حقيقة- إلاّ كتاب الرحمة وأن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوها إياه.
وأنا أقول: إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة، يتعب قريحته وفكره بإخراجه ويتعب يده وجسمه بنسخه ثم ينحله لغيره إما موجوداً أو معدوماً ضرب من الجهل وأن ذلك لا يستمر على أحد ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم وأي فائدة في هذا وأي عائدة ؟! والرجل له حقيقة وأمره أظهر وأشهر وتصانيفه أعظم وأكثر وهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة وأنا أوردها في مواضعها وكتب في معاني شتى من العلوم قد ذكرتها في مواضعها من الكتاب " [72].

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يتأسف ألا يجد حملة مناسبين لعلمه ومعرفته في زمنه فكان يقول: " إن ها هنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة.. ".

وتهيأ أيام الإمام الصادق عليه السلام أن يكون من أصحابه من له قابلية حمل بعض جوانب هذا العلم، فكان هشام الكلام، وزرارة الفقه وجابر الكيمياء.. وقد أمر هؤلاء كلهم أن لا يتحدثوا إلا بمقدار لأن عقول الناس لا تحتمل، والظروف غير مناسبة لكشف كل المسائل، وما وصلنا عبر هؤلاء الرجال مع ملاحظة هذا الجانب لم يكن إلا قطرة من محيط علم الأئمة عليهم السلام ويعبر عن هذا المعنى جابر بقوله:

" ولولا أنني أمرت أن أعطي الناس بقدر استحقاقهم لكشفت من نور الحكمة ما يكون معه الشفاء الأقصى ولكني أمرت بذلك لما فيه من الحكمة لأن العلم لا يحمله الإنسان إلاّ على قدر طاقته وإلاّ أحرقه كما لا يقدر الإناء والحيوان أن يحمل إلا بقدّر طاقته وملئه وإلاّ فاض ورجع بالذل والعجز ". ونستطيع أيضاً أن نعرف أي مقدار من العلم كان الإمام الصادق عليه السلام قد أطلع عليه جابراً، مع ملاحظة احتياطه في نقل العلم وكشفه للعموم من جهة، وهذا العدد الكبير من المؤلفات، فلو لم يكن يلاحظ إخفاء قسم من العلم والتكتم عليه كما أمر بذلك، لكنا أمام عدد أكبر من المؤلفات. ونورد قسماً من أسماء مؤلفاته، ويلاحظ فيها التنوع الكبير في العلوم من كيمياء إلى منطق إلى طبقات الأرض إلى الفلسفة والطب.. هذا مع العلم أن القسم الأعظم من كتبه مفقودة.

ا- كتاب البدوح وهي مجموعة أحرف (ب، د، و، ح) وهو طلسم يفيد السرعة والإنجاز.
2- كتاب الشمس أي كتاب الذهب.
3- كتاب القمر أي كتاب الفضة.
4- كتاب الأرض (أولى، وثانية وثالثة ورابعة، وخامسة وسادسة وسابعة).
5- كتاب الحيوان.
6- كتاب الأحجار.
7- كتاب الزئبق.
8- كتاب خواص إكسير الذهب.
9- كتاب الوصية.
10- كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل.
11- كتاب الموازين.
12- كتاب مصححات سقراط.

[72] / أعيان الشيعة 7/ عن فهرست ابن النديم.

13- كتاب مصححات أفلاطون.
14- كتاب ما بعد الطبيعة.
15- كتاب المجردات.
16- كتاب التراكيب.
17- كتاب الأسرار.
18- كتاب الباهر.
19- كتاب الخالص.
20- كتاب النور.
21- كتاب التدابير.
22- كتاب الواحد الكبير.
23- كتاب الواحد الصغير.
24- كتاب الملاغم الجوانية.
25- كتاب الملاغم البرانية.
26- كتاب الإمامة.
27- كتاب الاستتمام.
28- كتاب الرحمة.
29- الأسطقس الأول والثاني.
30- كتاب البيان.
31- كشف الأسرار وهتك الأستار.
32- كتاب رسائل جعفر الصادق عليه السلام .
33- الجامع في الأصطرلاب.
34- كتاب السموم.

ويتحدث جابر عن تأليفاته قائلاً: ألفت ثلاثمائة كتاباً في الفلسفة و ألفاً وثلاثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب، ثم ألفت في الطب كتاباً عظيماً، ثم ألفت كتباً صغاراً وكباراً وألفت كتب المنطق على رأي أرسطاليس، ثم ألفت كتاب الزيج اللطيف نحو ثلاثمائة ورقة ثم ألفت كتاباً في الزهد والمواعظ، وألفت كتبا في العزائم كثيرة.. " .

ولقد كان " جابر وهو تلميذ جعفر الصادق وصديقه، وقد وجد في إمامه الفذ سنداً ومعيناً ورائداً أميناً وموجهاً لا يستغني عنه وقد حاول جابر أن يحرر الكيمياء بإرشاد أستاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الإسكندرية فنجح في هذا السبيل إلى حد بعيد من أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع أساطين هذا الفن في العالم أمثال بويله وبريستله ولافوازيه، وغيرهم من الأعلام " [73] كما يقول هولميارد.

وإذا كان للأمة نوابغ في مستوى جابر بن حيان، فقد كان فيها فراعنة في مستوى هارون الرشيد، الذي جرد سيفه بغيه، وعدوانه متتبعاً أصحاب أهل البيت، ونوابغ الأمة، فتراهم بين مشرد، وسجين وشهيد، وهكذا طورد جابر، وطلب لهارون، ففر بدينه حاملاً معه علمه لكي يختفي في الكوفة مدة طويلة، حتى وافاه الأجل خائفاً مطلوباً بعد سنة 188هـ.

[73] / فلاسفة الشيعة/ 219.

**5- السيد اسماعيل بن محمد الحميري**
**العمر:73 سنة**
**الوفاة: سنة 178 هـ ببغداد**

( أنت سيد الشعراء)

الإمام الصادق عليه السلام

" إذا أراد الله بعبد خيرا لم يمت حتى يعرّفه هذا الأمر ".

هكذا افتتح السيد الحميري الشاعر حديثه مع جمع من أصحابه، عندما سألوه عن كيفية هداية الله له حتى أصبح شاعر أهل البيت غير المنازع في حينه ؟! خصوصاً وأنه نشأ في بيئة لم تتقن شيئاً كما أتقنت النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً لأمير المؤمني عليه السلام ، إذ كان والده أباضيين يدينان بمذهب الخوارج المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام .

وبالفعل فقد كان من المقدر لولا عناية الله أن يكون السيد في صحراء التيه والعداوة لأمير المؤمنين، فلنستمع إليه يتحدث عن تلك الرحلة المذهلة من الضياع التام إلى الهداية النسبية إلى الهداية المطلقة، من الأباضية إلى الكيسانية إلى مذهب أهل بيت الرسول(ص).

ابتسم في الوقت الذي علت سحابة هم على وجهه، بدأت تلك الابتسامة، كان يودّ لو أن والديه أدركتهما هداية الله ولم يموتا على تلك العقيدة الفاسدة، ومرت بذهنه تلك الأيام العجاف، وانطلق يتحدث:

" كنت وأنا صبي أسمع أبوي يسبان أمير المؤمنين عليه السلام فأخرج عنهما وأبقى جائعاً وأوثر ذلك على الرجوع إليهما، فأبيت في المساجد جائعاً لحبي فراقهما وبغضي إياهما حتى إذا أجهدني الجوع رجعت، فأكلت ثم خرجت فلما كبرت قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر، قلت لأبوي: إن لي عليكما حقّاً، يصغر عند حقكما عليّ فجنّباني إذا حضرتكما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام بسوء، فإن ذلك يزعجني وأكره عقوقكما بمقابلتكما ".

كان هذا الحل مناسباً، إذ أنه يحفظ حرمة أبويه فلا يهجرهما ولا يعقهما من جهة ولا يضطر إلى مقابلتهما، ومواجهتهما في الحديث عندما يبدأن بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام من جهة أخرى إلاّ أنهما استمرا على طريقتهما وأسلوبهما، إلى الحد الذي كانت أمه تستيقظ نصف الليل لكي تؤدي ورِدها في شتم الإمام علي عليه السلام ؟! ولا تنسى أن توقظ ابنهما لكي تحذره من الاستمرار في هذا الطريق قائلة:

- إني أخاف أن تموت على مذهبك فتدخل النار فقد لهجت بعلي وولده فلا دنيا ولا آخرة ولقد نغصت علي مطعمي ومشربي!!.

وكما استمر والداه على طريقهما في معاداة أمير المؤمنين عليه السلام فقد " فاضت على السيد الرحمة فاستنقذته " وكان يرى أن لا قوة في العالم تستطيع أن تحرّك قيد أنملة من ولائة وهل يعود إلى الجاهلية من رأى النور ؟! (وماذا بعد الحق إلاّ الضلال المبين) ؟! .

ها هو يخاطب أمه:

فقلت: دعيني لن أحبّر مدحة لغيرهم ما حج لله أركب
أتنهينني عن حب آل محمد ؟! وحبّهم مما به أتقرب
وحبهم مثل الصلاة وأنه على الناس من بعد الصلاة لأوجب [74]

[74] / الغدير 2/ 232.

وتوعداه بالقتل.. هل تتصور أن أمّاً تقتل ابنها ؟! أو أن أباً يشحذ السكين ليختم بها حياة ولده لحبّ هذا الولد لأمير المؤمنين ؟! نعم.. يقول السيد:

" فتواعداني بالقتل، فأتيت للأمير عقبة بن مسلم فأخبرته خبري فقال لي: لا تقربهما وأعدّ لي منزلاً أمر لي فيه بما أحتاج إليه وأجرى عليّ جراية تفضل على مؤونتي ".

وهكذا انفصل عن والديه مسكناً ومعيشة بعد أن انفصل عليهما مذهباً وعقيدة. وانطلق يبحث عن ضالته في دنيا العقائد.. لقد أحب أهل البيت وأترعت نفسه إعجاباً بشخصية أمير المؤمنين، إذ وجده قرآناً ناطقاً ومعجزة متحركة، وتجلياً أعظم لتربية الرسول (ص)، فوقف شعره عليه فأرخ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام شعراً.

ولهذا العمل أهمية كبرى ذلك أنه جاء بعد سنوات من الحكم الأموي الذي كان فيه نقل فضائل أمير المؤمنين ممنوعاً أشد المنع وكان الراوي لتلك الفضائل يعرض للعقوبة، حتى وإن كانت تلك الفضائل في شرح وتفسير آيات القران الكريم، فمن جهة كان السيد يؤرخ تلك الفضائل، ومن جهة أخرى فإن كون ذلك التاريخ بالشعر يعطيه ميزة خاصة ذلك أن الشعر أسهل تناولاً لدى العرب في ذلك الوقت لحفظه..

وقد كان يستعلم من فضائل الإمام من حفاظ الأحاديث والتابعين ويتتبع المجهول منها حتى يسلّط عليه أنوار شعره ليحفظه الناس إلى الحدّ الذي كان " يتحدى "، أن يوقفه بعضهم على فضيلة غير مذكورة في شعره من فضائل الإمام.

كان السيد يأتي الأعمش سليمان بن مهران الكوفي فيكتب عنه فضائل علي أمير المؤمنين عليه السلام ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً فخرج ذات يوم من عند بعض أعيان الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة، ثم قال: يا معشر الكوفيين ؟ من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما علي، فجعلوا يحدثونه وينشدهم حتى أتاه رجل منهم وقال: إن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام عزم على الركوب فلبس ثيابه وأراد الخف فلبس أحد خفيه ثم أهوى إلى آخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود (ثعبان) وانساب فدخل حجراً فلبس عليّ عليه السلام الخف.. ولم يكن قد قال في ذلك شيئاً ففكر هنيهة ثم قال:

ألا يا قوم للعجب العجاب  لخف أبي الحسين وللحباب
أتي خفّاً له وانساب فيه  لينهش رجله منه بناب
فخرّ من السماء له عقاب  من العقبان أو شبه العقاب
فطار به فحلق ثم أهوى  به للأرض من دون السحاب
ودوفع عن أبي حسن علي  نقيع سمامه بعد انسياب

ثم حرّك فرسه وثناها وأعطى كل ما كان معه من المال والفرس للذي روى له الخبر وقال: إني لم أكن قلت في هذا شيئاً [75].

ولأنه رأى الظلم قد مدّ بساطه الأسود على المجتمع في صورة ضحايا وشهداء وأرامل ويتامى، فقد كان يرتقب الفجر، ويأمل في تحول هذه الأوضاع وتغيرها، إلى مجتمع العدالة والحرية والرفاه، وحيث كان من الكوفيين من يعتقد في إمامة محمد بن الحنفية بعد أخويه الحسن والحسين عليه السلام ، وأنه- أي محمد- لم يمت، وإنما ينتظر لإعلان الثورة على الفساد وإقامة العدل والحق، خصوصاً لكونه من بني هاشم ولمطابقة اسمه لاسم النبي (ص). وكان على هذه العقيدة طائفة سميت فيما بعد بالكيسانية.

---

[75] / الغدير 2/ 242.

ولشعور السيد المرهف وإحساسه بوقع الظلم، وأمله في تغيير هذا الواقع فقد لقيت هذه العقيدة في قلبه الثائر مجالاً لكي تستقر فيه، وهكذا اعتنق الكيسانية باعتبارها أملاً ثورياً ومذهب معارضة وإعلان ولاء لأمير المؤمنين من خلال ابنه محمد، وفي هذا الصعيد فقد أثر عنه قصائد تبشر بظهور محمد بن الحنفية من مخبئه في جبال رضوى ليقيم دولته وعدالته. إلاّ أن لقاء السيد بالإمام الصادق عليه السلام أصلح اتجاه بوصلة تفكيره، ومرة أخرى لنعد للسيد متحدثاً عن هذه الهداية:

" كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن علي الملقب بابن الحنفية، قد ضللت في ذلك زماناً فمن الله عليّ بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام وأنقذني به من النار وهداني إلى سواء الصراط فسألته بعد ما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها منه أنه حجة الله عليّ وعلى جميع أهل زمانه فإنه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به فقلت له: يا ابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليه السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبروني بمن تقع ؟! فقال عليه السلام : إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله (ص)، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً..

قال السيد: فما سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدتي:

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا ... تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
وناديت باسم الله والله أكبر ... وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت داياً ... به ونهاني سيد الناس جعفر
فقلت: فهبني قد تهودت برهة ... وإلاّ فديني دين من ينتصر
وإني إلى الرحمن من ذاك تائب ... وإني قد أسلمت والله أكبر
ولست بغال ما حييت وراجع إلى ... ما عليه كنت أخفي وأضمر
ولا قائلاً حي برضوى محمد ... وإن عاب جهال مقالي فأكثروا
ولكنه مما مضى لسبيله ... على أفضل الحالات يقفى ويخبر
مع الطيبين الطاهرين الأولى لهم ... من المصطفى فرع زكي وعنصر [76]

وبالرغم من معرفة السيد بأن الجو العام الحاكم لا يرحب بتمجيد أهل البيت عليهم السلام سواء في ذلك الحكومة العباسية أو سائر الشعراء وأهل الأدب، لما يعني ذلك من توجيه الناس إلى حقهم، وفي ذلك من الخطر على الحاكمين ما لا يخفى، كذلك فإن هذا المنحى في الشعر كفيل بإماتة روايته والتغاضي عنه من قبل الرواة، مما يضيع- حسب المقاييس العادية- شعر الشاعر، مع كل ذلك فإن السيد قد وقف شعره على هذا الجانب، وأراد الله لشعره البقاء والخلود. لخلود محتوياته ومعانيه.

فقد روى التوزي قال:

رأى الأصمعي [77] جزءاً من شعر السيد، فقال لمن هذا ؟! فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه فأقسم

---

[76] / كمال الدين وتمام النعمة ص 20.

[77] / الأصمعي: معروف بعداوته لأهل البيت عموما ولأمير المؤمنين خصوصاً وقيل إنه قد حد أمير المؤمنين جده في السرقة.

عليّ أن أخبره، فأخبرته فقال: أنشدني قصيدة منه، فأنشدته. ثم أخرى وهو يستزيدني ثم قال: قبحه الله (!) ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ولولا ما في شعره لما قدمت عليه أحداً من طبقته !![78].

ولكن.. هل كان السيد إسماعيل ينتظر التقديم من الأصمعي، ممن يأكل فتات موائد الظلمة ويمسح أعتابهم ؟! لقد انتخب طريقه وهو يعلم إلى أين ينتهي وهو القائل:

أيا رب إني لم أرد بالذي به مدحت علياً غير وجهك فارحم

وينبغي أن يشار إلى أن السيد- وهو لقب أطلقه عليه الإمام الصادق عليه السلام إذ قال له: أنت سيد الشعراء، وإلا فإن اسمه (إسماعيل)- لم يكن شاعراً مجيداً فحسب بل كان عالماً قوي الحجة وسريع البديهة. ويكفي أن الكميت بن زيد الأسدي وهو أول من نظم جدال الشيعة وحججهم في الإمامة بالشعر من خلال هاشمياته، يقول للسيد: أنت يا أبا هاشم أعلم منا وأفقه.

(1) (2)

فقد حج السيد الحميري أيام هشام بن عبد الملك فلقي الكميت، فسلّم عليه وقال له: أنت القائل:

ولا أقول إذا لم يعطيا فدكاً بنت الرسول ولا ميراثه كفرا

الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا حضرا ؟!

قال الكميت: نعم قلته تقية من بنى أمية وفي مضمون قولي شهادة عليهما بأنهما أخذا ما كان في يدها.

فقال له السيد : لولا إقامة الحجة لوسعني السكوت، لقد ضعفت يا هذا عن الحق، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها، وإن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. وإن رسول الله وهب لها فدكاً بأمر الله وشهد لها أمير المؤمنين والحسن والحسين وأم أيمن بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقطع فاطمة فدكاً فلم يحكما لها بذلك والله يقول: ( يرثني ويرث من آل يعقوب)، ويقول: ( وورث سليمان داود ). وهم يجعلون مصير الخلافة إليهم: الصلاة وشهادة المرأة لأبيها: أن رسول الله (ص) قال أمروا فلاناً بالصلاة بالناس، فصدقت المرأة لأبيها، ولا تصدق فاطمة وعلي والحسن والحسين وأم أيمن في مثل فدك ؟! وتطالب مثل فاطمة بالبينة على ما أدعت لأبيها، وتقول أنت مثل هذا ؟!.. إلى آخر حواره مع الكميت..

وأبو هارون المكفوف الشاعر يقول له: أنت الرأس ونحن الأذناب.

فقد استطاع أن يجند العباسيين- بالرغم من أنه ضدهم- إلى صف الهاشميين ضد أعداء أهل البيت، ذلك أنه كان يمدح بني هاشم، فيعمهم بالمدح، وأحياناً يشير إلى العباس عم النبي وابنه عبد الله، مع أن أعداءه كانوا يتهمونه بالتشيع، وهي تهمة كانت تكفي أيام المنصور والرشيد لقتل المتهم. ولكنه لما كان عالماً من جهة وحسن الجدال وسريع البديهة من جهة أخرى فقد كان يتغلب على هذه العقبات. ولعل في قصته مع القاضي سوار ما يشير إلى علمه وحسن تصرفه، وكذلك مع عبد الله بن أباض زعيم الخوارج حيث انتهى به إلى السجن حتى مات.

فقد كان قاضي البصرة سوّار بن عبد الله العنبري أباضياً خارجياً يعادي شيعة أهل البيت وبالطبع كان يعادي السيد الحميري لأجل ذلك، ولما رأى السيد ينشد عند المنصور، ويقرب أخذته الغيرة فقال للمنصور:

- هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه. والله إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم وأنه لينطوي على عداوتكم.

فقال السيد: والله أنه لكاذب وأنني في مديحكم لصادق ولكنه حمله الحسد إذ أراك على هذه

---

[78] / أعيان الشيعة 3/ 407.

الحال، وأن انقطاعي ومودتي لكم أهل البيت لعرق فيها عن أبوي، وأن هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عز وجل على نبيه عليه وآله السلام في أهل بيت هذا: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ) .

فقال المنصور: صدقت.

فقال سوار: يا أمير المؤمنين أنه يقول بالرجعة ويتناول الشيخين بالسب والوقيعة فيهما.

فقال السيد: أما قوله بأني أقول بالرجعة فإن قولي في ذلك على ما قال الله تعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ) وقد قال الله في موضع آخر (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) فعلمت أن ها هنا حشرين أحدهما عام والآخر خاص، وقال سبحانه: ( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ) .إلى آخر مناظرته معه [79].

حيث أمر المنصور القاضي بالكف عن السيد وأخبره أنه لا حكومة له على السيد.

وفي مرة أخرى ولما بلغ السيد أن عبدالله بن أباض يعيب على أمير المؤمنين عليه السلام وأنه يتهدد السيد الحميري بذكره عند المنصور بوجوب قتله، أرسل السيد إليه قصيدته الميمية:

لمن طلل كالوشم لم يتكلم ونؤي و آثار كترقيش معجم

في مدح الإمام عليه السلام فلما وصلت إلى ابن أباض امتعض منها جداً وأجلب في أصحابه وسعى به إلى الفقهاء والقراء فاجتمعوا وصاروا إلى المنصور وهو بدجلة البصرة فرفعوا قصته فأحضرهم وأحضر السيد فسألهم عن دعواهم.

فقالوا: إنه يشتم السلف ويقول بالرجعة ولا يرى لك ولا لأهلك إمامة.

فقال المنصور: دعوني أنا واقصدوا لما في أنفسكم.. وأقبل على السيد قائلاً: ما تقول فيما يقولون.

فقال السيد : ما أشتم أحداً وإني لأترحم على أصحاب رسول الله (ص). وهذا ابن أباض قل له يترحم على علي وعثمان وطلحة والزبير [80]. فتلوى وتثاقل ساعة فحذفه المنصور بعود كان بين يديه وأمر بحبسه فمات في الحبس وأمر بمن كان معه فضربوا بالمقارع وأمر للسيد بخمسة آلاف.

وهكذا استمر السيد في حياته مدافعا عن أهل البيت عليهم السلام مادحاً أمير المؤمنين حيناً، وراثياً للحسين آخر حتى آذنت شمس عمره بالمغيب.

وكأنّ خاتمة عمره، كانت تؤرخ مسيرة حياته، منذ البداية، وحتى أصبح سيد شعراء أهل البيت عليهم السلام.. فقد قال الحسين بن عون: دخلت على السيد الحميري عائداً في علّته التي مات فيها، فوجدته يُساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الصورة رحيب الجبهة عريض ما بين السالفتين ، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمى حتى طبقت وجهه ( اسوداداً ) فاغتم لذلك من حضره من الشيعة، وظهر من أولئك سرور وشماتة فلم يلبث إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد وتنمى حتى أسفر وجهه وأشرق، وافترّ السيد ضاحكاً وأنشأ يقول:

كذب الزاعمون أن عليّاً لن ينجي محبّه من هنات

قد وربي دخلت جنة عدن وعفي لي الإله عن سيئاتي

فابشروا اليوم أولياء علي وتولّوا عليّ حتى الممات

ثم من بعده تولّوا بنيه واحداً بعد واحد في الصفات

وأضاف: أشهد أن لا إله إلا الله حقّاً حقّاً، وأشهد أن محمداً رسول الله حقّاً حقّاً وأشهد أن علياً

---

[79] / للتفصيل يراجع الغدير 2/ 258.

[80] / يلحظ هنا ذكاء السيد حيث أن عقيدة الخوارج تكفير المذكورين.

أمير المؤمنين حقّاً حقّاً.. أشهد أن لا إله إلاّ الله..
وسقطت شمس روحه في محيط الأبدية..

الإمام الكاظم

1- بهلول الصيرفي
2- محمد ابن أبي عمير الأزدي
3- شهيد فخ
4- الخليل الفراهيدي
5- علي بن يقطين

**موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام**
**الإمام أبو الحسن**
**128- 183 هـ**

ولد عام 128 هـ وتوفي عام 183 ومدة إمامته 35 سنة.
شيء عن خصاله وصفاته :
**العبادة** : كان في الدرجة العليا من التعبد والتبتل لله سبحانه ، فقد عرف بالعبد الصالح ، وأي مرتبة هي أعظم من كون الانسان عبدا لله لا لسواه . أترى شخصا يحب السجن لأنه سينال فراغا أكبر فقد سجد لله شكرا وهو يقول : اللهم إنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت فلك الحمد .
وعندما صار في سجن الربيع بن يونس كان يطل عليه هارون الرشيد من أعلى القصر فيرى ثوبا مطروحا ، فيسأل عنه ، فيقول له ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر له في كل يوم سجدة هكذا من بعد طلوع الشمس ..
**والحلم**: وهو سيد الأخلاق ، فقد كان يسيء إليه شخص من أعدائه ، وينبزه بكلام سيء ويشتم أجداده فيحاول شيعة الإمام أن يؤذوا ذلك الرجل ، وينهاهم الإمام حتى إذا كان يوم سأل عنه فأُخبر عنه أنه ببعض نواحي المدينة في بستانه ، فركب إليه الإمام فلما رآه ذلك الرجل نادى لا تطأ زرعنا .. إلى أن وصل إليه وقال له الامام : كم غرمت في زرعك هذا ؟ قال : مئة دينار ، قال فكم ترجو منه ؟ قال : لا أعلم الغيب ! قال له : إنما قلت لك كم ترجو منه .؟ فقال : مئتا دينار .. فأعطاه الامام ثلاثمائة دينار!! فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته !
وكان يوصي أهل بيته : يا بني إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأذن اليمنى مكروها ، ثم تحول إلى اليسرى فاعتذر إليكم وقال : إني لم أقل شيئا فاقبلوا عذره !

والعلم : فقد كان علم آبائه ميراثه الأكبر فقد قال عنه أبوه الصادق : إن ابني هذا لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم .
يمكن تقسيم حياة الإمام υ إلى مرحلتين : ما كان في أيام أبيه - أي خلال السنين العشرين الأولى من عمره الشريف إذ استشهد أبوه سنة 148 - حيث كان في ضمن تلك الدائرة العلمية العظيمة التي قد بدأها والده الصادق υ ، فنحن نرى كم نقل عن الامام من أحاديث من بينها ما ينقل بينه وبين أبي حنيفة عندما سأله عن أن المعصية ممن ؟ فأجابه بجواب متين ولما يكن الامام في تلك الفترة قد تخطى وقت الشباب المبكر .
وكان الامام الصادق في هذه الفترة دائم الاشارة إليه على أنه الامام بعده ، وخليفته وحامل علمه . فكان يقول : هذا هو المولود الذي لم يولد فينا مولود أعظم بركة على شيعتنا منه . ويقول لمن حضر وسأله عن الخلف بعده : مشيرا إلى ابنه الكاظم : هذا صاحبك الذي سألت عنه .
والمرحلة الثانية تبدأ من حين استلامه لمقاليد الإمامة : عندما تصاعد الوضع السياسي أيام المنصور العباسي كما ينبؤنا عن ذلك اغتيال الامام الصادق ، ثم وصيته بذلك النحو حيث جعله واحدا من خمسة لكيلا يقول المنصور باغتياله مباشرة ( أوصى إلى أبي جعفر المنصور ، وحميدة ، ومحمد بن سليمان والي المدينة ، وعبد الله الأفطح ، وموسى ) .. واستمر ذلك مدة عشر سنوات تقريبا حتى موت المنصور الذي سلم إلى المهدي عهدته كما ينقل الطبري جثثا من العلويين في خزائن !! ثم خف الوضع قليلا في أيام المهدي ثم الهادي أيضا لمدة قد تصل لعشر سنوات ، وفيها استطاع الامام أن يقوم ببث علمه ، وتربية أتباعه ..
ولا يعني ذلك أنه كان استرخاء تام ، فقد كان الصراع الفكري على أشده بين العباسيين وبين أهل البيت فقد تبنى العباسيون بعض الشعراء الفاسدين كمروان بن أبي حفصة الذي كان ينشد الأشعار التي تبعد أهل البيت عن موقع الامامة ووراثة النبي .
كما شهدت أيام الهادي العباسي ثورة الشهيد الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى .. صاحب ثورة فخ .. والتي تألم لها الامام عليه السلام .
إلى أن جاءت أيام هارون الرشيد ، وفيها بلغت المواجهة أيامه بين الحكام العباسيين وبين أتباع الأئمة أقصاها، حيث ظروف المراقبة الشديدة ، كما يلحظ في الألقاب التي تطلق على الإمام الكاظم عليه السلام عند نقل الرواية عنه عليه السلام (الشيخ، والرجل، والعابد، والعالم...) وفي إقدام هارون الرشيد على سجن الإمام لمرات عديدة، ولم يشهد هذا مع غيره من الأئمة عليهم السلام.
كان للإمام الكاظم عليه السلام موقف صريح معارض، يتمثل في اعتبار الخلافة العباسية حكماً ظالماً، وأن التعاون معه ولو في حدود كراية الدواب في طريق مكة، عمل لا يليق بالمؤمن، وأنه من مصاديق الركون للظالمين، ولم يكن يقتصر في بيان ظلم العباسيين ولا شرعيتهم على أصحابه، بل كان يواجه الحكام بذلك أيضاً، فقد طلب إليه أحدهم تحديد فدك ليردها إليه. فأخبره أن فدك هي بحدود العالم الإسلامي آنئذٍ، يعني أن المغتصَب منهم هو منصب الخلافة وقيادة الناس.
وفي المقابل كان الإمام عليه السلام يحيط المحتاجين والفقراء، بكرمه، وعطاياه، وكانت " صرر موسى" قد ذهبت مثلاً آنئذٍ. كما كان يعرف بكظمه للغيظ وعفوه عن الخاطئ، ولذا لقب بالكاظم.
في مواجهة الحكم العباسي للإمام عليه السلام تعددت الأساليب، بتعدد الحكام حيث عاصره المنصور، والمهدي، والهادي والرشيد، فهم من جهة منعوا من الاتصال بالإمام تلاميذه تحت طائلة العقوبة، وشجعوا فقهاء آخرين على الإفتاء ودعوا الناس إليهم، وألزموا المسلمين بالعمل طبقاً لمذهب مالك، بعدما فرضوا (الموطأ) في دوائر الدولة. وحاولوا في نفس الوقت ادعاء أنهم أقرب للرسول من الأئمة، وأن الأئمة هم أبناء علي لا أبناء النبي، وقد ناظر الإمام الكاظم هارون الرشيد في المسألة حينما سأله عن ذلك، فقال له الإمام: لو خرج رسول الله وخطب إليك أكنت تزوجه ؟!

قال هارون: نعم وكنت أفتخر بذلك. فقال الإمام: لكني لا أزوجه ولا يخطب إليّ لأنه ولدني !! ...

روى العلم عنه حوالي 319 راويا وفقيها .. كان منهم فحول الفقه والمعرفة مثل : يونس بن عبد الرحمن ، وابن أبي عمير والبزنطي وصفوان بن يحيى ، وهشام بن الحكم ، وقد بلغت مؤلفات بعض هؤلاء عددا كبيرا . وغيرهم .

كما كان لديه من أصحابه من كان في مرتبة وزير الديوان الحاكم ، وهو علي بن يقطين فكان يقضي حوائج المؤمنين ، ويمارس دوره الايجابي من ذلك الموقع . وعبد الله بن سنان فقد كان خازنا لهم ، ومحمد بن اسماعيل بن بزيع .

وأخيراً تُوجت مواجهة العباسيين له بالسجن، لفصله عن أتباعه، والضغط عليه، ثم قتله في السجن. وبالفعل فقد تم سجن الإمام في سجن عيسى بن جعفر في البصرة أولاً، ثم في سجن الفضل بن يحيى، ثم في سجن السندي بن شاهك، ويرى بعض المؤرخين أن مجموع الفترات التي كان الإمام فيها مسجوناً بلغ أربعة عشر عاماً.

في أواخر أيامه أرسل إليه هارون وزيره يحيى بن خالد البرمكي قائلا له : يقول لك ابن عمك إنه قد سبق مني يمين أن لا أخليك حتى تقر لي بالاساءة وتسألني العفوو عما سلف منك وليس عليك في إقرارك عار ولا في مسألتك إياي منقصة .. فكان رد الامام عليه : يا أبا علي قل له : يقول لك موسى بن جعفر : لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء حتى نفضي جميعا إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون . وستعلم غدا إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه والسلام .

توفي مسموماً في سجن السندي بن شاهك عام 183 هـ. ودفن في بغداد..

## 1- بهلول بن عمر الصيرفي
## توفي سنة 195 هـ

( ما جن بهلول.. ولكن فرّ بدينه)

تصاعد إحساس هارون الرشيد بالخطر الذي يشكله وجود الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام على وضع خلافته ذلك أن وجود نموذج من رسول الله يمثل مسيرته وعلمه يعني أن يتوجه جمع المسلمين إليه، فكيف إذا كان هذا النموذج من ذرية الرسول ؟!.

لقد كان يؤرق مضجعه وجود الإمام الكاظم، فتراه يجلس في الليل أرقاً، يعاديه النوم وإذا حصل عليه، فإنما لكي يصبح قريناً للكوابيس، فيستيقظ فزعا يردد: آه من موسى بن جعفر هذا الشجى المعترض في حلقي !!.

إنه يعرف موقع الخليفة، ويدرك موقع الإمام، فبينما يكون الأول حاكماً على الأجساد والمظاهر، بالغلبة فإن ذاك حاكم على العقول والقلوب بالقناعة والاحترام.

ولذلك كان يفكر في " استئصال " وجود الإمام.. ولكن كيف ؟!.

* * *

طرق مسرور الخادم باب دار بهلول وكان رجلاً عالماً مشهوراً له بالفضيلة والعلم بين الناس.. وخرج بهلول..

- ما تريد ؟!.

- الخليفة يدعوك..

واستعاذ بهلول بالله.. ما الذي يريد هارون مني ؟! هل وصلت وشاية عني إليه ؟ وهل أخبر مخبر عن علاقتي بالإمام الكاظم ؟! لنتوكل على الله ولنر ما الأمر ؟!.

- يا بهلول: أعنا على عملنا.. بادره هارون بالقول.

- بماذا ؟! بأي شيء أعينك ؟!.

- بعمل القضاء!.

لقد أدرك بهلول مغزى هذا الاستدعاء، وهدف هذه الاستعانة..

نعم قتل المؤمنين ببعضهم واستصدار الفتوى من صالحي علمائهم ! انتفض بهلول وهو يعيد في خاطره صورة عشرات القضاة الذين كانت فتاواهم أمضى من سيوف الجلادين على رقاب المؤمنين.

- القضاء !! لا أصلح لذلك .. ولم يكن هارون غافلاً عن سرّ تمنع بهلول الصيرفي فهو يعرف انتماءه، ولذلك لا بد من الضغط عليه وسدّ جميع الطرق أمامه حتى يقبل..

- يا بهلول لقد أطبق أهل بغداد أنك صالح له.

- سبحان الله.. قال بهلول:

أنا أعرف بنفسي منهم ، فإن كنت في أخباري بأني لا أصلح للقضاء صادقاً، فهو ما أقول، وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح لهذا العمل. تغيرت قسمات وجه الخليفة، وبالرغم من أن سيرة الخلفاء في هذه الموارد الاستعانة بالسيف والنطع، إلاّ أنه لم يكن يريد تصفية بهلول، لقد كان يريد تصفية " إمام"، بهلول بواسطة فتواه!! لذلك أطلق السهم الأخير قائلاً :

- لا ندعك أو تقبل.

- إن كان ولا بد فأمهلوني هذه الليلة حتى أفكر في أمري.

في الصباح تجمع الناس على جلبة وأصوات، فالأطفال يركضون من كل جانب وهم يتضاحكون بينما يحمل بعضهم الأحجار الصغيرة ويرمي بها- جهة.. وهناك وقف رجل عليه ثياب رثة وقدة امتطى صهوة " عصا"، كما يفعل الأطفال، وهو يركض تلك العصا- الفرس-، ويصيح بالأطفال وسائر الناس أن يجتنبوا الطريق لكيلا تطأهم الفرس !!.

أصيب بعض الرجال بالدهشة، وغيرهم بالوجوم، وصفق آخرون على أيديهم أسفاً وحزناً:- جنّ بهلول!! العالم الواعي، الذي لا يجاريه في مضمار العقائد والبحوث الدينية أحد.. اختل! وفقد السيطرة على أعصابه.. ربما لم يحتمل عقله هذا الكم الكبير من المعلومات فأثر على توازنه العقلي !!.

وانتشر الخبر بين الناس، كالنار في الهشيم، جنّ بهلول!! جنّ بهلول.

ووصل الخبر إلى قصر الخلافة.. بهلول بن عمر الصيرفي صاحب الإمام الكاظم أصيب بالجنون! واعترضت وجه هارون ابتسامة غامضة وقال: ما جنّ بهلول.. ولكن فر بدينه منا [81].

هذه الحادثة غيرت حياة بهلول الصيرفي إلى أن توفي، غيرت الظاهر منه، لتبقى على الدور الأساسي الذي كان يقوم به قبلئذٍ في تبليغ العقائد الحقة، بل لتضيف إليه دوراً جديداً لم يكن في السابق، وذلك هو المعارضة السياسية غير المباشرة.. لم يكن قد فرّ بدينه ليقبع في زاوية السلبية،

[81] / أعيان الشيعة 3/ 617.

بل كان يتحرك في المجتمع هنا وهناك، ناشراً الوعي والطرفة والتعليق السياسي، وكل ذلك ضمن إطار الشخصية الجديدة، التي لولاها لما كان يمكن له القيام بكل هذه الأدوار مع ملاحظة الظروف السياسية آنئذٍ. هاهو يدخل المسجد وقد اعتلى المنبر- بعد أن أفرغ هذا المنبر وسواه من حضور أصحابه الحقيقيين- اعتلى المنبر أحد المشايخ من أئمة المذاهب وهو يخطب في الحاضرين:
ثلاثة أشياء يقولها جعفر بن محمد لا تعجبني :
- يقول أن العبد هو الفاعل لأفعاله وأقول إن الله هو خالق العبد وخالق أفعاله.
- ويقول أيضاً إن الشيطان يعذب بالنار يوم القيامة، وأنا أقول كيف يعذب بالنار وهو مخلوق منها ؟! ويقول إن الله تعالى لا يمكن أن يرى مع أنه موجود وأقول إن كل موجود يمكن رؤيته.
وبالرغم من أن الناس عادة يستهويهم قول المناظرات، والدليل ونقضه خصوصاً إذا كان بالأسماء وعلى وجه التحدي، إلاّ أنه لم يدر بخلد أحدهم أن الرد سيأتي من بهلول الذي كان جالساً خلف أحد الأعمدة يستمع، ولم يتوقع أحد طبيعة الرد!!.
ذلك أن بهلول قام في وسط المسجد وأخذ منه مدرة وصوبها جيداً وكأنها تعرف موقعها أسالت الدم من جبين المتكلم، وثار الهرج بين الناس، وقبض على الفاعل!! وعند الحاكم، بدأ يقرره عن اعتدائه، فأجابه: إنه لم يصنع شيئاً وأضاف:
- إنه يقول إن الله هو خالق أفعال العباد، فما ذنبي ؟! ويدعي أنه يتألم فليرني الألم إذا كان موجوداً، كما يزعم أن إبليس لا تؤثر فيه النار لأنه مخلوق منها، وهو مخلوق من التراب فكيف تؤثر فيه المدرة وهي من التراب ؟!.
ونظرا لأن الصراع السياسي بدأ يشتد بدءاً من أيام المنصور العباسي بين خط الأئمة وخط الخلافة العباسية، فقد لجأ العباسيون إلى "صناعة " نظرية تقضي بتفضيل العباس بن عبد المطلب وتقديمه على أمير المؤمنين عليه السلام (وما عشت أراك الدهر عجباً)!! و كان العباسيون يستفيدون من فرصة القمع الذي صنعوه والذي أدى إلى أن يتكلم الكثير من العلماء على ما عندهم من العقائد، وفي المقابل فسح المجال لكل ما من شأنه تضعيف خط الأئمة عليه السلام وإذا كان الكثير من العلماء لا يستطيعون نشر علمهم، فإن بهلول - بهذه الشخصية الجديدة- يستطيع ذلك، ويتقن " تمثيل " هذا الدور. لنقرأ ما يقوله التاريخ عن تلك المناظرة الطريفة بينه وبين عمرو بن عطاء العدوي فقد رأى جماعة يسرعون في المشي أمامه، فسألهم: لأي شيء تذهبون ؟!.
فقالوا إن عمرو بن عطاء العدوي من أولاد عمر بن الخطاب ومن علماء الزمان وقد حضر مجلس والي البصرة محمد بن سليمان ونحن نريد تحقيق حاله ومعرفة مبلغ فضله وكماله، وإن كنت تذهب معنا لتناظره كان ذلك حسناً.
فقال بهلول: ويلكم مجادلة العاصي توجب زيادة جرأته على العصيان.
فقال له محمد: لِم لا تتكلم ؟!.
فقال بهلول: أين للمجانين قوة تمييز هذه الأمور ؟! دع عنك ما مضى وأصلح ما نحن فيه فإني جائع! وهكذا تخلص بهلول من المأزق السياسي الذي أراد محمد إيقاعه فيه تماماً كما استطاع ذلك مع عمرو العدوي.. فخرج وهو يقول:

إن كنت تهواهم حقا بلا كذب فالزم جنونك في جد وفي لعب
إياك من أن يقولوا عاقل فطن فتبتلى بطويل الكد والنصب
مولاك يعلم ما تطويه من خلق فما يضرك أن سبوك بالكذب [82]

لقد كان جنونه أسلوباً، وأسماله الرثة تفرضها طبيعة الدور.. وكان يعرف ذلك فلم يضع هدفه

[82] / أعيان الشيعة 3/ 619.

لصالح الأسلوب، بل استخدم الأسلوب خير استخدام لنشر أفكاره ومعارفه.
مرّ ذات يوم على هارون الرشيد، فأخبره هارون أنه قد ابتنى قصراً جديداً، فذهبا لمعاينته، والتفرّج عليه، ثم طلب هارون منه أن يقول شيئاً على عادة الشعراء حينما يصفون قصور الخلفاء، فأخذ بهلول قطعة من الفحم وبدا يكتب على جدار القصر العبارات التالية:
" رفعت الطين ووضعت الدين ورفعت الجص ووضعت النص فإن كان من مالك فقد أسرفت والله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت والله لا يحب الظالمين ".
ولو فكرت عزيزي القارئ في معاني هذه الكلمات وأردت عبارات أدق وأقوى وأجمع لأعياك ذلك. فقد أدان بهلول العمل هذا باعتباره إسرافاً أو خيانة وظلماً، وأدان المنهج الذي يسير عليه الخليفة والقاضي برفع الطين والجص والبنيان، ووضع الدين والنص والإيمان جانباً، بينما المفروض أن تنعكس الآية في حياة الوالي المسلم.
وتارة يقوم بهذا العمل أمام الخليفة وأخرى خلفه.. تتغير الأساليب ولكن الهدف واحد تعرية هذه الخلافة الظالمة. وتعريف الناس بالطريق السليم.
لقد أرسل إليه هارون الرشيد طعاماً جيداً، من مطبخ القصر، ووصل الخادم إلى منزل بهلول، وبينما كان يتلمظ الخادم بريقه لرائحة الطعام الطيبة، أملاً من بهلول أن يسمح له بالأكل معه، قام بهلول بالطعام ليقدمه إلى كلب في خربة مجاورة.. فانتهره الخادم.. إذ كيف يقدم الطعام المرسل من الخليفة للكلب ؟! إن هذه اللفتة لو حصلت لكثير من الناس لأسكرته بنشوتها أياماً.. طعام الخليفة!!.
- كيف تقدم طعام الخليفة للكلب ؟!.
فقال له بهلول : - صه .. لا ترفع صوتك فلو سمع الكلب أنه من الخليفة لأبى أن يأكله ؟.

## 2- محمد ابن أبي عمير الأزدي
## توفي سنة 217 هـ

" بلغت بغداد في عهد الرشيد درجة عالية من الحضارة والعمران، فبنيت فيها القصور الشاهقة، وزادت موارد ثروتها وكانت تصل إليها التجارة من أقصى البلدان.. "
وصفوة القول إن أيام الرشيد كانت- كما يقول السيوطي- كلّها أيام خير كأنها في حسنها أعراس..[83]
"وقد فاق هارون الرشيد الخلفاء العباسيين في ولوعه بالغناء والموسيقى و إجزاله العطاء للمغنين والموسيقيين، وقد جعل للمغنين راتب وطبقات..
ولا غرو فقد ازدهرت الموسيقى في العصر العباسي بفضل اهتمام الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة الذين عملوا على رفع شأنها، وكثيرا ما كانت الأميرات وسيدات الطبقة الراقية في بغداد يشتركن في حفلات موسيقية خاصة..

* * *

(.. كنت قريباً من يحيى بن عبدالله (بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام ) في المطبق في أضيق البيوت وأظلمها فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة، فإذا هارون قد أقبل على برذون له، ثم وقف وقال :- أين هذا ؟ يعني يحيى بن عبد الله بن

[83] / تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج 2/ 62.

الحسن.
قالوا: في هذا البيت!!، قال: عليّ به، فأدني إليه فجعل هارون يكلمه بشيء لم أفهمه، فقال: خذوه !!.
فضرب مائة عصا (!) ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله ويقول بقرابتي منك، فيقول: ما بيني وبينك قرابة.. ثم حمل فرد إلى موضعه فقال: كم أجريتم عليه ؟ قالوا أربعة أرغفة وثمانية أرطال ماء.
قال: اجعلوه على النصف. ثم خرج ومكثنا ليالي ثم سمعنا وقعاً - فإذا نحن به حتى دخل فوقف موقفه، فقال: عليّ به، فأخرج ففعل به مثل فعله ذلك، وضربه مائة عصا أخرى ويحيى يناشده الله، فقال: كم أجريتم عليه، قالوا: رغيفين وأربعة أرطال ماء. قال: اجعلوه على النصف.
ثم خرج وعاد الثالثة وقد مرض يحيي بن عبد الله وثقل، فلما دخل قال: عليّ به. قالوا: هو عليل مدنف لما به، قال كم أجريتم عليه ؟ قالوا: رغيفاً ورطلين ماء قال: فاجعلوه على النصف.. ثم خرج فلم يلبث يحيي بن عبد الله أن مات [84]!!.
بين يدينا صورتان عن العصر الذهبي الذي عاشته بغداد في تاريخها،يهتم المؤرخون عادة بتسليط الأضواء على القسم الأول منها تماماً، كما كان الحكام يظهرون- ودائماً- هذا القسم. فهم يصطنعون البهجة، ويضفون معالم الزينة على البلاد، ويقيمون الاحتفالات، والاستعراضات، من عمران القصور، كل ذلك بهدف إشعار الناس بالسعادة، وإن كانوا في دركات الشقاء . .
فبينما في الظاهر جموع الموسيقيين والشعراء والمغنين وأمثالهم يغدون ويروحون إلى قصر الخليفة ويعودون حاملين عطاياهم وجوائزهم من بيت مال المسلمين، وما حازه مجاهدوهم فإن في الباطن صفوفاً من العلماء البررة، والثوار الأتقياء، يقبعون في ظلم السجون، و تهترىء أجسادهم بسياط الجور.
ومحمد ابن أبي عمير كان واحداً من هؤلاء، فقد عاش في السجن مدة أربع سنين، كان من كبار شيعة أهل البيت عليهم السلام بل كان " من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم نسكاً وأعبدهم و أورعهم.. وكان واحد زمانه في الأشياء كلها ".
استدعاه هارون الرشيد، وطلب منه الكشف عن أسماء شيعة الإمام الكاظم عليه السلام ، ذلك أن هارون كان قد عزم على تصفية الإمام الكاظم عليه السلام وتصفية أتباعه، فكان يفتش عن أسماء كبارهم، وزعمائهم، من وكلاء الإمام في المناطق المختلفة، ولما كان ابن أبي عمير في ذلك الوقت من كبار كبارهم، لذلك وجد فيه ضالته، ورأى أنه عندما يعرضه للسجن والتعذيب فإنه سوف يحصل على ما يريد.
وبالفعل فقد سجن وعذب عذاباً شديداً، فقد كان يأتي هارون ويأمر السندي بن شاهك وهو رئيس السجن أن يبدأ في ضربه لكي يعترف.
هذا خليفة المسلمين! الذي يقول عنه ابن خلدون (فحاشا لله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه لما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ؟! وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء وبكائه من مواعظهم.. ودعاؤه بمكة في طوفه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلاة.. وأنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة!![85].
هل كان سادياً ؟! يلتذ بأن يرى تعذيب المؤمنين والعلماء، إذ نراه تارة يأمر بإنقاص طعام يحيي

---

[84] / مقاتل الطالبيين 320.

[85] / مقدمة ابن خلدون 21.

حتى يصل إلى الربع ويأمر بجلده أمامه وهو على تلك الحالة من الضعف حتى يموت، وأخرى يأمر بجلد محمد ابن أبي عمير أمامه، وثالثة.. ورابعة، وعندما نتصفح كتب التاريخ نجد مباشرته أو مشاهدته للتعذيب الذي كان يتم بمخالفيه، فهل كان نشر الإسلام يقتضي ذلك ؟! وأن فتح بلاد الكفار لا يتم إلاّ بتعذيب علماء المسلمين ؟! أو أن العصر الذهبي لا يكون إلاّ بالسجون والمطابق ؟!.

وهكذا دخل السجن ولنكن معه حيث دخل السجن بعد أن (امتنع فجرّد- أي من ثيابه- وعلّق بين القفازين فضرب مائة سوط.. قال الراوي فسمعت ابن أبي عمير يقول لما ضربت فبلغ الضرب مائة سوط أبلغ الضرب الألم إلي فكدت أن أسمي فسمعت نداء محمد بن يونس بن عبد الرحمان يقول يا محمد ابن أبي عمير اذكر موقفك بين يدي الله تعالى فتقويت بقوله وصبرت ولم أخبر والحمد لله )[86].

والذي يظهر من الرواية أن محمد بن يونس بن عبد الرحمان كان معه في السجن. وبقي ابن أبي عمير في السجن مدة من الزمان حتى " اشترى " مدة السجن بمبلغ مائة واحد وعشرين ألف درهماً، وكان صاحب مال، إلاّ أن بقاءه في هذه الفترة في السجن أدى إلى ضياع ثروة كبيرة من العلم، فقد اشتهر أنه ألف أربعة وتسعين كتاباً في فروع العلم والعقائد، بقي منها:

ا- كتاب المغازي.
2- كتاب الكفر والإيمان.
3- كتاب البداء.
4- كتاب الاحتجاج في الإمامة.
5- كتاب فضائل الحج.
6- كتاب الاستطاعة.
7- كتاب الملاحم.
8- كتاب الصلاة.
9- كتاب الصيام.
10- كتاب اختلاف الحديث.
11- كتاب المعارف.
12- كتاب التوحيد.
13- كتاب الطلاق.
14- كتاب النكاح.
15- كتاب الرضاع.
16- كتاب المتعة.
17- كتاب يوم وليلة[87].

وذلك أن العادة في قانون الطغاة أنهم عندما يسلبون حرية إنسان، يسلبونه ماله وعلمه- إن استطاعوا- ولكون أخت ابن عمير واعية لهذا الأمر فقد أقدمت منذ أن اعتقل على دفن كتبه في الأرض، فلما خرج من السجن كان قد تلف قسم كبير منها.

ونظرا لوثاقته التامة، فقد حاز على ما لم يحز به غيره من رجال الرواية والعلماء إذ عدوا

---

[86] / تنقيح المقال 2/ ب 62.

[87] / رجال النجاشي 327.

مراسليه مسانيد، وذلك إضافة إلى ما يتمتع به من الوثائق فإن فيما هلك حال استتاره كان الكتب وأحياناً أسانيد هذه الكتب لذلك " تفرد في تسالم الكل على قبول مراسيله وعدهم إياها بحكم المسانيد المعتمدة.. "[88].

و إضافة إلى علمه فقد كان غاية في الصلاح والعبادة جعله مضرب المثل، وهل كان أتباع أهل البيت عليهم السلام الحقيقيون إلاّ صورة مصغرة عنهم ؟! وينبغي أن يكون واضحاً أن عبادة هؤلاء لم تكن تصوفاً أو هروباً من مواجهة مسؤوليات الحياة، كما هو شأن أدعياء العبادة فلو كان أمثال ابن أبي عمير على هذه الشاكلة لما كانوا يتعرضون لجور الحكام وسجن الخلفاء، بل يجعلون العبادة حافزاً على العمل ومعيناً على العلم وداعياً إلى الجهاد، وهم في ذلك كله مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام : أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء [89].

روى الفضل بن شاذان: قال دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه ويقول له: أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم وما آمن من أن تذهب عيناك لطول سجودك.. فلما أكثر عليه قال: أكثرت عليّ ويحك لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما يرفع رأسه إلاّ عند الزوال !!.

هاهو قد خرج من السجن وعاد إلى موقعه الأول يتتلمذ على ثلاثة من الأئمة (الكاظم والرضا وأخيراً الجواد عليه السلام ) ، ويتمتع بمنزلة اجتماعية متميزة بين أتباع أهل البيت، فها هو هشام بن سالم يتنازع مع هشام بن الحكم في مسألة عقيدية فيقبلان به حكماً يوقف المخطئ على خطئه. وبالرغم من أنه قد فقد كل ماله، سواء في تخليص نفسه من السجن أو بسبب مصادرة أمواله، إلاّ أنه لم يفقد نفسه الكريمة، فقد كان له على رجل عشرة آلاف درهم فلما علم ذلك الرجل بالحالة الاقتصادية السيئة التي آل إليها ابن أبي عمير بعد خروجه من السجن، وكان المدين- بدوره- لا يملك هذا المبلغ ليعيده لابن أبي عمير فباع داراً له كان يسكنها بعشرة آلاف، وحمل المال إلى ابن أبي عمير، الذي خرج إليه، فقال له ما هذا:

فال: مالك الذي عليّ !.

قال: ورثته ؟!.

قال: لا.

قال: وهب لك ؟.

قال: لا.

فقال له: أهو من ثمن ضيعة بعتها ؟!.

. قال: لا.

فقال: ما هو ؟!.

قال الرجل: بعت داري التي أسكنها لأقضي ديني!!.

فقال محمد ابن أبي عمير: حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله قال: ( لا يخرج الرجل من مسقط رأسه بالدين) ارفعها فلا حاجة لي فيها وإني والله لمحتاج في وقتي هذا إلى درهم وما يدخل

---

[88] / تنقيح المقال 2/ ب 63.

[89] / نهج البلاغة 193.

ملكي من هذا درهم واحد!! [90].

هكذا.. صودرت وتصادر أموال العلماء والأتقياء، وتمنع حقوقهم لتسفح على أرجل زلزل المغني وزرياب وسائر الماجنين والعابثين، " لتعمّد" الخلافة بذلك دخولها العصر الذهبي !!.

ولكن إن استطاعت أن تصادر أموالهم المنقولة، فما استطاعت ولا تستطيع أفكارهم المعقولة، ولأن أسرتهم في مطبقات السجون سنيناً، فقد حفرت لهم قلوب المؤمنين فيها قبوراً وذكراً حسناً، هم فيه خالدون.

## 3- الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن السبط
## الوفاة: شهيدا سنة 169 هـ

( لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ )

الإمام الجواد عليه السلام

هجعت المدينة مبكرة، بعد أن أسدل الليل على دروبها، ثوباً قاتماً من الظلام وأخلد واليها عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى النوم، لكن كابوسا قد أقض مضجعه فلم يستطع أن يستريح..

إنه يسمع من على المئذنة صوتاً يؤذن، وليس جديداً ذلك عليه، الجديد هو صوت المؤذن الذي ينادي: حي على خير العمل.. وها هم أصحاب السيف من الهاشميين يجتمعون إليه، ليحملوا عليه، وأراد أن يصرخ إلاّ أن الكلمات تجمدت على شفتيه، وأحس بالعطش الشديد.. وكان الحسين

---

[90] / تنقيح المقال 1/ 421.

ساهراً، فبعد صلاة الليل وأذكاره منعه الفكر من النوم، ترى إلى أين سيصل المشوار مع هذا الوالي ؟! لقد تجاوز الحد في الظلم، ولئن كان كسالفيه سيئاً، فإن سوءه لم يعد يحتمل بعد الآن.. لقد أخذ قبل مدة الحسن بن محمد بن عبد الله الرجل العابد وابن جندب الهذلي الشاعر ومولى لعمر بن الخطاب وكانوا مجتمعين في بيت الحسن فأشاع أنه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطاً، وضرب ابن الهذلي خمسة عشر سوطاً وضرب مولى عمر بن الخطاب خمسة أسواط !![91].

تبّاً له.. لقد كانت القضية بلا أصل ومكذوبة، ومع ذلك لم يخرج الرجل عن غله وحقده على الهاشميين، فترى حتى في هذه القضية المكذوبة يضرب الحسن ثمانين سوطاً، ومولى عمر خمسة أسواط!!. وجالت الأفكار في ذهن الحسين وقد أرقت راحته.. هذا العرض اللعين الذي يتم كل يوم، والذي يهدف إلى إذلال الهاشميين فقط ما الذي يمكن عمله لإنهائه !!.

وتنفس صباح تلك الليلة ليشهد شرارة الانطلاقة الثائرة.. ذلك أن الكابوس الذي شهده الوالي جعله أكثر حرداً وعنفاً على الهاشميين، وكان قد كلف رجلاً من الموالي يقال له أبو بكر بن الحائك، وشدد عليهم في العرض اليومي إذ كانوا ملزمين بإثبات الوجود يومياً، وكان كل واحد منهم ملزم بكفالة غيره حتى إذا غاب ذلك الشخص كان المعاقب!!.

وكان ذلك اليوم الجمعة.. فعرضهم ولك أن تتصور رجلاً من الموالي وابن حائك يستعرض أولاد الرسول وذريته، ليعلم من الغائب منهم حتى يعاقب كفيله!! ولنقرأ ما يقوله التاريخ:

... فلما اجتمع النفر من الشيعة في دار ابن أفلح، أغلظ العمري أمر العرض وولى على الطالبيين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار، فعرضهم يوم الجمعة فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد ثم أذن لهم فكان قصارى أحدهم أن يغدر ويتوضأ للصلاة ويروح للمسجد، فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر، ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى والحسين بن علي، لتأتياني به أو لأحبسنكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيّب، فراده بعض المرادة، وشتمه يحمس، وخرج فمضى ابن الحائك هذا فدخل على العمري فأخبره فدعا بهما فوبخهما وتهددهما، فتضاحك الحسين في وجهه، وقال: أنت مغضب يا أبا حفص !!.

فقال له العمري: أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي ؟!.

فقال له: قد كان أبو بكر وعمر، وهما خير منك، يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية.

فقال العمري : آخر قولك شرّ من أوله.

فقال له: معاذ الله يأبى الله لي ذلك ومن أنا منه.

فقال العمري: أفأنما أدخلتك إليّ لتفاخرني وتؤذيني ؟!.

فغضب يحيى وقال: فما تريد منا ؟! .

قال العمري: أريد أن تأتياني بالحسن بن محمد.

فقال: لا نقدر عليه، هو في بعض ما يكون فيه الناس فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا.. ثم أعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد أنصفتنا.

فحلف العمري بطلاق امرأته وحرية مماليكه أنه لا يخلي عنه أو يجيئه في باقي يومه وليلته وأنه إن لم يجيء به ليركبن إلى (سويقة) فيخربها ويحرقها، وليضربن الحسين ألف سوط (!). وحلف

---

[91] / مقاتل الطالبيين/ 295.

بهذه اليمين إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته (!!).
فوثب يحيى مغضباً فقال له: أنا أعطي الله عهداً وكل مملوك لي حرّ إن ذقت الليلة نوماً حتى أتيك بالحسن بن محمد، أو لا أجده، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك! وخرجا من عنده وهما مغضبان. فقال الحسين ليحيى: بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، وأين تجد حسناً ؟!.

قال: لم أرد أن آتيه بالحسن والله، وإلاّ فأنا نفي من رسول الله (ص) ومن علي عليه السلام بل أردت إن دخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعي السيف، إن قدرت عليه قتلته [92].

وهكذا بلغ السيل الزبى.. ولم يعد يمكن الصبر على هذا الأذى والإذلال، وتداعى إلى ذهن الحسين وإخوته كلام جدهم أمير المؤمنين عليه السلام : (الحياة في موتكم قاهرين والموت في حياتكم مقهورين) وصمموا على الحياة بالموت القاهر.

وجاء الليل، وكان يمخض بحنين الثورة !! وبيت الحسين يجمع ستة وعشرين رجلاً من العلويين وعشرة من الحجاج ونفرا من الموالي، ومرت الساعات ثقالاً بطيئة كأنها تنحت في جبال الزمن، حتى انشق عمود الفجر ومعه أسفرت السيوف عن نقابها واتجه الثائرون نحو المسجد صعد أحدهم على المنارة حيث يؤذن المؤذن وقال له والسيف يلقي ظلال الموت على رأسه: أذّن بحي على خير العمل!! فلما نظر إلى السيف أذّن.

كأن هذه الكلمات كانت صاعقة.. فبالرغم من أنها تثير المرء للعمل الصالح الخير، وتبعثه نحو الجهاد، إلاّ أن الآثار التي تلتها لم تكن متوقعة.

فقد عاد إلى الناس ذكر رسول الله (ص) وأمير المؤمنين عليه السلام ، والأذان الذي كانوا يؤذنون به، وتصور بعضهم- للحظة- أن الزمان قد عاد، وعاد معه الرسول،ليمسح عن الأمة أدران الانحراف، وغبار الفتنة! وخرج الناس سراعاً إلى المسجد لينظروا ما الخبر ؟.

بينما تحقق والي المدينة أن كابوس الليلة البارحة كان نذير شؤم له. وأحس بالشر ودهش حتى فقد السيطرة على نفسه كاملاً وصاح- بجنون-: اغلقوا البغلة الباب وأطعموني حبتي ماء [93] ثم مضى هارباً عمى وجهه ليسابق الريح و (يُخرج الريح أيضاً) كما يقول صاحب مقاتل الطالبيين!!.
واجتمع الناس في المسجد وقام الحسين فيهم خطيباً بعد فراغه من الصلاة فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله في حرم رسول الله أدعوكم إلى سنّة رسول الله:
أيها الناس: أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه ؟!.

كان رد فعل السلطة سريعاً، فقد تحركت حاميه مسلحة للسلطة بقيادة خالد البربري وكانت في المدينة، فتصدى لها يحيى بن عبد الله وضرب قائدها على جبينه وعليه البيضة والمغفر والقلنسوة فقطع كل ذلك وأطار قحف رأسه وسقط عن دابته وانهزم أصحابه. وبايع الناس بعدها (على كتاب الله وسنّة رسول الله وعلى أن يُطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيه صلّى الله عليه وعلى العدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم).

---

[92] / مقاتل الطالبيين/ 295.

[93] / لا يخفى أن الكلمات لم تكن تخرج صحيحة، وذلك من الدهشة والخوف ولقد خلف هذا الموقف له ولذريته ذكراً سيئاً حيث أن ولده أصبحوا يعرفون بني حبتي ماء !! .

وبعد أن استتب الأمر للحسين في المدينة ولاها دينار الخزاعي وخرج مع ثلاثمائة من أصحابه وأهله قاصدين مكة المكرمة، فلما قربوا منها تلقتهم جيوش بني العباس (المسودة).

ولم تنفع أحاديث الحسين معهم في تغيير موقفهم، ولا مشاهدة قوادهم لسلامة الخط الذي يسير فيه الثائرون.. فقد أراد قائد الجيش العباسي (موسى بن عيسى) استطلاع معسكر الحسين فقال لأحد أصحابه: اذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكل ما رأيت، قال أبو العرجاء الجمال: فمضيت فدرت فما رأيت خلاً ولا فلاً ولا رأيت إلا مصلياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف أو معدّاً للسلاح، فجئت موسى بن عيسى فقلت له: ما أظن القوم إلاّ منصورين.

فقال: وكيف ذلك يا ابن الفاعلة ؟.

فأخبرته بما رأيت فضرب يداً على يد وبكى حتى ظننت أنه سينصرف !.

ثم قال: هم والله أكرم عند الله وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم ولو أن صاحب القبر- يعني النبي(ص)- نازعنا ضربنا خشومه بالسيف، يا كلام اضرب بطبلك !!.

لقد كان موسى بن عيسى يفلسف حركة خط الخلافة منذ بدايته، ويعي بعمق أن خط الإمامة أكرم عند الله وأحق بالقيادة، ولكن الملك عقيم !! ولكي يصفع الأغبياء والبلهاء الذين يبررون هذه الجرائم بالاجتهاد الذي يثابون عليه !!.

وهكذا ضرب الطبل وما هي إلاّ ساعات حتى احتوش آلاف من الجنود الذين لا وعي لهم عشرات أصحاب البصائر.. وغلبت الكثرة الشجاعة.. وأرسلت شمس الأصيل أشعتها صباح يوم التروية الثامن من ذي الحجة الحرام عام 169 هـ، لتصافح تلك الأجساد الطاهرة، والجثث الزاكية. وتأخذ من أنوارها نوراً. وبقيت تلك الأجساد ثلاثة أيام لم توار ولم تدفن [94].. وهكذا عادت كربلاء.. وحملت الرؤوس: وكانت مائة رأس إلى (خليفة المسلمين) (1) الذي يشرفه الانتماء لرسالة الرسول بينما يقتل أولاده وجيء بالأسرى فأمر موسى الهادي العباسي بضرب أعناقهم جميعاً.

وانتهت المعركة، ومرت الأيام، وانمحت المعالم، ومات المنتصر فيها، وهلك الخليفة العباسي وذكره إلاّ من صحائف العار واللعنة، وبقيت كلمات مضيئة تؤرخ الحادثة فتفضح خط القتلة وتخلد ذكر الثائرين، تلك كلمات الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذي أخبر الحسين قبل خروجه بطبيعة من يقاتله فقال:

" إنك مقتول فأحد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيمانا ويضمرون نفاقاً وشركاً، فإنا لله و إنا إليه راجعون، وعند الله أحتسبكم من عصبة.

ومرة أخرى يؤمن الإمام الكاظم عليه السلام تلك الباقة العطرة من الثائرين بقوله: لما رأى رأس شهيد فخ الحسين بن علي في مجلس موسى بن عيسى القائد العباسي:

" إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله " [95].

مضوا قاهرين لأعدائهم، رافضين الذل، سالكين درب العزة حتى لقوا جدهم رسول الله (ص)، أما قاتلهم فإنه لم ينل سوى جزاء سنّمار من الخليفة، وسوى لعنة التاريخ ولعلّه كان يتنبأ بذلك فقد كان يلقن الشهادتين عندما حضرته الوفاة لكنه كان يقول- دائماً-:-

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن  لقيت حسيناً يوم فخ ولا الحسن

---

[94] / مروج الذهب 3/ 336.

[95] / مقاتل الطالبيين 302.

بينما كان ثوار فخ ، يتقلبون على أرائك الخلود في نعيم الله المقيم، ورضوانه العظيم، ولم يخسروا من الدنيا غير همّ القلب، وحزن النفس، وبقي لهم فيها الثناء الممتد. كما قال بعض من رثاهم:

فلأبكينّ على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً قتلوا لا طائشين ولاجُبُن
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هدي العباد بجدهم فلهم على الناس المنن

**4- الخليل بن أحمد الفراهيدي**
**العمر: 74 سنة**
**الوفاة: سنة 175 هـ**

إنه الآن في سوق الصفارين، والمطارق تهوي بقوة على النحاس لكي تحيله إلى صفائح، وإلى قدور وغيرها.. والعقل العجيب الذي يحمله الخليل يتوقد وينتقل في سرعة ضوئية من المطارق تلك إلى نظمها وإيقاعها، ومنه إلى اللغة والشعر ويغيب عما حوله، سوى تلك الطرقات والانتقالات السريعة، حتى وصل إلى المنزل. وهناك وضع أوزان الشعر العربي.

لقد ذهب إلى مكة المكرمة حاجاً وهناك دعى الله أن يرزقه علماً لم يُسبق به، ولما عاد فتح الله عليه علم العروض حتى أصبح مؤسسه بل اشتهر به في لقبه فقيل الخليل الفراهيدي (العروضي).

وإذا فهم البعض التشيع جهاداً وثورة- وكانوا على حق في ذلك، فقد فهم التشيع علماً وعزة، ونشاطاً عقلياً، وبناء فكرياً، ولقد ساعده في ذلك عقلي ذكي لا تزيده كثرة التفكير إلاّ نشاطاً، وزيادة النشاط إلاّ إبداعاً. وانقطع للعلم والمعرفة تاركاً متع الدنيا لأهلها، ومنصرفاً عن التكسب بعلمه كما كان دأب الكثيرين.

عزة نفسه تلك جعلته يترفع على ذلّة التكسب والارتزاق والجري وراء أصحاب الملك والمال بل يرفضهم إذا طلبوه، فقد وجه إليه سليمان بن حبيب المهلبي والي الأهواز برسول يستدعيه من البصرة ليؤدب أولاده وكان هذا يعنى خروج المؤدب من زوايا الخمول إلى ذرى الشهرة ومن حضيض الفقر والفاقة إلى أعالي الغنى، الأمر الذي يطمح فيه- عادة- الكثير، بل ربما تعلم بعضهم العلم لهذه الغاية، يتقربون بها إلى الخلفاء، ويسيرون بها في ركاب الأمراء..

وجاء الرسول ودخل بيت الخليل الذي يحتقره الكوخ، وأبلغه الرسالة فأخرج الخليل خبزاً يابساً وقال: ما دمت أجد هذا فلا حاجة لي إلى سليمان.. مشابهاً في فعله هذا فعل أبي ذر الغفاري عندما أرسل إليه الخليفة مالاً .

وكان الرسول لم يفهم هذه الإشارة فسأل الخليل:

- فما أبلغه عنك ؟!.

فقال:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحاً بنفسي أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

لقد كان يملك نفساً غنية لا تطمع إلى ما لا تملك، ويجد عنده ثروة كبيرة بعلمه لذلك لم يسترزق بعلمه. فلما رجع الرسول إلى سليمان غضب هذا.. وقطع راتب الخليل وكان يظن أنه يصنع بذلك عنصر ضغط على الخليل لكي يستجيب، إلا أنه أرسل له بيتين من الشعر يوضح موقفه بعد هذا:

إن الذي شق فمي كافل للرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالا قليلاً فما زادك في مالك حرماني

فلما بلغت سليمان كتب إليه يعتذر منه عما حدث من قطع الراتب وأضعفه له، ولم تلق هذه البادرة من الخليل إلاّ ما لقيت أختها، ذلك أن النفس العزيزة التي يحملها بين جنبيه لم تكن لتتنازل لا للترهيب ولا للترغيب ، فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده فالكواكب النحس يسقي الأرض أحياناً [96]

وفيما كان غيره يتاجرون بما كان قد صنفه وكتبه، ويجمعون أموال الأمراء، كان يعيش حياة من وجد حياته في عمله وراحته في إبداعه، فأوقف همه عليه، ولم يترك لدنياه هماً. وكما قال النضر: كان الخليل أشعث الرأس شاحب اللون شعث الهيئة منخرق الثياب منقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يعرف.

لكنه كان واحد عصره، فقد أقدم على ابتكار علم العروض، لا عن كتاب كان قبله ولا عن منهاج، وبذلك صان اللغة و أدابها، والشعر العربي عن الاندراس، قال حمزة بن الحسن الأصفهاني: (إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول، من الخليل وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ولا عن مثال تقدمه

[96] / أعيان الشيعة 6/ 338.

احتذاه وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست ليس فيهما حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتهما أو يفسران غير جوهرها فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ثم إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام " [97].

وما ظنك بمن يفرع على طريقة الحصر العقلي حتى يتناول اثني عشر مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة وست كلمات (12305406)، إذ أنه ألف كتابه المذكور على ترتيب الحروف إذا اجتمعت ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً، سواء المهمل أو المستعمل في ذلك فذكر كل ما وصل إليه علمه..

وبالرغم من أن العرب- في الغالب- كانوا شعراء بالفطرة، إلاّ أن إيجاد نظام وميزان للشعر، يعرف به صحيحه من سقيمه، كان من صنع الخليل (العروضي) وبذلك يزن الشعر عن التميع، بإيجاد قواعد يأتي من بعده على ضوئها ليقيس صحة هذا الشعر أو سقمه. وسمى تلك الموازين بحور الشعر وأوزانه.

ولنأت بها زيادة في تعريف القارئ بهذا العبقري المؤمن، وقد نظمها شاعر أهل البيت عليهم السلام صفي الدين الحلي[98]، فصدر البيت من شعره والعجز وزن ذلك البيت:

1- البحر الطويل:

طويل له دون البحور فضائل فعولُنْ مفاعيلُنْ فعولُن مفاعلُ

2- البحر المديد:

لمديد الشعر عندي صفات فاعلاتُنْ فاعلُنْ فاعلات

3- البحر البسيط:

إن البسيط لديه يبسط الأمل مستفعلُنْ فاعلُنْ مستفعلُن فاعل

4- البحر الوافر:

بحور الشعر وافرها جميل مفاعَلتنْ مفاعلتن فعولُ

5-البحر الكامل:

كمال الجمال من البحور الكامل متفاعلُنْ متفاعلُنْ متفاعلُ

6- بحر الهزج:

على الأهزاج تسهيل مفاعيلُنْ مفاعيلُ

7- بحر الرجز:

في أبحر الأرجاز بحر يسهل مستفعلُن مستفعلُن مستفعلُ

8- بحر الرمل:

رمل الأبحر ترويه الثقاة فاعلاتُن فاعلاتُن فاعلاتُ

9- بحر السريع:

بحرسريع ما له ساحل مستفعلُنْ مستفعلُنْ فاعلُ

10- البحر المنسرح:

منسرح فيه يضرب المثل مستفعلُن مفعولاتُ مفتعلُ

11- البحر الخفيف:

---

[97] / الكنى والألقاب 1/ 423

[98] / المنجد في اللغة والأعلام 389.

يا خفيف خفت به الحركات فاعلاتن مستفعِلُنْ فاعلات

12- بحر المضارع:

تعد المضارعات مفاعيل فاعلات

13- بحر المقتضب:

اقتضب كلما سألوا فاعلات مفتعل

14- بحر المجتث:

إن جثت الحركات مستفعلن فاعلات

15- البحر المتقارب:

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعول

ولم يكن في ذكائه في العقائد أقل منه ذكاء في العروض، لذلك كانت أجوبته تنم عن وافر علم في هذا الجانب، فقد سأله يونس بن حبيب ا لنحوي، قال:

- أريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عليّ ؟! فأجابه:

- قولك يدل على أن الجواب أغلظ من السؤال فتكتمه أنت أيضاً ؟!

فقال يونس:

- نعم، أيام حياتك.. وأضاف: ما بال أصحاب النبي (ص)كأنهم كلهم بنو أب واحد وأم واحدة وعلي من بينهم كأنه ابن علة (ضرة).

فقال الخليل: من أين لي بالجواب ؟! ولعلّه لما كان يعيش في البصرة كان يتقي أهلها خصوصاً في ذلك الزمن العصيب، الذي كان الحديث فيه عن فضائل أمير المؤمنين يعد جريمة... لذلك أراد التنصل عن الإجابة، إلاّ أن يونس قال له: قد وعدتنيه.

قال الخليل: وقد ضمنت لي الكتمان، فقال يونس: نعم أيام حياتك.

فانطلق الخليل يتحدث قائلاً :

- إن علياً تقدمهم إسلاماً وفاقهم علماً وبذهم شرفاً ورجح عليهم زهداً وطالهم جهاداً والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان عنهم. وقد مر شبيه هذا القول منه لأبي زيد النحوي الأنصاري عندما سأله:

لم ترك الناس علياً وقربه من رسول الله قربه وموضعه منه موضعه وغناؤه في الإسلام غناؤه (أي لا ينكر ذلك كله ولا يحتاج إلى تعريف). فأجابه: بهر والله نوره أنوارهم وغلبهم على صفو كل منهم والناس إلى شكلهم أميل. أما سمعت قول القائل..

وكل شكل لشكله ألفٌ أما ترى الفيل يألف الفيلا ؟!

وأُثر عنه قوله في أمير المؤمنين عليه السلام :

- استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل على أنه إمام الكل.

وإضافة إلى أقواله المتفرقة هذه فله كتاب في الإمامة، أورده بتمامه محمد بن جعفر المراغي في كتابه واستدرك ما أغفله الخليل من الأدلة وسماه كتاب الخليلي في الإمامة [99].

[99]/ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام 149.

## 5- علي بن يقطين البغدادي
## توفي سنة 182
## العمر 58 سنة

( إن الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي)
موسى بن جعفر عليه السلام

- ما كان سبب زوال ملككم ؟!.
- إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا، وتمنوا الراحة منّا.
* وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنّا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا.
* ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أموراً دوننا أخفوا عملنا عنّا.
* وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا.
* وكان استتار الأخبار عنّا من أوكد أسباب زوال ملكنا [100].

وهكذا لم تنفع جهود مروان الذي كان يلقب بالحمار لصبره وشدته، ولا المنشطات التي أعطاها في إعادة الروح إلى الجسد الأموي الميت، وبالرغم من ازدياد القمع وكثرة الاعتقالات في صفوف المعارضين، فلم يكن ذلك ليمنع الانهيار..

وكان يقطين والد علي من دعاة العباسيين، وطُلب في الكوفة وكان عمر علي حينها ثلاث سنوات عندما قررت الحكومة الأموية، مطاردة رجال المعارضة سواء الثوار العلويين أو الدعاة العباسيين، وهكذا اختفى والده بينما هربت أمه به وبأخيه من الكوفة إلى المدينة المنورة عام 127 هـ.

وبعد خمس سنوات، أكملت الدولة الأموية ألف شهر من عمرها البغيض ولم يبق لها ما تنتظر بعد أن رتع فيها حكامها كما ذكر آنفاً عن أحد شيوخ بني أمية، وقد سئل عن سبب زوال ملكهم.

- جاء العباسيون.. وتولى أبو العباس السفاح " خلافة " المسلمين، وأصبح يقطين الداعي-

---

[100] / مروج الذ هب 3/ 241.

سابقاً- وزير البلاط حالياً. ولم يكن يخفي اتجاهه الفكري والعقيدي في مسألة الإمامة والتشيع، بل لم يكن ذلك الانفصال الكبير قد حدث بين العلويين والعباسيين. بفعل قمع هؤلاء في الأخير.

كان لا يزال العباسيون يعيشون- ولو ظاهراً- أجواء (الرضا من آل محمد) ولم يبدأوا في تصفية العلويين، وشيعتهم، لذلك كان يقطين ومن بعد ابنه علي في البلاط العباسي.

هكذا وجد علي بن يقطين طريقه إلى الوزارة أيام هارون الرشيد (!)، وإذا كان الأمر متداخلاً في أيام السفاح وشطراً من أيام المنصور الأولى، فالكل يرفع الراية العلوية والانتماء إلى النبي (ص) فإن شهور العسل تلك لم تلبث أن تحولت إلى علقم وسجون ومصادرات وخصوصاً في أيام هارون حيث ينقل لنا حميد بن قحطبة الطائي صورة عن وضع العلويين أيام هارون، فلنستمع إلى هذا الحديث لنرى حراجة موقف علي بن يقطين. فقد قال عبيد الله البزاز النيسابوري:

كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة فرحلت إليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السفر لم أغيرها وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر.

فلما دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلسنا فأتى بطشت وإبريق فغسّل يديه ثم أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم وأني في شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: مالك لا تأكل ؟! فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار، ولعلّ الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار..

فقال: ما بي علة توجب الإفطار، وإني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى.

فقلت له بعدما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير ؟!.

فقال: أنفذ إلي هارون الرشيد وقت كونه بطوس، في بعض الليل أن أجب.. فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إليّ وقال:

- كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟! فقلت:

- بالنفس والمال..

فأطرق ثم أذن لي في الانصراف. فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ وقال أجب أمير المؤمنين. فقلت في نفسي: إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وأنه لما رآني استحيا مني، فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه وقال:

- كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟! فقلت:

- بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكاً ثم أذن لي في الانصراف.

فلما دخلت إلى منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إليّ فقال: أجب أمير المؤمنين. فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟!.

قلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين!! فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم.

فتناول السيف الخادم وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون. فقال: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة فجعل يخرج إلي واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر.

ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة مقيدون، فقال: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إلي واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم. ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد

علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضاً، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبّاً لك يا مشوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليه السلام ؟!.

فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضباً وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ ورمى به في تلك البئر، فإذا فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشك أني مخلد في النار [101].

وكما انتهت شهور العسل تلك إلى سنين الدماء، فقد كان لزاماً على الجميع والوضع كذلك أن يحددوا مواقفهم السياسية فضلاً عن الدينية و العقيدية.

ووجد علي نفسه أمام تحديين خطيرين، فهو ببقائه في بلاط هارون سيكون شريكاً في الدماء العلوية التي تسفك على مذبح الإصلاح، وسيفاً في يد الحكم العباسي عليهم، وإن ترك هذا الموقع فهذا يعني تحويله إلى المعارضة في نظر الحكم العباسي الذي لا يرحم إذا وصل الأمر إلى المعارضة السياسية، لقد ذبح المنصور بيده أقرب أعوانه والمؤسس الحقيقي لدولة العباسين أبا مسلم الخراساني لأنه " شم" منه رائحة المعارضة والمنافسة.

فماذا يصنع ؟!.

لقد كان يفكر أياماً وليالي، وتنازع في قلبه الدين والدنيا.. فمن جهة قد يفقد دينه ومن أخرى قد يفقد رأسه..

وحسم الأمر.. فماذا ينفعه موقفه في البلاط، ودنياه لو قدم على الله يوم القيامة ويده ملوثة بالإعانة على أهل بيت النبي ؟! و إذا كان التقية دينه ودين أئمته فإنها في كل شيء حتى تصل إلى الدماء فلا تقية، ولذلك كتب لقائده وإمامه موسى بن جعفر (الكاظم) ليستأذنه في الاستقالة من عملهم لأنه لا يستطيع أن يرى تلك المظالم، بل يخشى أن يكون شريكاً فيها، بصرف موقعه في الحكم.

وجاء الجواب له من الإمام، حاسماً بالرفض، وهادياً إلى الطريق الأمثل: " لا تفعل فإن لنا بك أنساً، ولإخوانك بك عزاً وعسى الله أن يجبر لك كيداً أو يكد بك نائرة المخالفين عن أوليائه، يا علي كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم..

اضمن لي واحدة، أضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته

---

[101] / ( )عيون أخبار الرضا 99/2.. ونذكّر هنا ـ كما فعل آخرون ـ إلى أن هناك اشتباها في النقل كما يبدو، وأن القصة لو حدثت فلا بد أن تكون قبل زمن هارون الرشيد أي إما أن تكون في زمان المهدي أو أبيه المنصور، فإن حميد بن قحطبة كان من أعوان العباسيين من أيام أبي العباس السفاح ثم المنصور وبعده المهدي، لكنه لم يدرك حكومة الهادي ولا الرشيد، فإن حميدا هذا قد هلك في سنة ( 159 ) هـ وهو وال على خراسان كما صرح بذلك الطبري، بينما هلك المنصور سنة 158 هـ وتولى بعده ابنه المهدي. ومما يؤيد وقوعها في زمن المهدي أنه كان شديد الوطأة على العلويين وأنه أمر حميد بن قحطبة بقتل الإمام الكاظم كما ينقل ذلك ابن شهراشوب في مناقب آل أبي طالب. وأنه تسلم من أبيه المنصور طريقة حكمه بالنحو الذي نقله الطبري وغيره قال : تاريخ الطبري ج 6 ص 343 :

لما عزم المنصور على الحج دعا ربطة بنت أبى العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحدا إلا المهدي ولا هي إلا أن يصح عندها موته فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحدا حتى يصح عندها موته فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولى الخلافة فتح الباب ومعه ربطة فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها.

وأكرمته. واضمن لك أن لا ينالك سقف سجن أبداً ولا ينالك حد السيف أبداً ولا يدخل الفقر بيتك أبداص.

يا علي من سر مؤمنا فبالله بدأ وبالنبي ثنى وبنا ثلّث [102].

وامتلأ علي غبطة بهذا الجواب، فقد أخرجه من مأزق عظيم، أخرجه من مأزق الشرعية، فهو يستطيع الآن أن يطمئن كمال الاطمئنان إلى أن عمله الذي يقوم به وهو في قصر هارون، عبادة لا تقل عن سائر العبادات، بعد أن أصبح برضى الإمام المعصوم، بل وبأمره، ونهيه من ترك هذا العمل. وإضافة إلى ذلك فقد ضمن له الإمام دنياه، وأنه لن يصاب بالبلاء، وعلي شديد الاعتقاد بكلام إمامه.

بقي أن يضمن تلك الواحدة وهي قضاء حوائج أولياء الإمام وشيعته. فلننظر كيف تصرف، وكيف أكمل المهمة ؟! خصوصاً إذا عرفنا إلى بعض الثوريين لا يستطيعون البقاء طويلاً متنكرين، بل يكتشفون بسرعة من قبل أعدائهم وهم في الخارج، فكيف إذا كان في فم " السبع في بلاط الحاكم وجل يومهم ووقتهم هناك، وحركاتهم مراقبة ؟ وأعمالهم محسوبة ؟! وفوق كل ذلك فإن روحهم الثورية لا تترك لهم مجالاً لأن يروا الحاكم يظلم الناس ويهتك دين الله وهم ينظرون!!.

لقد استطاع علي بن يقطين بتسديد الإمام الكاظم عليه السلام له أن ينجز الأعمال المطلوبة منه وأن يستمر في عمله، في الوقت الذي بقي فيه على عقيدته، بل وعلى دعمه للإمام مالياً، وتزويده بالأخبار والمعلومات التي تنفعه وتنفع شيعته في اتقاء مطاردة السلطات.

لكن بقي أن يحوز على الثقة المطلقة لدى البلاط، فلا يكفي أن يكون مرضياً عنه عند الإمام ليكون قادراً على إنجاز مهماته، إذ أنها ترتبط بالحكومة والبلاط، وما لم يحز على الثقة المطلقة، فإنه لن يكون قادراً.. فماذا يصنع لكي يحصل عليها ؟!.

إن مثله عرضة للوشايات والسعايات سراء من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام حيث لن يسكنوا وهم يرون من يتبع الأئمة ويواليهم يتولى أحد أخطر المناصب في الدولة، وكذلك من قبل ذوي الطموح الشخصي والباحثين عن المال العاجل من السعاة والجواسيس.. وهذا ما حدث لعلي ..

فقد أهدى الرشيد إلى علي بن يقطين ثياباً. وكانت فيها دراعة فاخرة سوداء منسوجة بالذهب يلبسها الخلفاء عادة، فلما وصلت إليه تام من فوره وأرسلها إلى الإمام، ذلك أنه كان يرسل إليه كل عام بخمس ماله، وبهدايا مختلفة فردها الإمام عليه السلام إليه وكتب له: احتفظ بها ولا تخرجها عنك فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها.. ولما ردت إليه واطلع على رسالة الإمام احتفظ بها وجعلها في سفط وختم عليها وكأن الإمام كان ينظر بعين الله إلى المستقبل وما سيحدث فيه، فما إن مضت فترة من الزمن حتى تغير ابن يقطين على بعض غلمانه.. ووجد هذا الغلام الفرصة سانحة للفتك بابن يقطين.. فما هي إلاّ ساعة حتى يذهب مخبراً هارون الرشيد عن علاقة وزيره الإمام الكاظم، وعندها سيندر رأس ابن يقطين متدحرجاً على النطع..

إن علي بن يقطين يقول بإمامة موسى الكاظم عليه السلام وأنه يحمل إليه في كل سنة زكاة أمواله والهدايا والتحف وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك مع الدراعة السوداء التي أكرمته بها..

وسكت الغلام بينما احمرت عينا هارون من الغضب، فهذا أسوأ ما يتوقعه، أن الكاظم الذي يهدد بعلمه، وهديه، وسيرته وجود هارون، حتى ليعبر عنه بأنه " الشجى المعترض في حلقه ".. ها هو يجد أنصاراً في داخل البلاط، ومثل علي بن يقطين الوزير الأول!! يدين بإمامة الكاظم ويرسل سراً إليه بالأموال!!.

- لأكشفن عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهقت روحه وذلك من بعض جزائه.. ردّ

---

[102] / بحار الأنوار 48/ 136.

هارون عليه، وأرسل في الحال رسولاً إلى ابن يقطين، ولما جاء التفت إليه:
- ماذا فعلت بالدراعة السوداء التي كسوتك بها وخصصتك بها من بين سائر خواصي ؟!.
وأشرقت عيناه ببريق الرضا، وأثنى في باطنه على سيده الإمام الكاظم، فلولاه لكان الآن في موقف يشفق عليه فيه:
- هي عندي يا أمير المؤمنين في سفط فيه طيب، مختوم عليها.
ولما كان هارون يحتمل أن ما قاله الساعي قد يكون صحيحاً وإن كلام ابن يقطين قد يكون مناورة.. فقال:- أحضرها الساعة.
وأجاب علي: على السمع والطاعة.
ولم يغب عن ابن يقطين سوء ظن هارون بوجودها فلم يذهب للإتيان بها، بل أعطى أحد خدمه المفاتيح وأعلمه بموضعها وأرسله لكي يصنع اطمئناناً كاملاً بوجودها.. وعاد الخادم وفي يديه السفط، وفتح الختم والسفط وإذا الدراعة مطوية على حالها لم تتغير ولم يصبها شيء..
وسكن غضب الرشيد وهدأت ثورته، وكما كان من الممكن أن لا يثبت عدم وجود الدراعة، التهمة على ابن يقطين، فقد كان وجودها نافياً للظن السيء لدى الرشيد الذي قال:
- ردها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعياً[103] .
وخرج ابن يقطين من هذا الامتحان بتسديد الإمام له وقد تجاوز موقع الخطر، إلاّ أن السعاة لم يكونوا ليقفوا عند حدهم. ولم يكن الإمام عليه السلام ليغفل عن تسديد وليّه وتابعه، فقد كتب إليه أن يتوضأ بالطريقة التي يتوضأ بها هارون، وهي تختلف في كيفيتها عن الكيفية التي كان عليها ابن يقطين والموافقة لفقه أهل البيت . . وأخبره أنه إن توضأ على الطريقة الأولى الموافقة لفقه الأئمة، فلا صلاة له !!.
ودهش ابن يقطين، ولم يعلم السبب لكن كان لا بد أن يطيع أمر قائده. وبدأ يتوضأ بالطريقة الجديدة، فيغسل وجهه ثلاث مرات، ويديه كذلك ويغسل رأسه وأذنيه ورجله!!.
في الجانب الآخر كان الوشاة، وخفافيش الليل يعبئون الجو لدى هارون الرشيد ضد ابن يقطين.. وأنه إذا أراد أن يتحقق من ذلك فليلاحظ طريقة عبادته.
وتحين هارون الفرصة، وأطل من إحدى شرفات قصره على ابن يقطين وهو يتوضأ من حيث لا يشعر به علي، ولما رآه يتوضأ كما يتوضأ هو أخرج رأسه وصاح ولم يطق صبراً :- لا صدقت عليك واشياً أبداً ! كذب من زعم أنك رافضي!! [104].
الغريب أن علياً كما كان يتعرض للوشايات في حقه من قبل أعدائه وأعداء أهل البيت، فكذلك كان يتعرض للتهمة من قبل أفراد محسوبين على ولاء أهل البيت. ومحور الوشايات أن عليّاً يقول بإمامة موسى بن جعفر، ويرسل إليه بخمس ماله، ويدين بأوامره، بينما محور التهمة كان في الاتجاه المخالف أي أنه مع العباسيين وأن ذلك يخل بموقعه في جبهة أنصار أهل البيت عليهم السلام.
وفي الواقع فإن هذا المأزق أكثر إيلاماً من السابق إذ أن الفرد المبتلى هنا، في الوقت الذي يقوم فيه بخدمة الدين وأهل الإيمان ويحتاج أن يقوم بعمليات معقدة في ذلك، إلا أنه يتهم من قبل الجمهور بأنه سلطوي، وحكومي ويعزل اجتماعياً ويسب ويشتم.
ها هو رجل من " خواص" الشيعة يأتي للإمام الكاظم عليه السلام ليمارس التهمة في حق ابن

---

[103] / بحار الأنوار 48/ 138.

[104] / بحار الأنوار 48/ 137.

يقطين..
- يا ابن رسول الله.. ما أخوفني أن يكون فلان (ويقصد ابن يقطين) ينافقك في إظهاره وصيتك وإمامتك!!.
- وكيف ذاك ؟! سأله الإمام.
- لأني حضرت معه اليوم في مجلس فلان ابن فلان (رجل من كبار أهل بغداد) فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أن موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره ؟! فقال له صاحبك هذا (يقصد عليّاً) ما أقول هذا بل أزعم أن موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام فعليّ وعلى من يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.
قال صاحب المجلس: جزاك الله خيراً ولعن من وشى بك.
فقال له موسى بن جعفر عليه السلام : ليس كما ظننت ولكن صاحبك أفقه منك، وإنما قال موسى غير إمام، أي أنه الذي غير إمام فموسى غيره، فهو إذاً إمام فإنما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيري، يا عبد الله متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك ؟ هذا من النفاق! تب إلى الله.
ولم تكن هذه التهم ولا تلك الوشايات لتعيق علياً عن أداء دوره، وممارسة مهماته بعد أن ضمن له الإمام عليه السلام ما ضمن، وبعد أن رأى نفسه تحت نظر الإمام وتوجيهه الدائم.
فقد كان يزود أكثر من مائة من شيعة الإمام عليه السلام بما يصلحهم من الزاد والنفقة إلى الحج في كل سنة، وكان ربما حمل بين مائتين إلى ثلاثمائة ألف درهم خمس ماله للإمام في كل سنة، وكان يعلمه بما يدور في البلاط العباسي من أمور.
وفي عام 182 هـ، بعد أن قضى ثمانية وخمسين عاماً في البر، وكان مصداقاً كاملا لقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي.. [105]
كان ترساً لشيعة أهل البيت، وممولاً لهم ولقادتهم، وواسطة سريعة لنقل ما يدور في البلاط من أمور تخصهم..
وبالرغم من خطورة الدور الذي قام به، كونه محفوفاً بالمخاطر وانكشاف الهوية، إلا أنه لم يظله سقف سجن، ولم يدخل الفقر بيته، ولم ينله حد السيف!.

الإمام الرضا عليه السلام
1- يونس بن عبد الرحمان
2- صفوان بن يحيى البجلي
3- الحسين الأهوازي
4- يحي بن عبدالله بن الحسن
5- دعبل الخزاعي

[105] / تنقيح المقال 2/ 316.

**علي بن موسى الرضا عليه السلام**
**الإمام أبو الحسن**
**203-153**

ولد سنة 153 هـ وتوفي سنة 203 هـ. وعمره خمسون عاماً، كان فيها **مع أبيه مدة ثلاثين سنة.** خلال **هذه السنوات الثلاثين كا**ن الإمام الكاظم يشير إليه بالامامة ويدل الناس عليه ، فقد كان يجلس الامام وعمره نيف وعشرون سنة في مسجد رسول الله 1 يفتي الناس . والإمام الكاظم يقول لنعيم بن قابوس ) علي ابني أكبر ولدي وأسمعهم لقولي وأطوعهم لأمري ينظر معي في كتاب الجفر والجامعة وليس ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي ) ...

ويقول داود بن رزين : حملت إلى أبي ابراهيم مالا مني بعضه ، ورد علي الباقي ، فقل له جعلت فداك لم رددت علي هذا ، فقال أمسكه حتى يطلبه منك صاحبه بعدي ، فلما مضى موسى ، بعث إلي الرضا أن هات المال الذي قبلك ..

وهكذا تكررت الأساليب ، فحتى وهو υ في السجن أخرج ألواحا فيها : عهدي إلى اكبر ولدي .

بعد أبيه بقي أربع سنوات أي إلى سنة 187 لم يعلن الامام إمامته ، وذلك لأن هارون كان في أوج تحفزه بعد اغتيال الإمام الكاظم ..

بعد هذه الفترة : **أي في سنة 189 كان هارون في طريق الانتقال** إلى الري ومنها إلى خراسان حيث توفي فيها سنة 193 ، بينما بقي الإمام في المدينة وكان ينشر علم آبائه ، ويواجه الحركة الواقفية المنحرفة .

وذلك أنه استغل بعض الوكلاء المنحرفين ظروف التقية التي كانت سائدة على أثر قمع الحكم العباسي، فادعوا أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت، وأنه لا يزال حياً ، لكيلا يسلموا الأمر للإمام الرضا عليه السلام فأنشأوا بذلك مذهب الواقفة.. لكنهم ما لبثوا أن اندثروا بعدما رأى الناس شخصية الإمام الرضا عليه السلام ، وفضله وعلمه.

تعتبر السنوات من سنة **( 189 _ 201 )** وهي سنة ولاية العهد ، من الفترات الذهبية التي استفاد منها الإمام υ في نشر العلم حيث بدأ **النهضة الثقافية الثالثة في عمر التشيع والاسلام** . فقد أخذ عنه العلم ما يزيد عن 313 من الرواة والعلماء والفقهاء . وصل بعضهم إلى مراتب عالية من المعرفة فهذا يونس بن عبد الرحمن الذي كان كسلمان في زمانه . وكان له أكثر من عشرين كتابا

في مختلف المجالات ، وذاك صفوان بن يحيى الذي كان أوثق أهل زمانه في الحديث ، حتى لقد ذكر بعض المؤلفين أنه جمع من مسائل أبي الحسن الرضا ( أكثر من خمسة عشر ألف مسألة ) .
هذا عدا عن حواراته واحتجاجاته ، مع أرباب الملل والنحل . ( عيون أخبار الرضا )

مع مجيء المأمون إلى الحكم، بعدما حارب أخاه الأمين وانتصر عليه وقتله، أصر على الإمام الرضا أن يكون ولي عهده، تحت طائلة القتل إن لم يقبل، وكان يهدف في ذلك إلى:
1- **نزع سلاح المعارضة من يد الإمام الرضا** ومن يد العلويين باعتبار أن سيدهم هو ولي العهد.
2- **وأن يكون الإمام الرضا دائما إلى جانبه تحت ا لمرا قبة**.
3- **إسقاط الصورة المثالية الموجودة لدى الناس عن أهل البيت**، وإقناع الناس أن أهل البيت إنما يزهدون في الدنيا- مثلا- لأنهم لم يحصلوا عليها، أما إذا حصلوا عليها فإنهم يقبضون عليها، وأيضا إشعار الناس أن الأوضاع بقيت فاسدة مع أن الإمام الرضا وهو كبير البيت العلوي في سدة الحكم.
4- **الاستقواء بالإمام الرضا داخلياً**، ذلك أن المأمون كان يعيش في دائرة ضعف في بداية الأمر، ذلك أنه كان ابن أمة فارسية، وكان صغير السن، وقد قتل أخاه لتوه.. فكان يحتاج إلى ظهر يستند إليه، ولم يكن هناك خير من الإمام الرضا عليه السلام ... فأصر عليه أن يكون ولياً للعهد وإلا فإنه سيقتل.
قبل الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد مضطراً، ولكنه اشترط لذلك، أن لا يعين وأن لا يعزل وأن لا يشارك. وكل ذلك من أجل أن ينزع الصفة الشرعية عن أعمال الحكم العباسي، وسعى للاستفادة من ذلك الموقع في خدمة حركة الإمامة، فقد صار ديوان المأمون مجلساً لظهور فضل أبي الحسن الرضا وغلبته على أرباب الأديان والمذاهب، فكان يؤثر عنه العلم وينقل من دون تحرج أو-خوف، كما أنه ما فتىء يظهر فضائل أهل البيت وتقدمهم على من سواهم من الخلق في تلك المجالس والمناظرات،
وأقبل الشعراء يثنون على أهل البيت ويذكرونهم في أشعارهم ، كما صنع دعبل الخزاعي وغيره في قصائدهم .. وبالرغم من أن المأمون كان يسعى جاهدا لإدخاله في التعيين والعزل إلاّ أن الإمام كان يرفض ذلك لأنه يعلم أن المقصود هو إسباغ الشرعية على عمل الحكم بل قام بأعمال توحي بأن الحكم لا يسير على طريقة الرسول(ص) ، كما حدث في أول يوم من البيعة، وكما حدث في صلاة العيد.

**انتقل إلى جوار ربه سنة 203، ودفن في خراسان. مسموما على المشهور بواسطة المأمون .. وإن تشكيك البعض ـ حتى من قبل بعض علماء الشيعة ـ في ذلك يعني أن المأمون قد قام بدوره بصورة متقنة حتى يبعد الشبهة عنه .**

## 1-يونس بن عبد الرحمان
## الوفاة: سنة 258 بالمدينة المنورة
## ولد سنة 125

" عرضت على أبى محمد صاحب العسكر عليه السلام (الحسن العسكري) كتاب- يوم وليلة ليونس فقال لي: تصنيف من هذا ؟ فقلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين. فقال: أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة.."

تجمع شيعة بغداد على جسرها منتظرين خروج الإمام الكاظم عليه السلام من سجن هارون الرشيد (!). كانوا يعدون أنفسهم بحفل استقبال بهيج، إذ تنتهي بخروج الإمام من السجن أيام هذه المحنة التي امتدت سنوات كما تنتهي مشكلة هؤلاء الناس الذين حرموا من لقاء قائدهم، والانتهال من معين علمه..

إلاّ أن الذي حدث هو أن ذلك الحفل المنتظر تحول إلى مأتم عزاء مأساوي عندما جاءت (جنازة) الإمام محمولة ذلك أن الحكم العباسي وفي عصره الذهبي (!) حيث بلغت الدولة أقصى اتساعها كان أضعف من أن يسمع كلمة حق يقولها الإمام، وكانت أرض حكمه- على سعتها- أضيق من أن تتسع لوجود حفيد الرسول (ص) .

مرّت سحابة الحدث قاتمة سوداء على مجاميع شيعة أهل البيت،وكان رد فعل كل جماعة منسجماً مع القاعدة الفكرية التي يعتمدونها. وبالرغم من فداحة الخطب إلا أن ما تبعه من آثار فكرية وعقيدية جعل من الضرورة بمكان التوجه لعلاج تلك الآثار.. إن أول مهمة تواجه أتباع أهل البيت هي ضمان استمرار خط الإمامة في الأمة، وإحباط مخطط الحاكمين الساعين إلى فصله عن الأمة. وإذا كان خطر الخارج صعباً فإن تهديد الداخل أخطر وأصعب..

إن باب يونس بن عبد الرحمان يطرق.. والأيام حبلى بالمفاجآت.. ترى من يكون الطارق في هذا الوقت من الليل ؟!.

* * *

انتفض كمن لدغته عقرب.. هل يمكن له، بعد هذا العمر الطويل أن يخون خط أئمته مقابل عشرة آلاف دينار ؟! لقد كان يستطيع لو أراد أن - يسلك هذا الدرب، أن يحصل على عشرات الألوف، فترك كل ذلك ضنا بدينه وسلامة طريقه، ثم يأتي اليوم لكي يبيع بهذا الثمن البخس ؟!.

ثم ما الذي جرى لهؤلاء ؟! أترى مسّ جنون أصابهم، أم طائف شيطان ألم بواديهم ؟! أنه يعرفهم جيداً ، ومن ذا الذي يجهلهم:

علي ابن أبي حمزة، الذي كان وكيل الإمام موسى بن جعفر، وكانت تأتيه الأموال ليوصلها إلى الإمام، وزياد القندي، وابن المكاري ..

وها هو يونس يكمل الحادثة... مات أبو الحسن (الكاظم) وليس أحد من قوامه إلا وعنده المال الكثير، وكانت سبب وقفهم وجحودهم وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند علي ابن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار..

فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر أبي الحسن ما علمت تكلمت ودعوت الناس

إليه، فبعثا إلي وقالا: ما يدعوك إلى هذا ؟! إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالا لي: كفّ ! فأبيت وقلت لهم: أنا روينا عن الصادقين أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان وما كنت لأدع الجهاد في أمر على حال.. فناصباني وأظهرا لي العداوة [106].

لقد كان يونس يشهد تكون مذهب منحرف على أرض المصلحة الشخصية- عرف فيما بعد باسم الواقفة، ويقضي بالتأكيد على أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم لم يمت وأنه لا يزال حيّاً، وبالتالي، فإنهم غير ملزمين بتسليم ما لديهم من الأموال والحقوق الشرعية إلى الإمام التالي وهو علي بن موسى الرضا عليه السلام ، لأن والده في زعمهم لم يتوف وأنه حي.. فهم يقفون عليه، ولقد كان واضحاً أن جذر هذا المذهب يشرب من ساقية الهوى والمصلحة..

لقد رأى يونس أن مثل هذه المذاهب والآراء الكاسدة إن وجدت لها سوقاً ، فهي لن تجد مثل الجهلة الرعاع، لذلك وجد أن نشر الوعي والثقافة الدينية، بين عموم الناس سوف يلغي وجود هذه المذاهب، أو يعيق حركتها بين الناس ولقد بقيت الكتب التي قام بتصنيفها إلى فترة طويلة بعده مورداً للاستفادة. كما تحول إلى محور لجماعات الشيعة بل زعمائهم، في تثقيفهم وتعريفهم بأمور دينهم، فقد قال الفضل بن شاذان: حدثني عبد العزيز المهتدي وكان خير قمي رأيته وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته فقال، إني سألته، إني لا أقدر على لقائك في كل وقت، فعمن آخذ معالم ديني ؟! فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمان

وإذا كان سلمان المحمدي قد استوعب علم أمير المؤمنين عليه السلام حتى أصبح عالما بالأول والآخر، فإن " يونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه" كما يقول الرضا عليه السلام وبعد أن استوعب يونس من علم الأئمة الكثير، بدأ ينشره، إذ زكاة العلم نشره.. فمن كتبه:

ا- كتاب الأدب والدلالة على الخير.
2- كتاب الإمامة.
3- كتاب فضل القران.
4- كتاب اللؤلؤ في الزهد.
5- كتاب يوم وليلة...
6- كتاب الرد على الغلاة.
7- كتاب الشرائع.
8- كتاب جوامع الآثار.
9- كتاب السهو.
10- كتاب الزكاة.
11- كتاب الصلاة.
12- كتاب العلل الكبير.
13- كتاب اختلاف الحج.
14- كتاب المثالب.
15- كتاب علل النكاح.
16- كتاب البيوع والمزارعات.
17- كتاب الطلاق.
18- كتاب الفرائض الصغير.
19- كتاب الحدود.

[106] / تنقيح المقال 3/ 339.

20- كتاب البداء.
21- كتاب تفسير القران.
22- كتاب الجامع الكبير في الفقه.
وحازت هذه الكتب على تأييد الأئمة عليهم السلام لمحتوياتها، فقد دخل الإمام الجواد عليه السلام على أحد شيعته يعوده في مرضه، وكان عند رأسه كتاب " يوم وليلة، الذي صنفه يونس، فجعل يتصفحه ورقة ورقة حتى أتى عليه من أوله إلى آخره وهو يقول: رحم الله يونس رحم الله يونس.
كما- عرض أبو هاشم الجعفري نفس الكتاب على الإمام الهادي عليه السلام فنظر فيه وتصفحه كله ثم قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله..
ولأنه لا يخلو جليل من حسد الصغار الذي يبررون، بحسدهم وحديثهم السيء عن أولئك الكبار والأجلة، صغارهم وتأخرهم. ولأن يونس من جهة أخرى كان قد أعلن حرب الوعي ضد المذاهب المنحرفة، وفي طليعتها الواقفة والغلاة، لذلك أعلنوا عليه حرب الإشاعة والتهمة في كل مكان.
وإذا كان ديدن الأجلة أن يعانوا من صغار النفوس، فقد عانى يونس من هؤلاء كثيرا.
ها هو يونس يدخل على الإمام الرضا عليه السلام ، إذ كان من أركان تحركه وخلص أصحابه ولندع جعفر بن عيسى أحد شهود الحدث لينقل لنا ما حدث بين يونس والإمام الرضا عليه السلام قال:
كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمان إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة، فأومى أبو الحسن إلى يونس: ادخل البيت، فإذا بيت مسبل عليه ستر، و إياك أن تحرك حتى يؤذن لك.
فدخل البصريون وأكثروا من الوثيقة والقول في يونس، وأبو الحسن عليه السلام مطرق حتى أكثروا، وقاموا فودعوا وخرجوا وأذن ليونس بالخروج، نخرج باكياً فقال: جعلني الله فداك- إني أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي ؟!.
فقال له أبو الحسن: يا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضيا ؟! يا يونس حدث الناس بما يعرفون واتركهم مما لا يعرفون. يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة، أو بعرة ثم قال الناس درة!! هل ينفعك ذلك شيئا ؟.
فقال يونس: لا.
فقال: هكذا أنت يا يونس إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس .
وكان ذلك أكبر كتاب قرأه يونس.

## 2- صفوان بن يحيى البجلي

## توفي سنة (215) هـ

نمط فريد من الرجال صاغه منهج أهل البيت حسب القياسات المثالية نسمع عنه ونقرأ عن صفاته فنجده غريباً كل الغرابة عن الواقع الذي نعيش فيه، ولعل هذا هو سر تميزه، فإذا كنا نخضع للواقع الذي نعيشه، وكأنه قدر مفروض، ونرى القياسات التي يفرضها هذا الواقع على أنها النماذج الممكنة، يأتي نموذج صفوان متمرداً على مقاييس الواقع، ومتعالياً عليها، لكي يبين لمن يعيش في زمنه ولمن يأتي بعده أن ضغوط الواقع وحالاته ليست حتميات أقدار ولا " مكتوبة على الجبين " لمن أراد أن يتكامل.

* * *

ففي دنيا العبادة اليوم يعتبر من يؤدي الواجبات في أوقاتها، صلاته وصومه وزكاته وخمسه، يعتبر من الصالحين، وأي صلاح أعظم من ذلك!! أما من يلتزم إضافة إلى الفرائض والواجبات بالنوافل والمستحبات، بالرغم من قلة عدد هؤلاء، فهو يعتبر من الأبرار الذين قهروا أنفسهم، واستجابوا لنداء طاعة ربهم، ذلك أن من يتقرب إلى الله بالنوافل يستمد من قدرة الله اقتداراً، ومن نوره استضاءة فإذا هو وليه الذي يسأله فيعطيه ويدعوه فيجيبه.

نموذجنا صفوان بن يحيى البجلي، كان شريكاً في التجارة مع عبد الله بن جندب وعلي بن النعمان، وكانت تجارتهم في بيع الأقمشة " السابري " أي لم يكونوا عالة كالمتصوفة ولا فارغين كأصحاب الصوامع، بل كانوا رجال " دنيا " حسب الاصطلاح..

هؤلاء الرجال وكانوا وكلاء للإمام الرضا عليه السلام ، وللوكلاء مسؤوليات كثيرة [107] ولكنهم كانوا نماذج في العبادة أيضا.

فقد تعاقدوا في بيت الله الحرام على الأخوة، وأن أحدهم إذا مات يؤدي من بقي بعده صلاته ويصوم عنه ويحج عنه ويزكي عنه مادام حيّاً فمات عبد الله بن جندب ثم ابن النعمان، وبقي صفوان بعدهما، فكان يفي لهما بذلك فيصلي في اليوم مائة وثلاث وخمسين ركعة (فرائض الثلاثة ونوافلها) ويصوم ثلاثة أشهر في السنة ويحج عنهما، بل أنه كان يعطي في الصدقة المستحبة ثلاثة أمثال ما لو كان وحده !! هذا وهو تاجر، ووكيل يتحمل مسؤوليات الإدارة للأتباع والمنتمين.

ألم أقل لك- عزيزي القارىء- أنه نمط فريد ؟!.

وحين يقتتل الناس على الرئاسة، فتسفك الدماء، وتسود صفحات التاريخ بالجرائم، لأجل أن يحكم فلان، فيغطي عقدة النقص الموجودة في شخصيته بالاستكبار والتجبر وظلم الضعفاء.. وترى أحداث التاريخ تلخصها المؤامرة، والدسيسة والاغتيال ، ويقول ذلك الحاكم لابنه عندما يسأله ببراءة- سيفقدها حين يحكم- أنه إذا كان يعتقد أن الحكم لغيره فلماذا لا يعيده إليه، يقول له: الملك عقيم ولو نازعتني لأخذت الذي فيه عيناك.

وحين يبيع البعض دينهم لأجل لحظة رئاسة، وزهو، ولو كانت رئاسة قرية.. يصبح غريبا ذلك النموذج الذي ليس فقط لا يصبح رئيساً ، بل لا يحب الرئاسة.. وهذا النموذج هو صفوان.

فقد استعرض قوم عند الإمام الرضا عليه السلام سعي بعض الأصحاب انطلاقا من حب الظهور الساكن في أعماقهم، إلى الترؤس بما يحملون من معلومات، فقال الإمام عليه السلام :

- ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من حب الرئاسة ..

ثم أكمل: لكن صفوان لا يحب الرئاسة [108].

---

[107] / للتفصيل يراجع كتاب نظام الإدارة الدينية للمؤلف.

[108] / تنقيح المقال 2/ 100.

*  *  *

وفي العلاقات الاجتماعية حين يعرف البعض كل شيء باستثناء حق الآخرين، بل ويرون لأنفسهم حقوقاً تفوق غيرهم، ويفكرون وهم يتعاملون أنهم الأحق والأولى، فإذا كانوا مشترين يرون أنهم أحق بأخذ الرخيص، فإذا أصبحوا بائعين لنفس السلعة، صار من الضروري بيعها بغالي الثمن.. وهكذا يفكرون دائما لماذا لا يطبق الناس القوانين- وبالطبع لا يدخلون أنفسهم في هذا السؤال- أنهم يريدون من الناس تطبيق القانون لكي تتسهل أمورهم ولا يفكرون في أن يقوموا بما يطلبونه من الناس !!.

في جو علاقات كهذه يغدو الحديث عما يفعله صفوان نوعاً من الخرافة التي لا تصدق!!.

فقد استأجر جمالا إلى الكوفة، فجاء أحد إخوانه طالباً منه أن يحمل دينارين إلى أهله، فقال له : إن جمالي مكرية وأنا أستأذن الأجراء..

كان من جهة لا يريد أن يضيع ثواب قضاء حاجة أخيه المؤمن ومن جهة لا يسمح له ورعه أن يضيف شيئاً لم يكن منظوراً عند استئجار تلك الجمال فلا بد من استئذان أصحاب الجمال.

إننا أمام نموذج متميز من عبادته وفي وكالته وسياسته وفي علاقاته الاجتماعية.. نموذج يعرف الدين سعياً وكداً، والعبادة قربة وزلفى، والوعي مسؤولية.. فقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام ثم عن ابنه الجواد - وكان وكيلاً له- الكثير من الأحاديث، أخرجها في مصنفات عدت بثلاثين منها:

ا- كتاب الشراء والبيع.
2- كتاب المحبة والوظائف.
3- كتاب الفرائض.
4- كتاب الوصايا.
5- كتاب الآداب.
6- كتاب بشارات المؤمن.

وهكذا كان في الحديث " من الستة الذين اجتمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم من أصحاب أبي إبراهيم (الكاظم) وأبي الحسن الرضا وأقروا لهم بالفقه والعلم ". وهو في العبادة " كان من الورع والعبادة ما لم يكن عليه من طبقته أحد ".

وهو في نشاطه التبليغي والتربوي ينشط هنا وهناك داعياً إلى منهج أهل البيت، سواء أولئك الذين كانوا في هذا الخط، أو أولئك البعيدين عنه، فقد استطاع أن يؤثر على محمد بن خالد، وكان قبلئذٍ في خط معاد لخط الأئمة، بل كان يمارس نشاطاً إعلامياً مضاداً..

فقد روى صفوان، قال: استأذنت لمحمد بن خالد على الرضا أبي الحسن عليه السلام وأخبرته أنه ليس يقول هذا القول ( ليس في خط الإمامة ) وأنه قال: والله لا أريد لقاءه إلاّ لأنتهي إلى قوله. فقال: أدخله فدخل. فقال : جعلت فداك أنه كان فرط مني شيء وأسرفت على نفسي وأنا أستغفر الله مما كان مني فأحب أن تقبل عذري وتغفر لي ما كان مني.

فقال: نعم. أقبل (عذرك) إن لم أقبل كان إبطال ما يقول هذا وأشار إلي (صفوان) ومصداق ما يقول الآخرون (يعني المخالفين)، قال الله لنبيه (ص) (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)..[109] . وهكذا: وكما كان وكيلا للإمام الرضا عليه السلام ، فقد توكل للإمام الجواد وكان من خاصة أصحابه ووكلائه، إلى أن قرب منه أجله فبعث إليه الإمام الجواد خيوطه وكفنه، وذهب إلى ربه راضيا مرضيا. حيث

---

[109] / بحار الأنوار 49/ 275.

سيؤبنه- مع محمد بن سنان- الإمام قائلا:
(رضي الله عنهما برضاي عنهما فما خالفاني وما خالفا أبي عليه السلام قط).

### 3- الحسين بن سعيد الأهوازي

بين أيدينا وثيقة على جانب عظيم من الأهمية، لجهة محتواها وقائلها، ونتيجتها.. فهي من حيث المحتوى رؤية دقيقة ومن الداخل لوضع الأسرة العباسية التي حكم بلاد المسلمين مدة ثلاثة ترون من الزمان الأعجف، وقائلها هو المأمون العباسي، الذي كان (أهون الشرين) ليس أكثر.. ونتيجتها أنها تعطينا فكرة عن كيفية الخراب الذي أصاب الأمة بعد فساد " رأسها".

(( .. وليس منكم إلا لاعب بنفسه مأفون في عقله وتدبيره: أما مغن أو ضاب دف، أر زامر، والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً وصناعة وأخلاقاً.

ليس منكم إلاّ من إذا مسّه الشر جزع وإذا مسّه الخير منع ولا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية وكيف يأنف من يبيت مركوباً ويصبح بإثمه معجباً كأنه قد اكتسب حمداً، غايته بطنه وفرجه ولا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل او ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية أو أعانه على فاحشة.. ))[110] .

في الطرف المقابل نجد أن لله " رجالاً " استثنائيين، ولدوا في رحم المعاناة، وعاشوا بين سيف الحاكم وسوطه، وهذا صاغ " ذهب " شخصياتهم في أصفى صورها.. هؤلاء تفاعلت تعاليم الأئمة مع خلايا جسمهم وقطرات دمهم، فإذا بهم ينطلقون لا يوقفهم من مرامهم نهر ولا يحجزهم بحر..

وإذا كانت بلادهم قد كثر فيها الداعون إلى طريق أهل البيت، فإن بقية المناطق تحتاجهم، لكي يزرعوا فيها بذور الولاء والانتماء فما الفرق بين أرض وأخرى، أليست جميعها لله، والساكنون عليها عباده ؟!.

إن الانتماء الجغرافي لمنطقة، ليس سوى أمر اعتباري ذلك أنه " ليس بلد أولى بك من بلد، خير البلاد ما حملك " ويتأكد هذا المعنى في مواقع المسؤولية.

وإذا كان مثل الحسين بن سعيد يريد التأسي بأحد فلن يجد كأئمته عليه السلام ،فبينما تجد أن وطنهم كان الحجاز، إذا بهم تفرقهم مسؤولياتهم والظروف المحيطة بها إلى شتى أقطار الأرض، فبينما يدفن أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف، يدفن ابنه الحسن عليه السلام في المدينة، والحسين عليه السلام في كربلاء والكاظم عليه السلام في بغداد، وها هو الرضا علي عليه السلام يعيش في خراسان. وإذا كانت الأسفار يومئذ، صعبة لكونها بواسطة الخيل أو الجمال، فقد كانت الهمم آنئذٍ قوية أيضاً، لذلك شد الحسين وأخوه الحسن ابنا سعيد رحال السفر وغادرا الكوفة حيث مسقط رأسيهما وغادرا متجهين إلى الأهواز.

وصلا الأهواز وبدلا من أن يحيط بهم شعور الغربة عن المجتمع فيمنعهم عن التفاعل معه

[110] / بحار الأنوار 49 / 214

والتأثير فيه، دخلوا في وسط الناس، وتعارفوا واستطاعوا أن يحولوا الاتجاه الفكري الموجود فيها إلى اتجاه خالص وواع بطريق أهل البيت عليهم السلام .

إن الحسين ليفكر دائماً، إن صناعة الشخص الكفوء وتربيته وفقاً للأفكار السليمة، سوف يكون له من التأثير الأمن الكبير، ومن الشخص يمكن صناعة التجمع المناسب.. وهذه المهمة لا يكفي فيها التوجيه العام، بل لا بد من تربية خاصة ينتخب فيها ذلك الفرد المطلوب بعناية تامة، لأنه سيؤهل إلى تغيير المجتمع وقيادته في المستقبل، وهنا فإن الغلطة هي بألف. ولا يكمن الخطر في المستقبل عند انتخاب الفرد غير الصالح بل إن ذلك الخطر يتناول الحاضر أيضاً، فباطلاع هذا الفرد (غير الصالح) على أفكار العاملين، وخطط عملهم، ومعرفته- تبعا لاختلاطه- بأسمائهم، سوف يجعل كل هذا الكيان في معرض التهديد الدائم. والتوجيه العام وإن كان ضروريا ولا يمكن الاستغناء عنه إلاّ أن جهداً كبيراً يجب أن يصب في تربية نماذج خاصة، لتقوم هي أيضا بمهمة التوجيه والتربية، وهكذا وصولاً إلى حالة يكون فيها هذا التيار الفكري هو الغالب والمؤثر في المجتمع.

وهكذا كان يعمل الحسين الذي أصبح يعرف فيما بعد بالأهوازي، ذلك أنه من خلال تحركه في مناطق الأهواز ومحلاتها، استطاع أن ينتخب عدداً من رجالها، قدر لهم فيما بعد أن يصبحوا من كبار تلامذة الأئمة ووكلائهم وأن يستقيموا في الطريق الذي اختطه معلمهم قبل.

لقد توسّم الحسين- بعد أن راقب- في علي بن مهزيار، طاقات كبيرة تحتويها نفس عالية، وطموح كبير للكمال، لذلك ما أسرع أن وجه إليه اهتمامه، وغيث علمه فوجد فيه أرضاً طيبة صالحة، ولم يتركه حتى أدخله على الإمام الرضا عليه السلام ،ثم استمر في تعليمه حتى أهله لأن يكون وكيل للإمام الجواد عليه السلام بحيث يخاطبه بأنه لم ير مثله.

وهكذا أدخل إسحاق بن إبراهيم الحضيني على الإمام الرضا أيضاً حيث أصبح وكيله فيما بعد..

ولم يكن أخوه الحسن غائباً عن هذه النشاطات، بل كانا كفرسي رهان يتسابقان في الخيرات تارة، ويتعاضدان أخرى، فإذا كان توجيه الناس يحتاج إلى مسابقة فإنهما في التأليف يتعاونان، لكي تأتي تلك المؤلفات - باعتبارها مجهود جمعي- أكثر دقة. فقد كتبا:

ا- كتاب الوضوء.
2- كتاب الصلاة.
3- كتاب الزكاة.
4- كتاب الصوم.
5- كتاب الحج.
6- كتاب النكاح.
7- كتاب الطلاق.
8- كتاب العتق والتدبير والمكاتبة.
9- كتاب الإيمان والنذر.
10- كتاب التجارات والإجارات.
11- كتاب الخمس.
12- كتاب الشهادات.
13- كتاب الصيد والذبائح.
14- كتاب الأشربة.
15- كتاب المكاسب.
16- كتاب الزيارات.
17- كتاب التقية.

18- كتاب الرد على الغلاة.
19- كتاب المناقب.
20- كتاب المثالب.
21- كتاب الزهد.
22- كتاب المروة.
23- كتاب حقوق المؤمنين وفضلهم.
24- كتاب تفسير القرآن.
25- كتاب الوصايا.
26- كتاب الفرائض.
27- كتاب الحدود.
28- كتاب الديات.
29- كتاب الملاحم.
30- كتاب الدعاء[111].

وبعد أن ركزا في الأهواز عددا من أبنائهما، وكلاء واعين وصحابة مخلصين، وقياديين مقتدرين، غادر الحسين الأهواز قاصداً إلى مدينة قم حيث بدأت تتحول إلى موقع يتجمع فيه شيعة أهل البيت من الأشعريين، الذين قدر لعدد منهم أن يصبحوا فيما بعد أيضاً من (رجال أهل البيت): ولم يطل به المقام، فقد كان وهو المتعود على الهجرة والسفر على موعد سفر أكبر، إلى حيث جنان الخلد..

[111] / يلاحظ القارىء العزيز أن أسماء بعض هذه الكتب تتشابه مع أسماء كتب أخرى صنفها آخرون من أصحاب الأئمة، وربما حتى في محتوياتها والسبب أن طريقة التأليف كانت- حينئذٍ- رواية الحديث، حيث يرويه اللاحق عن السابق أو يرويه من طريق آخر، فمثلاً قد يروي علي بن مهزيار عدداً من الأحاديث في الزهد عن شيخه ومعلمه الحسين بن سعيد.. ويخرجها في كتاب ويكون الحسين نفسه قد أخرجها في كتاب باسمه أيضاً.

## 4- يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن
## توفي سنة 177 هـ
## شهيداً في سجن هارون الرشيد

كما حمل نسل الحسين عليه السلام لواء الإمامة الإسلامية مجسدين بعلمهم وحسن هديهم نبوة جدهم ، فقد حمل نسل الإمام الحسن السبط عليه السلام لواء الثورة وإنكار المنكر في أدوار التاريخ الإسلامي، وشكلوا- مع أبناء زيد بن علي- علامة اعتراض صارخة في وجه مؤسسات الظلم والعدوان على دين الله وحق عباده، وكانت السلطات ترقب هذه العوائل بعين ضيقة من الشك، واسعة من الخوف..

فلو أخذنا عينة من هذه العوائل، شخصية عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط الذي قضى في سجن هارون العباسي يرسف في قيده، لوجدنا أن ثلاثة من أبنائه قد حملوا مشعل الثورة في ثلاث مناطق من العالم الإسلامي مهمة، واشترك باقي أبنائه في هذه الثورات.. فابنه محمد المعروف بالنفس الزكية قام بثورة في المدينة المنورة، وابنه الآخر إبراهيم تابع مسيرة أخيه فأشعل الفتيل في البصرة، وكاد أن يغلب على مناطق كثيرة من العراق لولا سهم غارب، والثالث إدريس الذي ثار وأسس دولة في المغرب. والرابع يحيى الذي ثار في مناطق الديلم.

وهكذا كان هؤلاء بقية السيف، وثمالة السجون، الواحد منهم أمة، والرجل فيهم بآلاف.

يحيى.. رباه الإمام الصادق عليه السلام لذلك كان يسميه يحيى (حبيبي)إذا روى عنه، ولم يكن يحيى مجهول الشخص أو الشخصية فقد كان يأتي إلى مالك بن أنس في المدينة فيقوم له عن مجلسه، وكانت تعرف سيماء الأنبياء في وجهه [112].

سمع من الإمام الصادق (ص)، وروى عنه [113]، كما سمع من ابنه الإمام الكاظم عليه السلام وكان جيد المعرفة، فحين بدأ الغلاة في نشر أفكارهم المنحرفة، وجدنا يحيى قد أقبل إلى الإمام الكاظم عليه السلام ، وقال:

- جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب!!.

فقال عليه السلام :- سبحان الله.. ضع يداك على رأسي فو الله ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي إلا قامت.. ثم قال لا والله ما هي إلاّ وراثة عن رسول الله (ص) [114] .

بعد أن حصل على المعرفة الكافية اشترك مع الحسين بن علي (صاحب فخ) في ثورته، وأبلى فيها

---

[112] / مقاتل الطالبيين/ 309.

[113] / أمالي المفيد/ 122.

[114] / وردت رواية تفيد أن يحيى كتب للإمام عليه السلام رسالة عنيفة قبيل ثورته ورد عليه الإمام جوابها.. إلاّ أن العلامة المجلسي رضوان الله عليه حملها وسواها على التقية، لكيلا يحسب العباسيون الثورة من صنع الإمام فيقتل، حفاظ على موقع الإمامة.

بلاء حسناً ، وكان من بين الجرحى إلاّ أنه استطاع أن يختفي، ويستتر مدة من الزمان، حتى وصل إلى الديلم " شمال شرق إيران حاليا ".
وكان في كل مكان يحلّ فيه يدعو إلى الثورة على العباسيين وتحقيق العدالة وبيعة الرضا من آل محمد (ص).
ولم يستطع هارون منازلة يحيى، ذلك أنه تحصن بتأييد أهالي مناطق الديلم وأطرافها، والتي كانت ممتنعة طبيعياً بسبب بعدها عن مركز الحكم.
ومع أن هارون ولّى الفضل بن يحيى البرمكي بلاد الديلم وسيّره في خمسين ألف جندي، إلاّ أن ذلك لم يكن بنافع، لهذا توسل الفضل لإنجاز المهمة المناطة به، بالوسائل السلمية.
من جهته.. كان يحيى يشهد في جبهته الداخلية تصدعاً قاده الحسن بن صالح الذي حاول لتحقيق مطامحه في الزعامة، أن يستفيد من الفرصة، مما أدى إلى إضعاف الوضع العام في جبهة يحيى..
اختار يحيى- إبقاء على أصحابه، وتبعا للوضع الجديد الذي ساد في تجمعه- الاستجابة إلى دعوة الفضل بإلقاء السلاح وكتب لنفسه ولأتباعه أماناً مؤكداً، وثيقاً، وشرط في ذلك شروطاً كثيرة.
وهكذا عاد يحيى إلى بغداد محمياً بالأمان الذي شهد عليه كبار العلماء والفقهاء، هو وأصحابه، إلاّ أن هارون الذي لم يكن يحجزه ورع لم يكن ليقف أمامه ورقة مكتوبة!! فما لبث أن وضعه في المنزل تحت المراقبة، وكان يناظره أحياناً كثيرة ليقف من خلال ذلك على زلة لسان منه تبرر له القضاء عليه، إلاّ أن يحيى كان يفوت تلك الفرصة على هارون.
بل كان يحاول أن يصطنع الشهادات ضده من أنه يدعو إلى الثورة على العباسيين، ولم يكن يحيى يعدم الأعداء كما لم يكن هارون يعدم المرتزقة الذين يشهدون بالزور من أجل التقرب من الخليفة.. فقد رفع عبد الله بن مصعب الزبيري إلى هارون أن يحيى قد دعاه إلى بيعته، بعد إعطائه الأمان..
وقال له : نعم يا امير المؤمنين إن هذا دعاني إلى بيعته .
قال له يحيى : يا امير المؤمنين . اتصدق هذا وتستنصحه ؟ وهو ابن عبد الله ابن الزبير الذي ادخل اباك وولده الشعب واضرم عليهم النار حتى تخلصه أبو عبد الله الجدلي صاحب علي بن ابي طالب منه عنوة . وهو الذي بقي اربعين جمعة لا يصلي على النبي - صلى الله عليه وآله - في خطبته حتى التاث عليه الناس ، فقال : إن له اهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا اعناقهم واشر أبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا احب ان اقر عينهم بذكره . وهو الذي فعل بعبد الله بن العباس مالا خفاء به عليك حتى لقد ذبحت يوما عنده بقرة فوجدت كبدها قد نقبت فقال ابنه علي بن عبد الله : يا أبة اما ترى كبد هذه البقرة ؟ فقال : يا بني ، هكذا ترك ابن الزبير كبد ابيك ، ثم نفاه إلى الطائف ، فلما حضرته الوفاة قال لعلي ابنه : يا بني ، الحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة . فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير . والله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزلة سواء ، ولكنه قوى علي بك وضعفت عنك ، فتقرب بي اليك ، ليظفر منك بما يريد ، إذ لم يقدر على مثله منك ، وما ينبغي لك ان تسوغه ذلك في ، فان معاوية بن أبي سفيان ، وهو ابعد نسبا منك الينا ، ذكر يوما الحسن بن علي فسفهه فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك ، فزجره معاوية وانتهره فقال : إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين ! فقال : إن الحسن لحمي آكله . ولا أوكله .
فقال عبد الله بن مصعب : إن عبد الله بن الزبير طلب امرا فأدركه . وإن الحسن باع الخلافة من معاوية بالدراهم ، أتقول هذا في عبد الله بن الزبير ، وهو ابن صفية بنت عبد المطلب ؟
فقال يحيى : يامير المؤمنين ، ما انصفنا ان يفخر علينا بامرأة من نسائنا وامرأة منا ، فهلا فخر بهذا على قومه من النوبيات والاساميات والحمديات !

فقال عبد الله بن مصعب : ما تدعون بغيكم علينا وتوثبكم في سلطاننا ؟
فرفع يحيى رأسه إليه ، ولم يكن يكلمه قبل ذلك ، وإنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبد الله .
فقال له : أتوثبنا في سلطانكم ؟ ومن انتم - اصلحك الله - عرفني فلست اعرفكم ؟ فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك ثم غلب عليه الضحك ساعة ، وخجل ابن مصعب .
ثم التفت يحيى فقال : يا امير المؤمنين ، ومع هذا فهو الخارج مع أخي على ابيك والقائل له : إن

الحمامة يوم الشعب من دثن هاجت فؤاد محب دائم الحزن
إنا لنأمل أن ترتد الفتنا بعد التدابر والبغضاء والاحن
حتى يثاب على الاحسان محسننا ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن
وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن
فطالما قد بروا بالجور اعظمنا برى الصناع قداح النبع بالسفن
قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسن
لا عز ركنا نزار عند سطوتها إن اسلمتك ولا ركنا ذوي يمن
الست اكرمهم عودا إذا انتسبوا يوما واطهرهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عند الناس منزلة وأبعد الناس من عيب ومن وهن

فتغير وجه الرشيد عند استماع هذا الشعر ، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ، وبإيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له وانه لسديف .
فقال يحيى : والله يا امير المؤمنين ما قاله غيره ، وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا ، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله : الرحمن الرحيم ، الطالب الغالب ، استحيى أن يعاقبه ، فدعني احلفه بيمين ما حلف بها احد قط كاذبا إلا عوجل .
قال : حلفه . قال : قل : برئت من حول الله وقوته ، واعتصمت بحولي وقوتي ، وتقلدت الحول والقوة من دون الله ، استكبارا على الله ، واستغناء عنه واستعلاء عليه إن كنت قلت هذا الشعر .
فامتنع عبد الله من الحلف بذلك ، فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع : يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقا ؟ هذا طيلساني علي ، وهذه ثيابي لو حلفني انها لي لحلفت .
فرفس الفضل بن الربيع عبد الله ابن مصعب برجله وصاح به : إحلف ويحك - وكان له فيه هوى - فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد ، فضرب يحيى بين كتفيه ثم قال : يابن مصعب قطعت والله عمرك ، والله لا تفلح بعدها . فما برح من موضعه حتى اصابه الجذام فتقطع ومات في اليوم الثالث . فحضر الفضل بن الربيع جنازته ، ومشى الناس معه ، فلما جاءوا به إلى القبر ووضعوه في لحده وجعل اللبن فوقه ، انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن اعين الناس ، فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبرة عظيمة ، فصاح الفضل : التراب التراب فجعل يطرح التراب وهو يهوى ، ودعا بأحمال الشوك فطرحها فهوت ، فأمر حينئذ بالقبر فسقف بخشب واصلحه وانصرف منكسرا .[115]

وإذا كان لكل شيء آفة، فإن آفة الإيمان الفقهاء المرتزقة، ألم يكن أعداء الأنبياء والأولياء أمثال بلعم بن باعوراء، الذين (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) ؟! ألم يقتل أمير المؤمنين عليه السلام في محراب صلاته بسيف ابن ملجم المغموس في فتوى فقهاء الخوارج ؟ وألم يقتل حجر بن عدي و (ستة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء) في مرج عذراء، بفتوى أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري ؟! وهل حز رأس الحسين غير فتوى شريح ؟!. وهكذا لو تتبعت هذه القائمة المهينة لألفيتها مليئة بعباد الدنيا، وأسراء الشهوة وخدم السلطان. وكان لهارون الكثير الكثير.. من هؤلاء، ذلك أنك بينما

[115] / مقاتل الطالبيين 317

ترى جواهر الرجال نادرة، تجد من الأشواك والحصى وغثاء السيل الكثير.. وهكذا جمع هارون (الفقهاء) في بلاطه وفيهم محمد بن الحسن، صاحب أبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبو البختري وهب بن وهب، وخرج عليهم مسرور الخادم بكتاب الأمان، وكان هارون قد اتخذ قراره بإعدام يحيى ولكنه كان يفتش عن (لحية خرقاء) يمسح بها دمه أمام الناس.

فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه وقال: هذا أمان مؤكد لا حيلة فيه!! فصاح مسرور به: هاته!! أي لست صاحبه، فدفعه إلى الحسن اللؤلؤي فقال بصوت ضعيف: هو أمان!!.

وبرقت الدنيا في عيني أبي البختري، وكان قد تمرغ في الفقر، وتصور للحظة كيف أنه عندما يلبي رغبة هارون سيصبح قاضي القضاة.. يتحسس على بدنه الحلل اليمانية الناعمة، كيف سينحني له القضاة، ويأتيه أصحاب القضايا بالهدايا راجين، طالبين، كان قد سكر بخمر لم يشربها بعد! لقد أخذت الدنيا في عينيه لونا آخر.. ها هو يقبض ثمن السنين الماضية !! ويؤتى نتيجة (أتعابه) في الدرس والبحث، وإذا كان لا يرجو في الأخرى شيئاً لأنه لم يعمل لها، فلماذا يضيع هذه الفرصة ؟!.

لم ينتظر أبو البختري مسروراً لكي يأتي به فمن يدري لعل شخصاً آخر من باعة الدين في دكان الدنيا يبادر، فيسلبه هذه الفرصة إلى الأبد!! لذلك انقض عليه واستلبه من يد الحسن اللؤلؤي، وبدون أن ينظر فيه قال: هذا باطل منتقض، قد شق عصا الطاعة وسفك الدم فافتله، ودمه في عنقي !!.

لم يتوقع مسرور كل (هذا اللطف) فذهب يعدو لهارون مخبراً . فقال له هارون: قل له خرّقه إن كان باطلا بيدك !.

وأخذ أبو البختري سكيناً وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيوراً فأدخل مسرور على الرشيد الذي وثب وأخذه من يده وهو فرح ويقول له: يا مبارك يا مبارك !!.

ووهب لأبي البختري مليون وستمائة ألف وولاه القضاء..

وهكذا تمت الصفقة مليون وستمائة ألف+ القضاء= قتل ثائر علوي من نسل الرسول.

روى من كان مع يحيى في المطبق:

كنت قريباً منه فكان في أضيق البيوت وأظلمها فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة، فإذا هارون قد أقبل على برذون له ثم وقف وقال: أين هذا ؟! ( يعني يحى بن عبد الله) قالوا: في هذا البيت. قال: عليّ به. فأدني إليه فجعل هارون يكلمه بشيء لم أفهمه. فقال: خذوه. فأخذوه. فضرب مائة عصا. ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله(ص)، ويقول: بقرابتي منك. فيقول ما بيني وبينك قرابة.

ثم حمل فرد إلى موضعه فقال: كم أجريتم عليه ؟! قالوا: أربعة أرغفة، وثمانية أرطال ماء.. فقال: اجعلوه على النصف. ثم خرج ومكثنا ليالي ثم سمعنا وقعا فإذا نحن به حتى دخل. فقال: علي به فأخرج ففعل به مثل فعله ذلك. وضربه مائة عصا أخرى..فقال كم أجريتم عليه ؟ قالوا: رغيفين وأربعة أرطال ماء فقال: اجعلوه على النصف.ثم خرج وعاد الثالثة..وأيضا أمر أن يجعل على النصف..[116]ثم لم يلبث يحيى أن انتقل إلى رحمة الله.

[116] / المصدر 320

**5- دعبل بن علي الخزاعي**
**العمر: 98 عاما**
**الوفاة: سنة 245 هـ قتلاً بيد أعوان مالك بن طوق**

" وكان من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي عليه السلام ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار.. "

أبو الفرج الأصفهاني

منذ أن اشتهر كشاعر قدير، وصار محط اهتمام الخلفاء والأمراء والأغنياء كان من الواضح لديه جيداً أن أمامه طريقين، طريق الشعراء الكسبة والأدباء المرتزقة، يدخله إلى عالم بهيج من المال والعطايا والجواري والشهرة الكبيرة.. حين يصبح العازف الأول في " أوركسترا " - البلاط الحاكم.. هذا الطريق الذي سلكه ويسلكه كثيرون فينقلهم من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش ومن الخمول إلى فتات شهرة الخليفة. وطريق آخر يسلكه المؤمنون وأصحاب المبادىء، بقالين كانوا أم علماء ومقاتلين أم شعراء، يبدأ بالالتزام ويمرّ بالمقاومة وينتهي- أحياناً كثيرة- إلى الشهادة في هذا الطريق سيكون المرء والشاعر- خصوصاً مضطراً لقول الحق إيجاباً في مدح أهل الحق، وإعلان الانتماء إليهم ودعوة الناس لموالاتهم، وسلباً في التنديد بأعدائهم، وإعلان الحرب على ظالميهم ذلك أنه (سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم).

لقد كان النزاع في داخله- كما هو حال أي إنسان- في هذا الموقف محتدماً بين الشاعر المرتزق، والمؤمن المنتمي..

ولم يكن عقل دعبل[117] الخزاعي وحده في هذا الميدان.. لقد كان له الدور الأول دون شك إلاّ أن نشأته في منطقة اعتبرت مركزا من مراكز التشيع أثر في حسم هذا الصراع فهو كوفي المنبت والمنشأ، إضافة إلى أن جذوره تضرب في الصميم من خزاعة، تلك القبيلة التي حالفت بني هاشم في الجاهلية ووالت أهل البيت بعد الإسلام، حتى لقد أعطاهم معاوية ابن أبي سفيان وساماً يغبطهم عليه غيرهم.. إذ أنه لما رأى شدة استبسال خزاعة في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام ، قال: إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلا عن رجالها لفعلت [118].

عقله، وانتماؤه، من جهة، ونشأته وأصوله من جهة أخرى هذه العوامل حسمت الصراع في داخله لصالح المؤمن المنتمي نهائياً.

ومنذ ذلك الحين حمل على ظهره خشبة صلبه، يطوف بها من مكان إلى آخر، جاعلا من كل قصيدة، "دليل إدانة وحبل مشنقة في وقت واحد ، ولم يكن يملك إلاّ لسانه وقريحته الشعرية التي حولت الأرض تحت أرجل الحاكمين إلى سعدان شائك، وقصائده التي كانت منشورات سياسية تنتقل على ألسنة الناس من رواة وسوقة. لقد تزاوج ما كان يحمل من عقيدة رافضة لتلك المهازل التي كانت تسمى (الخلافة والخلفاء) مع تلك القدرة الشعرية الرائعة. فأنتجت مواقف تتناقل بين

---

[117] / دعبل : بكسر الدال وإسكان العين وكسر الباء : الناقة الشديدة .
[118] / شرح النهج 1/ 486

الناس، وقصائد تسعى بصاحبها إلى الحتف في سبيل عقيدته.
فبالرغم من أن هارون الرشيد الخليفة العباسي حاول استمالته في بداية أمره وأعطاه على إحدى قصائده (الغزلية) مبلغاً من المال، إذ كان الخلفاء يشجعون أن ينشغل الشعراء بمدح الخلفاء والتغني بالجواري !! ويتركوا بقية المجالات للخلفاء أنفسهم!! إلاّ أن ذلك لم يكن ليغير من عقيدة دعبل في هارون، كيف وعلى يديه جرت دماء الطالبين بحراً ؟!. فلم يشأ دعبل أن يخلو شعره من موقف تجاه هارون ومن كل الجهاز العباسي فنظم قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أرى بني أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرّهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي يقرب الرجس من ضرر

مشيرا بذلك إلى تجاور قبري هارون مع الإمام الرضا عليه السلام .

ويجهل بعض الكتاب أو يتجاهلون فيزعمون أن دعبل كان منكراً لجميل الخلفاء وإحسانهم إليه (!) يجهلون أن المؤمن المنتمي هو الذي كان يتحرك في شعر دعبل لا الشاعر المرتزق الذي يكيف موقفه حسب المنح والعطاء !!.

لذلك فالبرغم مما كان يظهره المأمون العباسي من تقرب إلى أهل البيت عليهم السلام ، إلا أن ذلك لم يكن ليغير عقيدة دعبل في أصل الخلافة واغتصابها من قبل العباسيين.

وكان لا بد لخط الخلفاء هذا، أن ينتهي إلى ادعاء إبراهيم المهدي لخلافة المسلمين، وإبراهيم بن المهدي كان قصافاً عزافاً صاحب عود وطنبور، ويلقب بـ (المغني)، ولما أعلن (ثورته) بعد أن بايع المأمون للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد، فقد تبع إبراهيم من هو على شاكلته، حتى نفذ عطاؤه فاحتجب عنهم، فهو لا يملك المال ليواجههم ويعطيهم ، حتى اقترح أحد قادته عليه اقتراحاً طريفاً وهو أن يقسم الجيش (الثائر) إلى قسمين ويخرج ليوزع عليهم الألحان.. لحناً لهذا القسم وآخر لنظيره وهكذا حتى (يشبعوا) من الألحان.. ولم تفت المناسبة عن دعبل الذي كان يرى أن خط الخلافة ينتهي إلى هذا الأمر بعد أن أبعد خط الإمامة من قيادة الأمة، فنظم قصيدته الطائية التي تحولت إلى " نكتة سياسية " تزين المجالس: فقد قال مخاطباً "ثوار" المغني إبراهيم:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية [119] يلذها الأمرد والأشمط
والمعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البربط

وقد نال المعتصم العباسي من قوارص لسانه ما نال من سبقه ومن سيلحقه ، إذ الموقف لدى دعبل، موقف تجاه هذا الجهاز الفاسد، وهذا الخط قبل النظر إلى من يكون في داخله وإن كان الذين نزوا على هذا الجهاز لم يخيبوا قول القادحين فيهم، فقد قال لما تولى المعتصم الخلافة:

وقال إمام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لب

وما كانت الأنباء تأتي بمثله يملك فيها أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضي الذي ضمه الترب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا في ثامن منهم الكتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة غداة ثووا فيه وثامنهم كلب

[119] / حنينية: ألحان منسوبة إلى حنين المغني، والمعبديات لمعبد و البربط آلة موسيقية.

وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
كأنك إذ ملكتنا لشقائنا عجوز عليها التاج والعقد والأثب
فقد ضاع أمر الناس حين تسوسهم وحل بهم عسر و قد عظم الخطب
وقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وصيف و اشناس وقد عظم الكرب

وهكذا وبعد المعتصم حيث أصبح أمر المسلمين لعبة بيد الغلمان الأتراك، والخلفاء الغلمان، فلا تمر جمعة إلا وقد تغير الخليفة حتى ليحار الخطيب، لمن يخطب ؟! وكان لسان حال المسلمين في كل ذلك هو ما قاله دعبل معبراً عن الرأي العام:

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد
فمر هذا ومر الشوم يتبعه وقام هذا وقام الشوم والنكد

وهكذا فهو بهذه المواقف كان يعرض نفسه دائماً للهلاك، لا كمن يريد التكسب!! ومن عجب أن المعري يزعم أن دعبلاً كان يريد التكسب بتشيعه وهل كان وراء التشيع إلا غضب الخلفاء وطرد الأمراء، وأحيان كثيرة القتل ؟! لقد كان يلام دعبل وراء كل قصيدة يقولها مضاراً للخليفة، ورافضاً لظلمه، وكان يلام على ذلك، إلاّ أنه كان يقول- ودائما-: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على ظهري أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك.

وبقدر ما كان صاخبا متحديا في معالجته لقضايا الخلفاء، عنيفا على ظلمهم وانحرافهم وتهتكهم، راثياً حال المسلمين في ظل حكمهم، كان يذوب رقة وحزناً وأسى عندما يتعرض لمصائب أهل البيت عليهم السلام وتضحياتهم، يجدوه في ذلك موقف عقائدي والتزام مبدئي، حاله يجسده أحد أبياته:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

وذلك الرثاء عنده لم يكن حالة انكفاء سلبي بل في نفس الوقت كان يأمل أن تنتهي أيام الجور، وحتى إذا لم تنته فإنه قد أدى ما عليه من الولاء وتحمل مسؤولية انتمائه في هذه الحياة، فهو يتحدث عن ذلك الانتماء:

نبذت إليهم بالمودة صادقاً وسلمت نفسي طائعاً لولاتي
فيا رب زدني في هواي بصيرة وزد حبهم يا رب في حسناتي
وإني لمولاهم، وقال عدوهم وإني لمحزون بطول حياتي

ثم، وبعد أن يعدد الماسي التي انصبت على أهل البيت عليهم السلام ينطلق إلى المستقبل، وينظر إليه بعين التفاؤل والأمل:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد تقطع نفسي أثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
فيا نفسي طيبي ثم يا نفس ابشري فغير بعيد كل ما هو آتي
ولا تجزعي من مدة الجور إنني أرى قوتي قد آذنت بثبات
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي وآخر من عمري ووقت وفاتي
فإني من الرحمن أرجو بحبهم حياة لدى الفردوس غير بتات

ونلمس مدى تقدير الإمام الرضا(ع) الذي اختص دعبلاً بالدعاء له بالأمن يوم الفزع الأكبر لما قال بيته السابق (وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي). وكذلك عطاؤه له، لما كان دعبل يمثل من عمق الانتماء لخط أهل البيت (ع). ونظرا للمكانة التي تحتلها هذه القصيدة في عالم العقيدة والأدب ، نورد جانبا منها .

* * *

بكيت لرسم الدار من عرفات وأذريت دمع العين بالعبرات

وفك عرى صبري وهاجت صبابتي رسوم ديار قد عفت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
وسبطي رسول الله وابني وصيه ووارث علم الله والحسنات
منازل وحي الله ينزل بينها على أحمد المذكور في السورات
منازل كانت للصلاة والتقى وللصوم والتطهير والحسنات
ديار عفاها جور كل منابز ولم تعف للأيام والسنوات
فيا وارثي علم النبي وآله عليكم سلام دائم النغمات
لقد أمنت نفسي بكم في حياتها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

* * *

سقى الله قبراً بالمدينة غيثه فقد حل فيه الأمن بالبركات
نبي الهدى صلى عليه مليكه وبلغ عنا روحه التحفات
وصلى عليه الله ما ذر شارق ولاحت نجوم الليل مبتدرات
أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشانا بشط فرات
إذا للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي نجوم سماوات بأرض فلات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخ نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

فقال له الرضا (ع) أفلا ألحقت لك ببيتين بهذا الموضع بهما تمام قصيدتك؟!
قال دعبل : بلى يا ابن رسول الله، فقال الرضا(ع):

وقبر بطوس يالها من مصيبة ألحت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا الغم والكربات

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من ؟!.
فقال الرضا (ع) :هو قبري.. وأكمل دعبل:

فأما الممضات التي لست بالغاً مبالغها مني بكنه صفات
قبور بجنب النهر من أرض كربلا معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشى بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي
نبذت إليهم بالمودة صادقاً وسلمت نفسي طائعاً لولاتي
فيارب زدني في هواي بصيرة وزد حبهم يارب في حسناتي
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيأهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
فكيف أداوي من جوى بي والجوى أمية أهل الفسق والتبعات
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً وآل زياد تسكن الحجرات
وآل رسول الله تسبى حريمهم وآل زياد ربة الحجلات
وآل رسول الله تدمى نحورهم وآل زياد آمنوا السربات
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفا من الأوتار منقبضات

* * *

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد تقطع نفسي أثرهم حسراتي

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات
فيانفس طيبي ثم يا نفس أبشري فغير بعيد كل ما هو آتي
ولا تجزعي من مدة الجور إنني أرى قوتي قد آذنت بثبات
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي وأخّر من عمري ووقت وفاتي
شفيت ولم أترك لنفسي غصة ورويت منهم منصلي وقناتي
فإني من الرحمن أرجو بحبهم حياة لدى الفردوس غير تبات[120]

وأخيراً.. كان على موعد مع النهاية، ككل الناس، ولكنه لما كان يختلف عنهم في طريقة حياته، اختلفت أيضاً طريقة شهادته ونهايته، فقد عهد مالك بن طوق بعد أن هجا المعتصم العباسي وهجاه، عهد إلى شخص باغتياله، وفعلا فقد ضربه وهو خارج بعد صلاة العشاء على قومه بعكاز له زج مسموم، ومضى شهيداً.

وليس غريبا على الطغاة وأعوانهم أساليب الاغتيال.. كما ليس غريباً على المؤمنين وقادتهم الشهادة.. أليس القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة ؟!.

الإمام الجواد عليه السلام

1- يعقوب بن السكيت
2- علي بن مهزيار
3- زكريا بن آدم الأشعري
4- إبراهيم بن هاشم القمي

[120] أعيان الشيعة 6/ 418.

5- أحمد بن محمد البرقي

محمد بن علي بن موسى
**أبو جعفر (الثاني)الجواد عليه السلام**
**195-225هـ**
**ولد الإمام الجواد عليه السلام عام 195 هـ وتوفي عام 220 وعمره خمسة وعشرون عاما ومدة إمامته عاما.**
**كان مجيء (المولود المبارك) كما عبر عنه أبوه الإمام الرضا عليه السلام ، قاطعاً لموجة من التساؤل بل التشكيك عند بعض الشيعة إذ أن الإمام الرضا لم يولد له إلا في السنوات الأخيرة من عمره، وكان هذا الأمر يبعث على التساؤل انه من سيكون الإمام بعد الرضا ؟! وقد حمل الواقفية لواء التشكيك في إمامة الرضا وأنه لم يولد له ولد، ولا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين.. فكانت ولادة الإمام الجواد ، ضربة لمحاولات التشكيك تلك.**
**تولى الإمامة وعمره ثمان سنوات.. وكان طبيعيا أن يثير ذلك التساؤل والاستغراب لدى الكثيرين، إلاّ أن ذلك كان يرفعه الإمام الرضا عليه السلام بقوله للسائلين: إن عيسى ابن مريم قام بالحجة والنبوة وهو طفل، مع أنه صاحب شريعة مستأنفة والإمام الجواد وصي لشريعة قائمة.. وأن الإمامة لو كانت من شؤون البشر في تعيين الإمام لكان الاستغراب في محله، إذ أن شخصاً في مثل هذا السن لم تتح له فرصة التعلم والتفقه والتدريب، فكيف يكون إماماً ؟! لكن لما كانت الإمامة شأنا إلهياً، وعلم الإمام لم يكن بالتعلم المتعارف لا في مقداره ولا في كيفيته. فإن هذا الاستغراب يرتفع من رأسك، وقد جرب الأصحاب المنافسون والأعداء مقدار علمهم إلى جنب علم الإمام الجواد وهو في سن الثامنة من العمر فوجدوا أنفسهم غرقى في بحر علمه الطامي، وحاول العباسيون إحراجه بمسائل صعبة يعدها قاضي القضاة يحيى ابن اكثم، فوجد نفسه في حضرة الإمام الجواد تلميذاً صغيراً لا حول له ولا طول.**
**زوجه المأمون ابنته أم الفضل، ربما لكي يدرأ عن نفسه تهمة قتل الرضا عليه السلام كما يحتمل بعض المؤرخين وبقي في المدينة ينشر العلم والمعارف ا لإلهية..**

بعد وفاة المأمون سنة 218 هـ، وكان المأمون يحاول أن يظهر بمظهر من يود أهل البيت ولعب في ذلك دورا معقداً خفي على الكثير من المؤرخين، ومن وراء ذلك المظهر كان يدعم سلطانه ولو جره إلى قتل أئمة أهل البيت..

بعد وفاته ومجيء المعتصم العباسي وكان يتصف هذا بأنه كان عسكريا ، لم يكن له حظ من العلم والمعرفة ، ولكنه مع ذلك واصل امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وأمر بقتل عدد من العلماء على هذه القضية ، وضرب إمام المذهب الحنبلي أحمد بن حنبل وسجنه .. ولعل كونه ابن أمة تركية وميله إلى الميليشيا التركية كان يتناغم مع هذه النفسية .، وكان هذا لا يخفي كراهيته لأهل البيت وأتباعهم فاستدعى الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، واتفق مع زوجته أم الفضل بنت المأمون، وكانت تحقد على الإمام الجواد عليه السلام لتفضيله أم الإمام الهادي عليها، لكي تسمه وفعلاً فقد تم للمعتصم ما أراد، وسم الإمام الجواد عليه السلام في عام 220 هـ، أي في آخر سنة قدومه إلى بغداد بحكم من العباسيين .

ويذكر البعض دورا للفقهاء المرتبطين بالسلطة في تحفيز المعتصم لقتل الامام υ ، فقد ذكر في موسوعة الامام الجواد ما يلي : عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد قال : رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم ، فقلت له في ذلك . فقال : وددت اليوم أني قد مت منذ عشرين سنة ! قال : قلت له : ولم ذاك ؟ قال : لما كان من هذا الأسود ! أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم . قال : قلت له : وكيف كان ذلك ؟ قال : إن سارقا أقر على نفسه بالسرقة ، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه ، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه ، وقد أحضر محمد بن علي عليهما السلام فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع ؟ قال : فقلت : من الكرسوع. قال : وما الحجة في ذلك ؟ قال : قلت : لأن اليد هي الأصابع ، والكف إلى الكرسوع ، لقول الله في التيمم : ( فامسحوا بوجوهكم وأيديكم . ) واتفق معي على ذلك قوم . وقال آخرون : بل يجب القطع من المرفق . قال : وما الدليل على ذلك ؟ قالوا : لأن الله لما قال : ( وأيديكم إلى المرافق . ) في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق . قال : فالتفت إلى محمد بن علي عليهما السلام ، فقال : ما تقول في هذا يا أبا جعفر ! ؟ فقال : قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين ! قال : دعني مما تكلموا به ! أي شيء عندك ؟ قال : أعفني عن هذا يا أمير المؤمنين ! قال : أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه ؟ فقال عليه السلام : أما إذا أقسمت علي بالله إني أقول : إنهم أخطأوا فيه السنة ، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع ، فيترك الكف . قال : وما الحجة في ذلك ؟ قال : قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : السجود على سبعة أعضاء : الوجه واليدين والركبتين والرجلين ، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها . وقال الله تبارك وتعالى : ( وأن المساجد لله . ) يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ( فلا تدعوا مع الله أحدا ) . وما كان لله لم يقطع . قال : فأعجب المعتصم ذلك ، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف . قال ابن أبي دؤاد : قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حيا .

قال زرقان : إن ابن أبي دؤاد قال : صرت إلى المعتصم بعد ثالثة ، فقلت : إن نصيحة أمير المؤمنين علي واجبة ، وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار . قال : وما هو ؟ قلت : إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماؤهم لأمر واقع من أمور الدين ، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك ، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزراؤه وكتابه ، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته ، ويدعون أنه أولى منه بمقامه ، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء ؟ ! قال : فتغير لونه ، وانتبه لما نبهته له ، وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيرا . فكان ذلك من أوكد الأسباب لسعيه في التخلص من الإمام الجواد .

**1- أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت**
**(توفي سنة 244 هـ )**

" إن قنبراً خادم أمير المؤمنين أحب إلي منهما (المعتز والمؤيد).."
ابن السكيت للمتوكل

في جنوب إيران، في الأهواز، وفي منطقة (الدورة) كانت البداية عندما ولد يعقوب بن إسحاق، الملقب (بالسكيت) لكثرة صمته وقلة حديثه.

في تلك المنطقة المعروفة منذ القدم بولائها لأهل البيت عليهم السلام نشأ وترعرع قبل أن ينتقل إلى بغداد وسرعان ما برز في معرفته باللغة العربية مما لفت الأنظار إليه.

لقد كان يحمل بين جنبيه نفساً طموحة تتمرّد على عوائق الزمان والمكان في سبيل العلم والمعرفة، ساعده على ذلك انتماؤه لمدرسة أهل البيت عليهم السلام تلك التي تبعث في اتباعها شعوراً بضرورة (التميز) والتصاعد كان يسمع من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

(إن أصحابي أولي النهي (العقل) والتقى فمن لم يكن من أهل النهي والتقى فليس من أصحابي) ويسمع عن الصادق عليه السلام ( ليس من شيعتنا من يكون في مصر فيه آلاف ويكون في المصر أورع منه) وعنه عليه السلام (إن شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم إن كان فقيه كان منهم وإن كان مؤذن فهو منهم وإن كان إمام كان منهم وإن كان صاحب أمانة كان منهم)[121].

وكانت هذه الأحاديث تضرب على الوتر الحساس في نفسه فهو يجد نفسه مؤهلاً لأن يكون مصداقاً لها.

كما أن صحبته للإمامين الجواد والهادي عليهما السلام قد ساهمت بشكل مؤثر في صياغة شخصيته العلمية كونه قريباً من المنبع الصافي للمعرفة، المتصل بالوحي ذلك أنه أصبح " مقدما عند أبي جعفر الثاني (الجواد) وأبي الحسن عليه السلام وكانا يختصانه وله عن أبي جعفر رواية ومسائل " [122]

ولما يتميز به من معرفة عميقة بقواعد اللغة والأدب، استدعاه المتوكل العباسي لكي يؤدّب أولاده.. وهكذا كان.. إلا أن طبيعتي الشخصين كان لا بد أن تصطدما يوماً ما، ذلك أن المتوكل الذي اختص كل الحقد الأموي والعباسي على أمير المؤمنين علي عليه السلام و ركزه في

---

[121] / بحار الأنوار / 68
[122] / تنقيح المقال 3/ 329.

شخصيته، لم يكن لينسجم مع يعقوب بن السكيت الموالي لأمير المؤمنين وأولاده، والملتزم بنهجهم.

وكانت الأيام بانتظار ساعة الصفر، لتشهد ذلك الصدام.. وكان

ذلك اليوم الذي سجل فيه ابن السكيت خلوده، وعار المتوكل. فقد كان جالسا ومعه المتوكل فيما كان أبناء المتوكل (المعتز والمؤيد) يدخلان عليه، سأل المتوكل ابن السكيت:

- يا يعقوب: أيهما أحب إليك.. ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟!.

بالطبع كان المتوكل العباسي يتوقع من ابن السكيت أن يجيب بذكر (فضائل) المعتز والمؤيد، مرجحاً إياهما على سبطي رسول الله. ذلك أن الخلفاء يسكرون بخمر المدح الكاذب، ويرتبون عليه الآثار، فإذا سمع الخليفة شاعراً يقول:

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما بديت من الصفوف وكبروا!!

فإنه يصدق ذلك مع أنه يذكر بطلعته المسطولين والمخمورين!!.

هذا إضافة إلى أنهم تعودوا أن يسمعوا من حواشيهم والوافدين عليهم كلاماً يوافق هواهم، فلا يتوقعون أن يوجد كلام غيره!!.

ولم يكن ابن السكيت غافلاً عن هذه الأمور، كيف ؟! وهو ابن الخامسة والخمسين الذي جرب الحياة وعرف أخلاق أهلها، إلا أنه هنا وقف بـ (كلمة حق عند إمام جائر..) وقال :

- إن قنبر خادم أمير المؤمنين عليه السلام خير منهما ومن أبيهما.

لم تكن هذه الكلمة عثرة لسان أودت بحياته، وهو القائل:

يموت الفتى من عثرة لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل

لقد كان يفكر في (موقف) ينتخبه بإرادته، وينتصر فيه لدينه وعقيدته، كان يعرف كثيراً من أحاديث (السلامة) والنجاة بالنفس، وكغيره فإن نفسه تنازعه على البقاء فماذا يضرّه أن يقول إن ابني المتوكل أفضل من الحسنين وأبيهما وجدهما ؟! خصوصاً إذا كان الثمن تخليص نفسه ؟!.

لكنه تلميذ مدرسة الأئمة عليهم السلام ، ووارث تضحيات الثائرين لم يشأ لنفسه أن يسمع ( لغو) الباطل، وأن يمضيه، عوض إسماع صوت الحق والعلم، فيخالف ذلك ما أخذ الله على العلماء، من ميثاق العلم ( لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه). لقد حسب كل حساباته، ووضع الاحتمالات أمام عينيه وأولها الموت.. وأطلق قذيفته تلك..

ما إن سمع المتوكل العباسي جوابه حتى اسودت الدنيا في عينيه وصاح بغلمانه من الأتراك ليدوسوا في بطنه حتى قتلوه.

وبذلك ختم يعقوب بن إسحاق ابن السكيت خمساً وخمسين عاماً مترعة بالعلم والمعرفة ختمها بالشهادة بعد أن خاض (أفضل الجهاد).

لم يكن فقط هذا الموقف باعث تخليده وإن كان بذلك جديراً فما أفضل أن ينهي المرء عمره بموقف شجاع، فإضافة إلى ذلك كان في حياته " وجهاً في علم العربية واللغة، ثقة مصدقاً لا يطعن عليه).

وقال أبو الطيب في مراتب النحويين: " انتهى علم الكوفيين إلى أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب وكانا ثقتين أمينين ويعقوب أسبق وأقدم وأحسن الرجلين تأليفاً وثعلب أعلمهما بالنحو".

وقال أبو العباس ثعلب: " أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن

السكيت) [123].

وإذا كانت آثار المرء هي حياته الممتدة وذكره هو الباقي، بعد انقضاء مدته، فإننا نجد أن ابن السكيت قد امتدّ بحياته في بعدي الجهاد والعلم بينما أصبح المتوكل قاتله لعنة، فإذا بملوية سامراء إن حكت فإنما تفصح عن حكاية الظلم، وإذا بقيت أطلال قصر (الجعفري) وقد أنفق على بنائه مليوني دينار أو (البرج) وقد تكلف مليون وسبعمائة ألف دينار أو (الملج) وقد صرف عليه خمسة ملايين درهم و (الشبندار) و (المختار) و (الغرو) و (بركوار) [124] وغيرها، فإنما لكي تبقى وصمة عار ولعنة تاريخ، وعلامة انهيار، وإسفاف في كيفية تبذير هؤلاء الحكام لأموال المسلمين.

وفي المقابل بقيت آثار ابن السكيت، ذكراً عاطراً تلهج به الألسن وسيرة حسنة تملأ الأسماع، ومواقف شجاعة تحيي القلوب. وفوق كل ذلك مآثر من العلم والمعرفة، فقد خلف ابن السكيت وراءه من الكتب، التالية أسماؤها:

- كتاب إصلاح المنطق وقد قال عنه أبو العباس المبرد: ما عبر على جسر بغداد كتاب في الفقه مثل إصلاح المنطق، ولم أر ببغداد بين كتابا خيراً منه.

- وكتاب الألفاظ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكتاب الأضداد وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب ا لأضداد.

- وكتاب ما فيه صنعة من شعر الشعراء (امرىء القيس- زهير- النابغة- الأعشى- أبي داود- بشير بن أبي حازم- أوس بن حجر- علقمة الفحل- طرفة- عنترة- عمرو بن كلثوم- الفرزدق- الأخطل- جرير..).

- وكتاب الطير- وكتاب النبات- وكتاب الوحش- وكتاب الأرضين - الجبال والأودية- وكتاب الأصوات- وكتاب الشجر والغابات- و كتاب الحشرات- وكتاب الإبل.

ويظهر من عناوين هذه الكتب، طابع الموسوعية التي كان يتميز به ابن السكيت فالقسم الأول، كما هو واضح يرتبط بقواعد اللغة العربية، أما القسم الثاني فيرتبط بالشعر والأدب العربي، بينما يبحث القسم الثالث من كتبه علم الطبيعيات .

---

[123] / تأسيس الشيعة/ 156.

[124] / حياة الإمام الهادي للقرشي/ 314

## 2- علي بن مهزيار الأهوازي
## توفي سنة 250هـ

لا يتذكر علي بن مهزيار من ماضيه إلاّ القليل.. فغير ذلك القليل لا يستحق كثير اهتمام.
لقد عاش في وسط عائلة مسيحية متدينة، ولما كان أبوه يفتش دائماً عن المعرفة، فقد هداه الله إلى الإسلام.. وتحوّلت العائلة كلّها، وعلي لا يزال صغير السن.
شبّ علي كما يشب غيره، وطوى من عمره سنيناً كما يفعل غيره، وكل ذلك لا يحظى عنده بكثير اهتمام، إنما لحظة التحول ، وبوابة الصعود الأكبر.. يتذكرها دائماً بحمد الله، ويدعو بالخير لصانع هذا التحول في نفسه، وحياته.

نعم.. تلك اللحظة التي التقى فيها الحسين بن سعيد الأهوازي به وعقد معه علاقة مودة وصداقة، انتهت إلى أن أصبح علي جزء من اهتمام الحسين بن سعيد.

طالما أثار الحسين في نفس ابن مهزيار الإعجاب والإكبار.. هذا العالم الواعي، الذي تراه والحيوية تنبعث من أعطافه، ودفء الإيمان، ودماثة الأخلاق.. لا يهدأ، فكأنه خلق من طينة الحركة، ولا يكل، وتجد الجواب عنده- عادة- على مختلف المسائل.

وذات يوم.. يلتقي الحسين به ويتحدث.. لله دره.. ما أعذب حديثه، تمر الساعات سريعة دون أن يشعر بها مستمعه، يتلو اللقاء آخر وثالث، وهكذا وعلي بن مهزيار يتتلمذ على يد الحسين بن سعيد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

وبحجم التحول الذي حدث في حياة عائلته عندما تعرفت على الإسلام، يحدث في قلبه وشخصيته عندما يتعرف على منهج أهل البيت عليهم السلام .. بينما كان كل شيء في حياته عديم الأهمية، أصبحت كل لحظة من أوقاته ذات أهمية قصوى، كان يعيش لذاته، فأصبح يحيا لهدفه.. من هناك بدأ حياته الحقيقية..

لم يكن علي بن مهزيار وحده في هذا الطريق، فهذا " المعلم الرسالي "، يتحرك في كل ناحية من نواحي الأهواز وقصباتها، ليملأها وعياً وعلماً ومعرفة، بينما يملأ "سلاطين الإسلام" الأرض فضائح و مخازي. بالرغم من أنه- وهو الكوفي مولداً- يعد غريباً في منطق الحياة العادية والمفروض (يا غريب كن أديباً)، إلاّ أن الحسين بن سعيد التلميذ النجيب في مدرسة الإمام الرضا عليه السلام ، كان قد طوى منذ زمن بعيد أمثال هذه الأفكار.. لذلك كان يتحرك بفاعلية كبرى في هذه المنطقة.

وهذا التحرك الذي كان يقوم به الحسين بن سعيد استقطب إلى مدرسة أهل البيت عليه السلام عدداً كبيراً من الناس، من بينهم كان علي بن مهزيار و اسحاق بن إبراهيم الحضيني وعبد الله بن محمد الحضيني.

وتأهل علي بعد مشوار طويل من التربية والإعداد، النفسي والديني والثقافي، للقاء الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وكان الوسيط في ذلك اللقاء أيضاً الحسين بن سعيد.

* * *

ليس الخبر كالعيان..

ومهما قيل، وكتب، ونقل في تفاصيل شخصية الإمام، وموقع الإمامة، فلن يكون ذلك كله كعيان ساعة من الزمان، ولقاء حين مع ولي الله، والحجة على خلقه يكشف أمام المرء عوالم كثيرة من المجهول.. هذا ما كان يفكر فيه علي بن مهزيار، وقد جلس بكل أدب وتواضع أمام الإمام الرضا عليه السلام ..

كانت حقيقة الوضع السياسي حينها خافية على الكثيرين، ذلك أن المأمون العباسي، الذي كان يظهر التقرب لأهل البيت عليهم السلام ، وقد خرج لتوّه من صراع مرير مع أخيه الأمين، الذي علق رأسه على بوابة بغداد بعد دخول طاهر بن الحسين الخزاعي قائد جيوش المأمون، وكان المأمون بحاجة ماسة إلى غطاء من الشرعية، يمكنه من البقاء في الحكم، ذلك أنه كان يفتقد إلى الميزات والقيم التي تعتبر حاكمة في خط الخلافة، فهو ابن أمة فارسية بينما كان أخوه الأمين ابن حرة عربية، إضافة إلى كونه- في النتيجة- قد قتل أخاه الأمين.

وضرب المأمون " ضربة معلم" بأخذه البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد فقد حقق عدة أهداف في وقت واحد، بينما سكر غير الواعين بخمر الوهم في عودة الخلافة إلى موقعها الطبيعي، وثملوا بكأس حسن حال المأمون، وفيما لم يكتم هؤلاء سرورهم بما حصل ، لم يخف الإمام الرضا أن " هذا الأمر لا يتم " وكان يوضح لخيرة أصحابه الأهداف التي يتوخاها المأمون من خطوته تلك.

فهو إلى جانب وضع الإمام تحت المراقبة الدائمة، باعتبار كونه ولياً للعهد، وبالتالي فهو غير بعيد عن الجهاز الحاكم والبلاط، وبقدر ما يكون في البلاط العباسي يبتعد عن قواعده وأنصاره، بل تشوه في هذه الأثناء سمعته بين الناس فهذا الإمام الذي كان يظهر منه الزهد في أمور الدنيا - كآبائه- لما كانت غير متيسرة له، هاهو ينقض عليها مقتنصاً إياها، بعد أن أقبلت عليه!!.

كما أنه بتعيينه الإمام لولاية العهد استطاع أن يطفىء نار الثورات العلوية إلى حين واهم من كل ذلك، أنه بذلك يحصل على اعتراف من العلويين بشرعية الخلافة العباسية، الأمر الذي لم يكن يطمع فيه أحد من أسلافه.

كل هذه القضايا، وسواها، علمها علي بن مهزيار وبالرغم من أن مدة مكثه لدى الإمام الرضا لم تكن طويلة، إلاّ أنه فتح له من ذلك اللقاء أبواب من العلم والمعرفة.

* * *

اللقاء الأطول والصحبة الكبرى كانت مع الإمام الجواد عليه السلام ، ابن الرضا قد سمع منه وروى الكثير عنه، وصعد في سلم درجات الإيمان، والولاء حتى تأهل لكي يكون في مقام عبد الله بن جندب البجلي..

ولأن هذا التجمع ملاكه التقوى والكفاءة، وقيم التفاضل فيه هي هذه القيم، لذلك من يوفرها في نفسه. فإنه يتقدم، سواء كان كوفياً عربياً، أو مولى أعجمياً، إذ (إن أكرمكم عند الله أتقاكم ).

وهو بهذا يختلف عن سواه من التجمعات التي ترى النسب هو المعيار الأول، أو الثروة أو غيرها، فنحن نلتقي مع نماذج في تاريخ الإسلام رفعهم سعيهم وجدهم وعصاميتهم إلى درجات عالية، بينما بقي آخرون اعتمدوا على سمعه العائلة، أو شرف الأسرة.

يصبح سلمان (الفارسي- المجوسي سابقاً) " منّا أهل البيت " بينما يحجز غيره من العرب الأقحاح والقرشيون أماكنهم في قائمة المنافقين. ولقد أدرك علي بن مهزيار هذه المعادلة بعمق فاستطاع أن يتحول إلى واحد من أفضل أصحاب الإمام، بل ربما يكون أفضلهم ولو تأملنا المسافة التي قطعها ابن مهزيار من كونه ابناً لرجل نصراني يسكن في إحدى قرى الأهواز بعيداً عن مراكز الإشعاع الفكري الإسلامي إلى أن أصبح وكيلاً يخاطبه الإمام الجواد بأنه (لم يرَ أفضل

منه).. إنها لمسافة كبيرة حقّاً. ولأنه يرى أن مشكلة الأمة هي فقدان الوعي الديني والمعرفة الدقيقة بالإسلام، لذلك انشغل بالكتابة في هذا الجانب، وقيل أنه ألّف اثنين وثلاثين كتابا هي التالية أسماؤها:

ا- كتاب الوضوء.
2- كتاب الصلاة.
3- كتاب الزكاة.
4- كتاب الصوم.
5- كتاب الحج.
6- كتاب الطلاق.
7- كتاب الحدود.
8- كتاب التفسير.
9- كتاب الفضائل.
10- كتاب الرد على الغلاة.
11- كتاب الدعاء.
12- كتاب المكاسب.
13- كتاب التجارات والإجارات.
14- كتاب المثالب.
15- كتاب الوصايا.
16- كتاب الخمس.
17- كتاب الشهادات.
18- كتاب المواريث.
19- كتاب التجمل والمروءة.
20- كتاب العتق والتدبير.
21- كتاب المزار.
22- كتاب الشهادات.
23- كتاب فضائل المؤمنين وبرهم.
24- كتاب الملاحم.
25- كتاب التقية.
26- كتاب الصيد والذبائح.
27- كتاب الزهد.
28- كتاب الأشربة.
29- كتاب النذور والإيمان والكفارات.
30- كتاب الحروف.
31- كتاب الغنائم.
32- كتاب البشارات.

وتوكل للإمام الجواد محمد بن علي عليه السلام ، وكان مرجع أتباع الإمام عليه السلام في كل قضاياهم وأمورهم، ونستطيع أن نعرف موقع ابن مهزيار في جهاز الإمام الجواد عليه السلام ، وموقعه عندما نتأمل عبارات الرسالة الجوابية التي كتبها إليه الإمام- هذا مع عقيدتنا أن الإمام لا يتكلم إلاّ الحق-:

(يا علي أحسن الله جزاءك وأسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك

معنا، يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والتوفير والقيام بما يجب عليك فلو قلت: إني لم أر مثلك رجوت أن أكون صادقاً فجزاك الله جنات الفردوس نزلاً فما خفي عليّ مقامك ولا خدمتك في الحز والبرد وفي الليل والنهار، فأسأل الله إذا جمع الخلائق أن يحبوك برحمة تغبط بها انه سميع الدعاء .

**3- زكريا بن آدم الأشعري القمي**

قلت للرضا عليه السلام شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممّن آخذ معالم ديني ؟!- فقال عليه السلام : من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا.

انتهت انتفاضة عبد الرحمن بن الأشعث إلى الانكسار بعد تغلب جيش الحجاج عليهم بدير الجماجم وتفرق جمع القراء والفقهاء الذين شاركوا فيها، واستقصى الحجاج أسماء من شارك فيها وقد حلف ألا يؤتى بأسير إلاّ ضرب عنقه، فقد أتى بأعشى همدان، فقتل ، بينما أولئك الذين شهدوا على أنفسهم بالكفر (!) خلّى سبيلهم، فقد جيء له باثنين من (ثقيف)، فتقدم أحدهما فقال له الحجاج: أكفرت ؟! قال: نعم. فقال له: لكن هذا الذي خلفك لم يكفر، وخلفه رجل من (سكون) فقال السكوني:

أعن نفسي تخادعني ؟. بلى والله ولو كان شيء أشد من الكفر لبؤت به!! [125].

بينما لجأ غيرهم من المشاركين في الثورة إلى مناطق أخرى فرارا من الاعتراف على أنفسهم بالكفر، ونجاة بدينهم، علما بأن الاعتراف بالكفر لم يكن ينجي كل من يعترف، إذ أن ذلك يخضع لمزاج الحجاج، وتقديره لموقف الإنسان عموماً، ومدى ولائه للسلطة.

وكان بين من لجأ إلى بلدة (قم) عبد الله بن سعد الأشعري جد زكريا، وكان أصله من قبيلة (الأشعر) المعروفة باليمن، لجأ عبد الله ومعه أخوته الأربعة، واختاررا البقاء في هذه المدينة البعيدة عن متناول السلطة المركزية سواء في الشام أو العراق. وكان عبد الله الأشعري قد ولد في الكوفة وتربى فيها، وتعلم معالم العقيدة في حلقاتها، في وقت كانت الكوفة تضج بالحركة العلمية والثقافية التي نقلها إليها تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام ، وكانت حاضرة التشيع- آنئذ- دون منازع، إضافة إلى كونها منطقة المعارضة الأولى للحكم الأموي..

تربى عبد الله في الكوفة واستوعب مفاهيم التشيع وثقافة أهل البيت حتى أصبح المبرز في عائلته في هذا الجانب..

مع مجيء عبدالله الأشعري وإخوانه إلى بلدة قم واستقرارهم فيها ثم التحاق سائر أقاربهم وأصحابهم بهم، وكذلك لجوء عدد كبير من شيعة أهل البيت إلى هذه البلدة هرباً من مضايقة السلطات الحاكمة.. أصبح هؤلاء هم الحاكمون لها، والمسيطرون عليها، وبما يملكون من معرفة دينية، متميزة، هم أهل التوجيه الفكري، وهكذا صنعوا في قم حركة فكرية سليمة تنبثق من تعاليم أهل البيت ومعارفهم، وكانت من مميزات هذه الحركة الفكرية أصالة مفرداتها، وبعدها عن الغلو والإغراق، بحيث كان الأشعريون يخرجون من قم أصحاب العقائد المنحرفة وذوي الغلو.

وبمرور الزمان تحولت تلك البليدة الصغيره البعيدة عن العمران المادي والمعنوي، منطقة مهمة في جغرافيا حركة التشيع، وإذا كان حرم رسول الله المدينة، وحرم أمير المؤمنين النجف فإن حرم أهل البيت قم [126]، بهذا الشكل الذي برزت فيه. وبهذا جسّد عبد الله الأشعري وإخوانه بعملهم الآية القرآنية الكريمة:

( وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج).

لقد عرفت قم بأنها المدينة الخالصة من التشيع لأهل البيت حينها.

وفي هذا الجو ولد زكريا بن آدم بن عبد الله الأشعري، ليصبح هو بدوره واحداً من أهم أصحاب الإمام الرضا، ثم الجواد عليه السلام . فقد اختصه الرضا عليه السلام بالوكالة، وأصبح يتحمل مسؤولياتها في إدارة شؤون الناس في قم ونواحيها، بل ربما حول الإمام الرضا عليه السلام إليه سائر أتباعه لسؤاله عما يجول- بخاطرهم إن لم يستطيعوا الوصول إلى الإمام عليه السلام ، وهذا- لعمري- مقام رفيع يتمناه كل أحد ولولا ثقة الإمام في قدرة زكريا على تلبية الحاجات الثقافية والفكرية للشيعة لما كان يصنع ذلك.

فقد جاء علي بن المسيب الهمداني إلى الإمام الرضا عليه السلام ، وبعد أن سأله ما أراد، قال له: شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني ؟ فقال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا. فلما انصرف ابن المسيب، قدم على زكريا فسأله عمّا احتاج إليه. وهو لهذا الغرض كان يختصه بكثير من الوقت للإفاضة عليه من العلم النبوي المخصوص بأهل البيت، خصوصاً وقد تعاظمت مسؤولياته بوفاة أحد الوكلاء في منطقته، وهو زكريا بن إدريس الأشعري،

---

[125] / مروج الذهب 3/ 164.

[126] / سفينة البحار/ 2.

(أبو جرير) فقد دخل زكريا بن آدم على الإمام الرضا أيام وفاة أبي جرير " فسألني عنه وترحم عليه ولم يزل يحدثني وأحدثه حتى طلع الفجر، ثم قام وصلّى صلاة الفجر".
وحين يستأذن- بعد مدة- الإمام الرضا عليه السلام في الخروج عن منطقة لا يسمح له بذلك، لأن وجوده بينهم كفيل بدفع البلاء بمختلف أنواعه وذلك لما يشكله وجود العالم الورع في مثل منزلة زكريا من ضمانة لاستقامة مسيرة المجتمع، ويقول له: " لا تفعل فإن أهل بيتك يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام ".
ويمضي الإمام الرضا عليه السلام مسموماً على يد المأمون العباسي وإذا كان بعض الناس قد شككوا في إمامة الإمام الجواد عليه السلام بعد أبيه نظراً لصغر سنه، وقد تصوروا المسألة ضمن المعادلات البشرية الاعتيادية، بينما هي اصطفاء إلهي، لا دخل للناس فيه، بل لا دخل للمنتخب فيه أيضاً.

إلا أنه بعد أن جلس الإمام الجواد على مسند الإفتاء وقد أجاب على مسائل الناس بما حيرهم وهو آنئذٍ دون العاشرة عادوا عن تشكيكهم، فقد أراد العباسيون تعجيز الإمام، وإحراجه أمام الحاضرين، بأن طلبوا من يحيى بن أكثم، قاضي القضاة أن يعد أسئلة يعجز فيها الجواد عن الإجابة. وهكذا أعد مجلس، حضره العلماء والقضاة، وحضره أيضاً المأمون. فقال يحيى بن أكثم: يا أبا جعفر أصلحك الله ما تقول في محرم قتل صيداً ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : قتله في حِلّ أم حرم، عالماً أو جاهلاً، عمداً أو خطأً، عبداً أو حراً، صغيراً أو كبيراً، مبدءاً أو معيداً، من ذوات الطير أو غيره، من صغار الطير أو كباره، مصراً أو نادماً، بالليل في أوكارها أو بالنهار وعياناً، محرماً للحج أو للعمرة ؟ قال: فانقطع يحيى انقطاعاً لم يخف على أحد من أهل المجلس انقطاعه وتحير الناس عجباً من جواب أبي جعفر عليه السلام : فقال المأمون: أخطب أبا جعفر ؟ فقال عليه السلام : نعم يا أمير المؤمنين، فقال: الحمد لله إقراراً بنعمته ولا إله إلاّ الله إجلالاً لعظمته، وصل الله على محمد وآله عند ذكره. أمّا بعد فقد كان من قضاء الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال جلَّ وعزّ (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ). ثم إن محمد بن علي خطب أمّ الفضل ابنة عبد الله، وقد بذل لها من الصداق خمسمائة درهم، فقد زوجته، فهل قبلت يا أبا جعفر ؟ فقال عليه السلام : قد قبلت هذا التزويج بهذا الصداق. فأولم المأمون وأجاز الناس على مراتبهم أهل الخاصة وأهل العامة والأشراف والعمال. وأوصل إلى كل طبقة برّاً على ما يستحقّه.
فلمّا تفرَّق أكثر الناس قال المأمون: يا أبا جعفر إن رأيت أن تعرَّفنا ما يجب على كل صنف من هذه الأصناف في قتل الصّيد ؟ فقال عليه السلام : إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً. وإن قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم فليست عليه القيمة لأنه ليس في الحرم. وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ. وإن كان من الوحش فعليه في حمار الوحش بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة فإن لم يقدر فإطعام ستين مسكيناً، فإن لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوماً. وإن كان بقرة فعليه بقرة، فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكيناً، فإن لم يقدر فليصم تسعة أيام. وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن لم يقدر فليطعم عشرة مساكين. فإن لم يجد فليصم ثلاثة أيام، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً (هدياً بالغ الكعبة) حقّاً واجباً أن ينحره إن كان في حجّ بمنى حيث ينحر الناس، وإن كان في عمرة ينحره بمكة في فناء الكعبة ويتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً، وكذلك إذا أصاب أرنباً أو ثعلباً فعليه شاة و يتصدق بمثل ثمن شاة. وإن قتل حماماً من حمام الحرم فعليه درهم يتصدق به. ودرهم يشتري به علفاً لحمام الحرم. وفي الفرخ نصف درهم. وفي البيضة ربع درهم. وكل ما أتى به المحرم بجهالة أو خطأ فلا شيء عليه إلاّ الصيد، فإن عليه فيه الفداء بجهالة كان أم بعلم، بخطأ كان أم بعمد، وكل ما أتى به العبد فكفارته على صاحبه مثل ما يلزم صاحبه، وكل ما أتى به

الصغير الذي ليس ببالغ فلا شيء عليه. فإن عاد فهو ممن ينتقم الله منه. وإن دّل على الصيد وهو محرم وقتل الصيد فعليه فيه الفداء. والمصرّ عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة. والنادم لا شيء عليه بعد الفداء في الآخرة. وإن أصابه ليلاً أو كارهاً خطأً فلا شيء عليه إلاّ أن يتصيّد، فإن تصيّد، بليل أو نهار فعليه فيه الفداء. والمحرم للحجّ ينحر الفداء بمكة.

ثم سأل الإمام الجواد عليه السلام قاضي القضاة يحيى بن أكثم :

فقال: يا أبا محمد ما تقول في رجل حرّمت عليه امرأة بالغداة وحلت له ارتفاع النهار وحرّمت عليه نصف النهار، ثم حلت له الظهر، ثم حرّمت عليه العصر، ثم حلت له المغرب، ثم حرّمت عليه نصف الفيل، ثم حلت له الفجر، ثم حرّمت عليه ارتفاع النهار، ثم حلّت له نصف النهار ؟ فبقي يحيى والفقهاء بُلساً خُرساً فقال المأمون: يا أبا جعفر أعزّك الله بيّن لنا هذا ؟ قال عليه السلام : هذا رجل نظر إلى مملوكة لا تحل له، اشتراها فحلّت له. ثم أعتقها فحرمت عليه، ثم تزوجها فحلّت له. فظاهر منها فحرمت عليه. فكفّر الظّهار فحلّت له، ثم طلّقها تطليقةً فحرمت عليه، ثم راجعها فحلّت له، فارتد عن الإسلام فحرمت عليه. فتاب ورجع إلى الإسلام فحلّت له بالنكاح الأول، كما أقرّ رسول الله (ص) نكاح زينب مع أبي العاص بن الربيع حيث أسلم على النكاح الأول [127].

إلاّ أن زكريا كان من السابقين الذين آمنوا بإمامة الجواد عليه السلام ، وذلك لأنه قد سمع من الرضا، النص على ابنه الجواد عليه السلام ، وبقي زكريا وكيلاً في قم من قبل الإمام الجواد عليه السلام تماماً كما كان أيام الرضا عليه السلام . فقد كان يبعث إليه بما يجتمع لديه من الحقوق المالية من قبل شيعته في قم وأطرافها. حتى حضره أجله، ويمكن أن نتعرف على موقع زكريا عند الإمام الجواد عليه السلام من خلال تأملنا للنص الثاني، فقد روي عن محمد بن إسحاق والحسن بن محمد أنهما قالا:

خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم إلى الحج، فتلقانا كتابه عليه السلام في بعض الطريق فإذا فيه: ذكرت ما جرى من قضاء الله في الرجل المتوفى رحمة الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً، فقد عاش أيام حياته- عارفاً بالحق، قائلاً به صابراً محتسباً للحق قائماً بما يجب عليه لله ولرسوله ومضى رحمة الله عليه غير ناكث ولا مبدل جزاه الله أجر نيته وأعطاه خير أمنيته.. [128]

---

[127] / بحار الأنوار 50/ 76.

[128] / تنقيح المقال 1/ 448

## 4- إبراهيم بن هاشم الكوفي القمي

بعد أن كانت حامية عسكرية، يجتمع فيها المقاتلون لترتيب أمورهم قبل الذهاب إلى الفتح أخذت الكوفة صورتها النهائية كأحد أهم الأمصار الإسلامية، التي دارت فيها ومنها حوادث تاريخ الإسلام الأساسية، منذ أن نزلها أمير المؤمنين علي عليه السلام جاعلاً إياها عاصمة دولته.

ومنذ ذلك التاريخ وجدنا أن الثقل الإسلامي قد انتقل إلى الكوفة، فالمقاتلون سابقاً أصبحوا مواطنين في هذا البلد، والكوفة أصبحت محور المعارضة للحكم القائم في الشام ثم في بغداد، بقدر ما أصبحت مركز العلم والفقه. فقد استوطنها 148 صحابياً فأخذت من الحجاز مكانته العلمية. خصوصاً مع وجود الإمام جعفر الصادق عليه السلام لفترة من الزمان في الكوفة، استفاد فيها من ظرف سقوط الحكم الأموي، وضعف الحكم العباسي الناشىء فالتفّ حوله المتعلمون، وقصده الرواة والمحدثون حتى لقد ذكر الحسن بن علي الوشّاء كاشفاً عن شيء من حجم الحركة العلمية آنئذٍ قائلاً: إني أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ..كلٌّ يقول: (حدثني جعفر بن محمد عليه السلام )..

والذي كان يزيد من الحاجة إلى علوم أهل البيت عليهم السلام ، كون أئمة أهل البيت قادرين على الحديث والجواب في وقت يسكت فيه غيرهم من علماء المذاهب الأخرى معلنين عجزهم، وإفلاسهم. أو أنهم يلجأون إلى إعمال قياساتهم واستحساناتهم، مما كان يوقعهم في مخالفات واضحة، وتناقضات صريحة.

وحدهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ورثوا علم الرسول (ص)، فلم يعجزهم سؤال، ولم تحيّرهم معضلة فكرية.

ومن خلال هذا الزخم العلمي، وتربية هؤلاء العلماء، أصبحت الكوفة محور المذاهب ومعترك الآراء، وكان الفكر المتصل بالوحي من خلال أهل البيت هو المنتصر دائماً.

وبمقدار ما كانت الحركة العلمية فيها تنمو، كان الضغط من قبل حكومات الوقت يزداد إذ لا شيء تخافه الحكومات كخوفها من حركة العلم و ا لوعي.

من جهة أخرى، انتشر هؤلاء التلاميذ، والرواة، في مختلف بلاد الإسلام ونقلوا معهم ما استوعبته عقولهم، وحفظته صدورهم من معارف الدين، فأسسوا في مواقعهم الجديدة مدارس، ومنائر هداية.. ومن هؤلاء كان إبراهيم بن هاشم، الكوفي الأصل، والذي انتقل إلى قم.. فكان أول من نشر حديث الكوفيين في قم.

ويبدو أن (قم) كانت على موعد مع دور أساسي ينتظرها لتكمل المرحلة الثانية من المسيرة التي بدأت الكوفة أولى مراحلها، إذ كانت بعيدة عن قبضة السلطة الحاكمة في أول أمرها، ثم شهدت فيما بعد وجود حكومات موالية لأهل البيت ، مما جعل انتشار فكر أهل البيت، وعلومهم فيها- للسببين المذكورين- أمراً ميسراً..

نعم..

إن ما نقل على لسان إبراهيم بن هاشم من روايات عن الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام

الهادي عليه السلام (6214 ) ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر حديثاً، وابنه علي روى إضافة إلى نقله روايات أبيه سبعة الاف ومائة وأربعين حديثا.. وهذه تشكل نسبة كبيرة من مجموع الروايات الموجودة في الكافي (أكثر من ثلث أحاديثه).

وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية، يكشف عن منزلة إبراهيم وابنه، إذ في مدرسة أهل البيت، الفضل لا يرجع إلى الأصل أو الجنس أو العشيرة، بل إلى الوعي والمعرفة، فإذا أردت معرفة منزلة هذا الشخص أو ذاك في هذه المدرسة، فما عليك إلاّ باختبار معرفته، ووعيه، ولأن خير المعارف ما كان متصلاً بالوحي فـ (اعرفوا منازل شيعتنا على قدر روايتهم عنا)، وإذا أضيف إلى هذه الرواية دراية، ومعرفة بمعاني تلك الروايات، أمكن لك أن تتصور- عزيزي القارىء- منزلة هؤلاء الرواة.

إنهم في الواقع هم الوسطاء بيننا وبين حكم السماء، ولولاهم لم يكن بإمكان الفقيه- فضلاً عن غيره- معرفة أحكام الله في القضايا الواقعة.. ويزيدك بياناً، إذا عرفت أنه يشترط في الرواية أن يكون الراوي ضابطاً ثبتاً حافظاً للرواية بنصها لا بمعناها، ومن دون زيادة أو نقيصة، وبعض الروايات من المعضلات التي ينفتح بواسطتها مغاليق أبواب في الفقه أو العقيدة.

لقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا المعنى قوله لأحد أصحابه: (يا جابر والله لحديث تصيبه من صادق في حلال وحرام خير لك مما طلعت علية الشمس حتى تغرب)، ومثله روي عن الإمام الصادق عليه السلام .

والكافي الذي صنفه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله عليه في عشرين سنة، كان بحقّ " جؤنة حافلة بأطائب الأخبار، ونفيس الأعلاق من العلم، والدين، والشرائع والأحكام والأمروالنهي، والزواجر والسنن والآداب والآثار، ويحتوي من الأحاديث على أكثر من ضعف ما يوجد في صحيح البخاري، حيث يشتمل الكافي على (16199) ستة عشر ألفا ومائة وتسعة وتسعين حديثاً، بينما الموجود في البخاري مثلاً حوالي (7275) حديثا، ودونه ما هو موجود في صحيح مسلم.

وقد اتفق علماء الأحاديث على أنه لم يعمل مثله. ورواياته مدار الاستنباط والاجتهاد منذ أحد عشر قرناً من الزمان، ويحتوي من الكتب على:

الأصول:

ا- كتاب العقل والجهل، كتاب فضل العلم، كتاب التوحيد، وكتاب الحجة.

2- كتاب الإيمان والكفر، كتاب الدعاء، كتاب فضل القران،كتاب العشرة.

الفروع:

3- كتاب الطهارة، كتاب الحيض، كتاب الجنائز، كتاب الصلاة،كتاب الزكاة.

4- كتاب الصيام، كتاب الحج.

5- كتاب الجهاد، كتاب المعيشة، كتاب النكاح.

6- كتاب العقيقة، كتاب الطلاق، العتق والتدبير والمكاتبة، كتاب الصيد، كتاب الذبائح، كتاب الأطعمة، الأشربة ، الزي والتجمل والمروة، الدواجن.

7- كتاب الوصايا، كتاب المواريث، كتاب الحدود، كتاب الديات، كتاب الشهادات، كتاب القضاء والأحكام، كتاب الإيمان والنذور والكفارات.

8- كتاب الروضة (وصايا المعصومين وخطبهم).

هذه الموسوعة الحديثية الكبرى التي دونت أيام وجود سفراء الإمام الحجة عجل الله فرجه، وبمسمع ومرأى منهم.. والتي لا يستغني عنها فقيه، روى علي بن إبراهيم أستاذ الكليني وشيخه في الحديث منها (7140) سبعة آلاف ومائة وأربعين حديثا أي أقل من النصف، ومن هذه السبعة آلاف روى ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر حديثاً عن أبيه إبراهيم بن هاشم.

وكانت صحبة إبراهيم بن هاشم في أكثرها للإمام الجواد عليه السلام فقد أخذ عنه، وعن تلاميذه أيضاً.. وكان يشهد بعينه كيف ينبعث هذا العلم الإلهي في أعقد المسائل الدينية على لسان هذا الإمام العظيم على صغر سنه.

.. فقد روى إبراهيم أنه: لما مات أبو الحسن الرضا عليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر (الجواد) عليه السلام وقد حضر خلق من الشيعة من كل بلد، فدخل عبد الله بن موسى وكان شيخاً كبيراً عليه ثياب خشنة وبين عينيه سجادة (أثر السجود) فجلس وخرج أبو جعفر عليه السلام من الحجرة وعليه قميص قصب ورداء قصب ونعل بيضاء.

فقام عبد الله واستقبله وقبّل بين عينيه وقامت الشيعة وقعد أبو جعفر على كرسي ونظر الناس بعضهم إلى بعض تحيّراً لصغر سنه.

فانتدب رجل من القوم فقال لعمه: ما تقول أصلحك الله في رجل أتى بهيمة ؟!.

فقال: تقطع يمينه ويضرب الحد، فغضب أبو جعفر (الجواد) عليه السلام ثم نظر إليه فقال: يا عم: اتق الله اتق الله إنه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول لك لم أفتيت الناس بما لا تعلم ؟! فقال له عمه: يا سيدي: أليس قال هذا أبوك صلوات الله عليه ؟!.

فقال أبو جعفر عليه السلام : إنما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها فقال أبي تقطع يمينه للنبش، ويضرب حد الزنا فإن حرمة الميتة كحرمة الحية.

فقال عبد الله: صدقت يا سيدي وأنا أستغفر الله..[129]

وابتدره الناس بعدها كل يسأله عن مسألة وهو يجيب بأوفى بيان.

وكانت قم حين وصلها إبراهيم بن هاشم، قد بدأت منذ عهد نهضتها الفكرية والعلمية ونظراً لوجود زعماء متنفذين فيها، فقد كانوا يحرصون على إبقاء جو قم، نظيفاً عن ما يشوه صفاء العقيدة الإسلامية من روايات مكذوبة، أو أحاديث غلاة.. خصوصا وأن الغلاة كانوا يحاولون استغلال بساطة الكثير من الناس، وقوة ولاتهم للمعصومين عليه السلام فيختلقون أحاديث ترفع من منازل المعصومين، فوق مرتبة البشر لتصنع منهم آلهة أو أنصاف آلهة.

لذلك رأى زعماء قم أن يحافظوا على صفاء عقيدة الناس في هذا البلد ففرضوا نوعاً من الرقابة الجماعية. فكانوا لا يبقون من يروي عن الغلاة، أو ينقل الأحاديث المنكرة.

وجاء إبراهيم بن هاشم في مثل هذا الجو، فأغناه بما حمل من علوم أهل البيت، ورواياتهم الثابتة الصحيحة، ووجد فيه أهل قم وعلماؤها مدرسة كاملة قد انتقلت إلى قم، فاغتنموا وجوده.. وروى الكثير من أجلاء الطائفة عنه كأحمد بن إدريس القمي، وسعد بن عبد الله الأشعري، وعبدالله بن جعفر الحميري، ومحمد بن الحسن الصفار.

غير أن أكثر من روى عنه كان ابنه علي بن إبراهيم، إذ أنه روى عنه ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر حديثاً، وروى عنه تفسير القرآن المشهور بتفسير علي بن إبراهيم، ويتميز هذا التفسير بأنه يفسر القرآن حسب كلام المعصوم عليه السلام في الجملة.. وهذا الطريق أي تفسير القرآن من طريق المعصوم هو الطريق السليم لمعرفة مقاصد القرآن.

ويعود بلا شك هذا العدد الكبير من الروايات إلى كونه معاصرا لثلاثة من الأئمة عليهم السلام وقد تلقى منهم مباشرة، كما تتلمذ وأخذ عن عدد من أعيان اصحاب الأئمة عليهم السلام فهو يعتبر تلميذ يونس بن عبد الرحمن وهو ممن اجتمع عندهم من علوم الأئمة الشيء الكثير، وآلت إليه رئاسة الفقه في عصره، وتفوق على زملائه في كثرة رواياته، وفي حسن اجتهاده وفقهه،كذلك روى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، والحسن بن محبوب، والحسين بن سعيد

---

[129] / بحار الأنوار 50/ 86.

الأهوازي، وصفوان بن يحيى، وعبد الرحمن بن الحجاج وعبد الله بن جندب، ونظرائهم من مشاهير أصحاب الأئمة عليهم السلام.

وقد خلف كتابين، هما النوادر، وكتاب قضاء أمير المؤمنين عليه السلام .. لكننا من خلال النظر إلى ما تركه ابنه علي من مصنفات يمكن أن نقدر الثروة العلمية التي كان عليها الأب، ذلك أن أكثر روايات الابن عن المعصومين، هي عن طريق الأب إبراهيم بن هاشم.

أما علي بن إبراهيم فقد صنّف وأكثر فله من الكتب:

1- كتاب التفسير (المعروف)
2- كتاب الناسخ والمنسوخ
3- كتاب قرب الإسناد
4- كتاب الشرائع
5- كتاب الحيض
6- كتاب التوحيد والشرك
7- كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
8- كتاب المغازي
9- كتاب الأنبياء
10- كتاب اختيار القرآن.

## 5- أحمد بن محمد بن خالد البرقي
## 194- ت 274 هـ

استشهد زيد بن علي بن الحسين في الكوفة، وبسبب خيانة حجّام طمع في القليل من المتاع، استخرج جسده بعدما دفن، وصلب على جذع نخلة.. وهكذا فإذا كان أبناء اللؤم لا يستطيعون الارتقاء إلى على الشرفاء، فإنهم يستطيعون الخيانة والانتقام.

وفرّ من بقي من أصحابه، بعد نهاية المعركة- منتشرين في البلدان، ينتظرون جولة أخرى في معركة أخرى، أو يمارسون دوراً آخر في تربية المجتمع، ونشر الوعي، فالحياة جولات متعددة.

والبعض منهم تم القبض عليهم، كما هو حال محمد بن علي الجد الثالث لأحمد البرقي، فقد سجنه يوسف بن عمر الثقفي، ثم قتله في سجنه. بينما استطاع جده الثاني عبد الرحمن أن يختفي مع ابنه خالد، وأن يهاجر إلى بلدة برقة في أطراف قم، فأقاموا فيها.. وفيها ولد أحمد. ويبدو أن أحمد كان له توجه كبير إلى المعارف الدينية والعامة. منذ صغر سنه، لذلك حاول جهده أن يجمع ما كان

يقع له من معارف، مستفيداً في ذلك من الجو العلمي الموجود في مدينة قم، والتي شهدت في تلك الفترة نهضة فكرية، ساعد عليها هجرة العديد من شيعة أهل البيت من الكوفة وسائر الأمصار، وأيضا تتلمذ القميين على يد أصحاب الأئمة المباشرين. فقد تتلمذ أحمد بن محمد البرقي وروى عن أكثر من تسعين من الرواة [130]، منهم من كان من أصحاب الإجماع كأحمد بن محمد بن أبي نصر، ومن أصحاب الأصول والمصنفات كالحسين بن سعيد، والحسن بن علي بن فضال، وغيرهم.
ولهذا الاهتمام الثقافي الذي كان عنده، وجدناه أيضاً يكثر من التصنيف والتأليف، فقد صنف من الكتب:
كتاب المحاسن: وقيل أنه يشتمل على قريب من مائة باب من أبواب الفقه والحكم والآداب والعلل الشرعية والتوحيد، وسائر مطالب الأصول والفروع. ويشتمل على ما يلي من الكتب:
1- كتاب الإبلاغ 2- كتاب التراحم والتعاطف 3- كتاب آداب النفس4- كتاب المنافع 5- كتاب آداب المعاشرة 6- كتاب المعيشة 7- كتاب المكاسب 8- كتاب الرفاهية 9- كتاب المعاريض 10- كتاب السفر 11- كتاب الأمثال 12- كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل 13- كتاب النجوم 14- كتاب المرافق 15- كتاب الزواجر 16- كتاب النوم 17- كتاب الزينة 18- كتاب الأركان 19- كتاب الزي 20- كتاب اختلاف الحديث 21- كتاب الطيب 22- كتاب المآكل 23- كتاب المشارب 24- كتاب الفهم 25- كتاب الأخوان 26- كتاب الثواب 27- كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه 28- كتاب العلل 29- كتاب العقل 30- كتاب التخويف 31- كتاب التهذيب 32- كتاب التسلية 33- كتاب التاريخ 34- كتاب الغريب 35- كتاب المحاسن 36- كتاب مذام الأخلاق 37- كتاب النساء38- كتاب المآثر والأنساب 39- كتاب أنساب ا لأمم 40- كتاب الشعر والشعراء 41- كتاب العجائب 42- كتاب الحقائق 43- كتاب المراهب والحظوظ 44- كتاب الحياة 45- كتاب النور والرحمة 46- كتاب الزهد والمواعظ 47- كتاب ا لتبصرة 48- كتاب التفسير 49- كتاب التأويل 55- كتاب مذام الأفعال 50- كتاب الفروق 51- كتاب المعاني والتحريف 53- كتاب العقاب 54- كتاب الامتحان 55- كتاب العقوبة 56- كتاب العين 57- كتاب الخصائص 58- كتاب النحو 59- كتاب العيانة والقيافة 60- كتاب الزجر والفأل 61- كتاب الطيرة 62- كتاب المراشد 63- كتاب الأفانين 64- كتاب الغرائب 65- كتاب الحيل 66- كتاب الصيانة 67- كتاب الفراسة 68- كتاب التعويض 9 آ- كتاب النوادر 70- كتاب مكارم الأخلاق 71- كتاب ثواب القران 72- كتاب فضل القرآن 73- كتاب مصابيح الظلم 74- كتاب المنتخبات 75- كتاب الدعاء76 - كتاب الدعابة والمزاح 77- كتاب الترغيب 78- كتاب الصفوة 79- كتاب الرؤيا 80- كتاب المحبوبات والمكروهات 81- كتاب خلق السماوات والأرض 82- كتاب بدء خلق إبليس والجن 83- كتاب الدواجن والرواجن 84- كتاب مغازي النبي (ص) 85- كتاب بنات النبي وأزواجه 86- كتاب الأجناس والحيوان 87- كتاب التأويل.. وزاد بعضهم 8800- كتاب طبقات الرجال 89- كتاب الأوائل 0 9- كتاب الطب 91- كتاب التبيان 92- كتاب الجمل 93- كتاب جداول الحكمة 94- كتاب الأشكال والقرائن 95- كتاب ذكر الكعبة 96- كتاب التهاني والتعازي [131].

* * *

ويبدو أن أحمد بن محمد بن خالد كان يؤمن بنظرية تقول إن على البعض من العلماء

---

[130] / معجم رجال الحديث 2/ 267.

[131] / رجال النجاشي والطوسي.

والرواة جمع الأخبار والآثار، من أي مصدر كانت، وفيما بعد يأتي آخرون لكي ينقحوا هذه الأخبار وينقدوها، ويُميّزوا بين سمينها وغثها، ويعينوا الحجة منها عن سواه، لذلك، فقد قام أحمد البرقي بالجمع ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو في هذا الشأن كان يجمع حتى عن الضعفاء وغير المشهورين، بل حتى مراسيل الروايات، وغير المسندة منها تبعاً لتلك النظرية.

غير أن الرأي السائد في قم آنئذٍ، كان يخالف هذه النظرية بقوة، ولم يكن رواة قم وعلماؤها يقبلون النقل عن الضعفاء فضلاً عن اعتماد المراسيل من الروايات، وكانوا يعدون الناقل عن الضعفاء، والناقل للمرسلات، ضعيفاً في نفسه. وربما أخرجوه من قم ولم يسمحوا له بالعودة، ولعل هذه الإجراء الذي اتخذوه كان لمقاومة حركة الوضع والاختلاق التي كان قد بدأها الغلاة.

ولهذا السبب اصطدم محدثو قم، وعلى رأسهم أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وكان بمثابة الشخصية الأولى في قم ورئيسها غير المنازع، حيث وجدوا أحمد بن محمد البرقي ينقل عن الضعفاء- تبعاً لنظريته تلك- ويروي أحاديث بلا سند- (مرسلة).. فلم يسمحوا له بالبقاء في قم، وقام أحمد بن محمد بن عيسى بإخراجه.

إلا أن أحمد بن محمد بن عيسى، والقميين ما لبثوا أن التفتوا إلى الخطأ الذي وقعوا فيه في حق أحمد البرقي ورأوا أنهم عثروا وزلوا في قرارهم ذلك، إذ أن البرقي كان ثروة علمية لا تعوض، فقد روى في فروع الحلال والحرام والأحكام الشرعية قرابة ثمانمائة وثلاثين رواية.

هذا إضافة إلى رواياته في أصول العقائد، فقد روى النص على الأئمة الاثني عشر عليه السلام ، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر الثاني (الجواد) عليه السلام قال : أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن عليه السلام وهو متكىء على يد سلمان فدخل المسجد الحرام، فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين فرد عليه السلام، فجلس ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم و آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء فقال أمير المؤمنين: سلني عما بدا لك!.

فقال أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه! وعن الرجل كيف يذكر وينسى ؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال ؟! فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: يا أبا محمد أجبه! فأجابه الحسن فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلاّ الله ولم أزل أشهد بها! وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك وأشهد أنك وصي رسول الله(ص)- وأشار إلى أمير المؤمنين- ولم أزل أشهد بها وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته وأشار إلى الحسن عليه السلام ، وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بأمر محمد وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى وأشهد على علي بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر علي بن محمد واشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. ثم قام فمضى.

فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد ؟! فخرج الحسن بن علي عليه السلام قال: ما كان إلاّ أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله فرجعت إلى أمير المؤمنين فأعلمته، فقال: يا أبا محمد أتعرفه ؟! قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم. قال: هو الخضر عليه السلام [132].

---

[132] / أصول الكافي 1/ 526.

نعم بعدما انتبه القميون إلى ذلك. وعرفوا أي خسارة اكتسبوها، قام رئيس قم وشخصها الأول أحمد بن محمد بن عيسى، ومعه جماعة من أهلها بالاعتذار إلى أحمد البرقي، وطلبوا منه العودة إلى قم، وممارسة نشاطاته الفكرية والعلمية في أجوائها.

ومن مصنفاته أخذ من تأخر عنه من المصنفين وأرباب الجوامع. فقد أخذ الشيخ الصدوق من كتابه المحاسن، ما منه ألّف كتاب ثواب الأعمال، وعقاب الأعمال، وكتاب العلل...

وذات يوم وبينما كانت جنازة أحمد بن محمد بن خالد البرقي، على أكتاف محمولة رأى القميون رئيسهم أحمد بن محمد بن عيسى حافي القدمين ماشياً، وقد وضع العمامة عن رأسه، وهو يبكي.. ولم يكن ذلك العمل ردّ اعتبار لأحمد البرقي بعدما أخرج من قم فقط ، بل كان رسالة اعتذار عملي من أحمد بن محمد بن عيسى ، للبرقي أحمد .

الإمام الهادي عليه السلام

1- محمد بن علي الهادي عليه السلام
2- السيد عبد العظيم
3- علي بن جعفر الهماني
4- أحمد بن اسماعيل الكاتب
5- سعد بن عبدالله الأشعري

**الإمام علي بن محمد**

**أبو الحسن (الثالث) الهادي 212 - 254 هـ.**

**ولد الإمام علي الهادي عليه السلام عام 212 هـ وتوفي عام 254 وعمره 42 سنة وتولى الإمامة بعد شهادة أبيه سنة 220 ، وهو وإن تولى الإمامة في هذا السن المبكر إلا أنه لما كانت قضية الإمام الجواد قد أقنعت الناس أن الأمر إلهي ، وبالتالي فهو غير خاضع للسن ، فلم تثر هنا نفس الاشكالات التي أثيرت في زمن أبيه υ .**

**نصوص أبيه عليه : عن الصقر أبي دلف : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا : الإمام بعدي ابني علي ، أمره أمري وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه لاوطاعته طاعة أبيه .**

**أمه سمانة المغربية وقد قال υ في حقها :**

**( أمي عارفة بحقي ، وهي من أهل الجنة ، ما يقربها شيطان مريد ، ولا ينالها كيد جبار عنيد ، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين )**

كان ملوك عصره من العباسيين ( وهم المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمعتز ) من أشد الحكام تعصباً ضد منهج أهل البيت وأتباعهم، فالمعتصم سبق أن تآمر لاغتيال والد الإمام الهادي عليه السلام ، الإمام الجواد عليه السلام والمتوكل هو صاحب الصيت السيّء في منع زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، ومعاقبة الزوار بالسجن والتعذيب وهو الذي أمر ( بحراثة ) قبر الإمام الحسين.بل بلغ به الأمر أن قتل يعقوب بن اسحاق المعروف بابن السكيت ، الذي كان عالم العربية وصاحب الكتب والمصنفات المتعددة في زمانه لأنه فضل الحسن والحسين على المعتز والمؤيد ابني المتوكل ، فأمر الأتراك أن يسلوا لسانه !! وباستثناء المنتصر الذي كان يميل إلى أهل البيت ولم يبق في الحكم إلاّ فترة قصيرة ( أقل من سنة ) فإن الصبغة العامة التي لونت حكم هؤلاء الخلفاء كانت عداوة أهل البيت عليهم السلام.

عاش الإمام الهادي عليه السلام قرابة العشرين عاماً بعد والده في المدينة المنورة ، ممثلاً دور أجداده الطيبين في نشر الفضيلة والحفاظ على الشريعة، وكانت المدينة تنتظر هذه الفرصة بفارغ الصبر فالتفت حول الإمام الهادي عليه السلام مستنطقة إياه عن علم النبوة ، ومستلهمة منه أسرار الإمامة، مما دعى أحد عملاء الحكم العباسي وهو بريحة أن يكتب للخليفة: ( إن كان لك بالمدينة حاجة فأخرج منها علي بن محمد )، وبالفعل فقد استدعي الإمام إلى سامراء مركز الخلافة، حيث يكون تحت المراقبة والنظر.

فيما كان الحكام سادرين قي أهوائهم، كانت حركات الانحراف الفكري تنشأ وتنشط في الأمة، وكان من أبرزها حركات الغلو، ولأن الإمام هو حافظ شريعة جده فقد تصدى لفكر الغلو، ولأشخاص الغلاة . على الأصعدة الثلاثة الفكري والاجتماعي، ووصلت المسألة إلى حد القيام باغتيال زعماء الفكر المغالي.

كان المتوكل- الذي يسمونه (محيي السنة)!! يطلب من الجلاوزة إحضاره، وأحياناً في نصف الليل، وبينما الإمام يصلي نوافله الليلية يرى الجلاوزة قد تسلقوا عليه الجدار، لكي يبحثوا عن ( الأسلحة والأموال ) كما يزعمون، ويحضرون الإمام من مصلاه إلى مجلس المتوكل حيث مائدة الخمر، ويطلب منه المتوكل الشرب فيأبى ويلقي عليه شعر وعظ، وتذكير بالموت.

لم يكن الخلفاء العباسيون ينظرون بعين الارتياح لوجود الأئمة عليهم السلام إذ أن الخلفاء وإن كانوا أمراء الأجسام إلاّ أن الأئمة كانوا حكام القلوب، لذلك كان الخلفاء يسعون دائماً لاغتيال الأئمة، ولعلك بهذا تجد السبب في أن الأئمة في هذه الفترات كانوا يقضون نحبهم وهم في عز الشباب.

لماذا سل الحاكمون سيف القتل على الأئمة : يشير الامام υ إلى جانب من أسباب ذلك فيقول : لقد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين ، إحداهما : أنهم كان يعلمون أن ليس لهم في الخلافة حق ، فيخافون من ادعائنا إياها ، وتستقر في مركزها ., وثانيهما : أنهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة الظلمة على يد القائم منا ، وكانوا لا يشكون أنهم من الجبابرة والظلمة ، فسعو في قتل أهل بيت رسول الله 1 وإبادة نسله طمعا منهم في الوصول إلى تولد القائم أو قتله ، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

وهكذا قضى الإمام الهادي وعمره اثنان وأربعون سنة.. ودفن في سامراء.

## 1- محمد بن علي الهادي عليه السلام
## أبو جعفر

الإمامة- كما فهمها أهل البيت ومن بعدهم أتباعهم- تختلف عنها عند غيرهم. فإذا كانت عند غيرهم أمراً إعتبارياً يحصل من خلال تفويض مجموعة من الناس أمور دينهم أو دنياهم له، وكما تحصل لهذا الشخص برجوعهم إليه، فإنها تسلب منه برجوعهم عنه تماماً كسائر الرئاسات الأخرى، فإنها في نظر أهل البيت عليهم السلام ليست كسائر الرئاسات، بل هي كالنبوة تحصل لشخص من قبل الله سبحانه وتعالى من دون أن يكون للناس دخل في تعيين الإمام، كما لا دور لهم في تعيين النبي والرسول. بل عليهم واجب البحث عنه والإيمان به والدفاع عنه.

ولو فرضنا أن هؤلاء الناس لم يتبعوا الإمام ولم يسلموا إليه مقاليد الأمور العامة، فنحي عن مرقعه الاعتيادي في قيادة المجتمع، فإن ذلك لا يؤثر إطلاقاً في إمامته، كما هو الحال في الرئاسة الاعتبارية حيث يفقد الرئيس صفة الرئاسة عندما لا يجد من يطيعه.

ليس هذا فحسب، بل لا دخل للإمام نفسه في أن يكون إماماً أو لا يكون، ولا دور له في " تعيين " من يخلفه من الأئمة إلا بمقدار التبليغ، وإيصال النص إلى الناس. فحتى لو رغب الإمام- من باب الفرض المجرد- في شخص غير المعين من قبل الله سبحانه، فإنه لا يستطيع أن يصرف الإمامة، لأنها تحتاج إلى مواصفات خاصة لا تتوفر في كل شخص. وقد مر في ما سبق جانباً منها، وهذا الأمر كان واضحاً ليس فقط لشيعة الأئمة، بل حتى لأعدائهم[133] فهؤلاء كانوا يعلمون أن الإمام يتصف بصفات خاصة.

ولا ترتبط المسألة بالوراثة كما يحلو للبعض ممن لم يتعرف على نظام الإمامة في الإسلام، وإن وجدنا أن الأئمة من ذرية رسول الله (ص) وأبناء علي عليه السلام .. إذ لو كانت الوراثة هي المعيار الوحيد في الإمامة لما تخلف هذا من أبناء الإمام الحسن عليه السلام ، مع أن أحداً منهم لم يكن إماماً بل لما تخلف عن سائر أبناء الإمام الحسين وأحفاده، كزيد بن علي بن الحسين، مع ما كان يتميز به من علم وفضل. وهكذا تجد في كل حلقة أنه يوجد إلى صف الإمام المعين والمنصوب من قبل الله، بنص رسول الله، كان هناك إخوة إلى جانبه، ولم يصبحوا أئمة برغم كونهم أبناء إمام وإخوة إمام.. ووجدنا أن بعضهم كان يدرك هذه الحقيقة فيقدم فروض الطاعة، والإتباع، بالرغم من أن المقاييس الظاهرية كانت في صفه، فهذا علي ابن الإمام الصادق عليه السلام وكان مقدماً في علمه، ومحترما عند الخاص والعام ، وكبير السن، يقدم الحذاء لابن ابن أخيه محمد بن علي عن موسى بن جعفر الصادق (الإمام الجواد) ويمسك له الركاب، مع أن الإمام الجواد عليه السلام كان آنئذٍ في سن حفيد عمه علي بن جعفر الصادق، حتى لقد تساءل بعض من رأى ذلك وهو يرى هذا الاحترام منه للإمام الجواد عليه السلام فقال:

- ماذا أصنع إن كان الله سبحانه وتعالى قد اختاره للإمامة ولم ير هذه الشيبة أهلاً لذلك ؟!.

وضمن هذه القاعدة، فبالرغم من أن قسماً من الناس كانوا يتوقعون أحد أبناء الأئمة، أن يكون هو الخلف والقائم بأمور الإمامة بعد أبيه، لما يمتلكه من فضل، وتقوى، إلا أن المسألة كما قلنا لما

---

[133] / راجع جعفر ( المعروف بالكذاب ) بن الامام الهادي الخليفة العباسي بعد شهادة أخيه الحسن العسكري عليه السلام لكي يصيّر ما كان للإمام العسكري ( الامامة ) إليه !! فسخر منه الخليفة قائلا : إن كان هذا الأمر لك فلا تحتاج إلى ذلك وإن لم يكن فلو اجتمع الناس على ذلك لم يكن ليصل إليك .. للتفصيل يراجع : إكمال الدين وتمام النعمة .. يمكن النظر إلى التحقيق في حاله في : نساء حول أهل البيت للمؤلف .

كانت لا ترتبط بالناس، بل حتى بالإمام، فإن توقعهم هذا بل رغبتهم أحيانا لم تكن تتحقق.
وقد كان أبو جعفر محمد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام من أولئك الذين ظن الكثير من الناس فيه أنه سيكون الإمام بعد والده، لما كان يتميز به من صفات ومميزات في علمه وفضله. فقد سألوا الإمام الهادي عليه السلام عدة مرات عن هذا الأمر، وكان الإمام- مع إدراكه ومعرفته بشخصية ابنه وفضله- يعلم أن المسألة ليست- في جهة التعيين- بيده، بل هي بأمر الله، فكان يشير إلى ابنه الحسن (العسكري) مع أنه كان أصغر سناً من أخيه محمد.

ومن الواضح أن محمداً- على جلالته- لم يدع الإمامة، ولم ينازعها أهلها كما فعل مثلاً، أخوه جعفر الذي لقب فيما بعد بالكذاب، حينما ادعى الإمامة بعد أخيه الإمام الحسن العسكري، مستغلاً الظرف الذي أتاحه له اختفاء الإمام المنتظر عجل الله فرجه، لكن القاعدة الشعبية لما كانت تعرف مواصفات الإمام، في علمه وسيرته، بحيث يمكن تمييز المدعي بواسطتها، سرعان ما كشفت أمره. وفضح أمام الناس.
وفي أيام الإمام الهادي عليه السلام ، مرض ابنه أبو جعفر محمد، وتوفي رحمة الله عليه، وبينما كان المعزّون يدخلون على الإمام الهادي يعزونه بفقدانه ابنه اكبر، كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد انتحى ناحية يبكي على أخيه الراحل.

## 2- السيد عبد العظيم الحسني

" لو زرت عبد العظيم عندكم- بالري- لكنت كمن زار قبر الحسين عليه السلام "
الإمام الهادي عليه السلام

للغربة مع أهل البيت عليهم السلام ثأر لا ينتهي، لا تتركهم ولا يتركونها!!.

لا تتركهم لأنهم ذوو همم عالية، وقد قضت سنة الزمان أن الهمم والأهداف الكبرى تمر عبر جسر الغربة والناس يطلبونها في الحضر فلا يجدونها.

ولا يتركونها لأنهم ما خلقوا " ليشغلهم أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة أو المرسلة تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها ".. إنهم يرون أن هدف حياتهم إعلاء كلمة الله، وإخراج عبد الله من عبادة عباده، ولا يستطيعون تصور معنى لحياتهم غير ذلك.

ولذلك كانت حياتهم سلسلة من التراجيديا المفجعة، والأحزان المتتابعة..

ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر إلا أن هناك عاملاً آخر يزيد هذه التراجيديا فصلاً جديداً، ذلك هو موقف كثير من الناس من أهل البيت عليهم السلام ، فإذا كان طبيعياً أن يقف الظالمون موقف الترصد و الارصاد لأهل البيت حتى جعلوا على كل قارعة مأتماً وفي كل بيت عزاء.. فما هو تفسير موقف الآخرين ؟!.

لكثيراً ما ترددت هذه الكلمة على ألسنة العلويين. منذ أن نطقت بها فاطمة الزهراء عليه السلام " أليس المرء يحفظ في ولده " ؟! لكن ضياع هؤلاء الذين كان يؤرقهم ضياع سنة رسول الله، وضياع أمة رسول الله (ص)، كان النتيجة الطبيعية لمواقف التخاذل التي كان يتميز بها أكثر الناس آنئذٍ، ولذلك انتشرت مراقد العلويين من نسل الرسول في كل ناحية، وأقل النواحي في ذلك كانت مدينة جدهم، وموطنهم !!.

ولئن طوى هؤلاء خبرهم عن أقرب الناس إليهم، فإن التاريخ أحرى أن لا يقف على خبرهم، لكنك تستطيع أن تتلمس بعض أخبارهم من حال غربتهم وتخفيهم، فهذا أخفى نسبه وشخصيته وعلمه حتى عمل في الأعمال الدانية التي لا تليق بشخصيته ولم يعرف حتى ودع هذه الدنيا غير آسف عليها، و آخر ترى قبره في أعلى جبل وقد مضى هارباً من سلطان عصره.. وهكذا.

فلنكن مع السيد عبد العظيم الحسني (بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام ) الذي كان واحداً من هذا السرب المغترب.

روى عن الإمام الرضا عليه السلام وصنف كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكتاب اليوم والليلة. كما كان مختصاً بأبي الحسن الهادي عليه السلام . ولشدة تحرجه في دينه واحتياطه في عقيدته، فقد عرض كل ذلك على إمامه الهادي عليه السلام . ونلفت النظر هنا إلى أن بعض أصحاب الأئمة، سمعوا منهم أحاديث ففهمها بعض وجهلها آخرون (سواء الجهل البسيط أو المركب) ثم انصرفوا يخبطون في العقائد كحاطب ليل لا يستبين له الهدى ولا يركن إلى اليقين، وساعد على ذلك أن ظروف الأئمة عليهم السلام في الأزمنة المتأخرة لم تكن مناسبة كما ينبغي، فشرق بعض وغرب آخرون.. من غلاة إلى صوفيين إلى مجسمة.

بينما بقي الواعون الورعون الذين كانوا إذا ازدحمت الفتن، وعصفت رياح الشك التجأوا إلى بر الأئمة الآمن.. ومنهم كان السيد عبد العظيم، فقد دخل على الإمام الهادي عليه السلام قائلا:

- يابن رسول الله(ص) إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان- مرضياً ثبت عليه.

فقال له الإمام: هات يا أبا القاسم..

فقال: إني أقول إن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، خارج عن الحدين، حدّ الابطال وحدّ التشبيه، وأنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل هو مجسم الأجسام ومصور الصور وخالق الأعراض والجواهر ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه.

وأن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة وأن شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة.

وأقول إن الإمام والخليفة وولي الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم

علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم أنت يا مولاي..
فالتفت إليه الإمام قائلاً : ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟.
واستفسر عبد العظيم عن الحجة بعده قائلاً: وكيف ذاك يا مولاي ؟!.
قال: إنه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً..
واستطرد السيد عبد العظيم، مبيناً بقية عقائده..
".. أقررت وأقول إن وليهم ولي الله وعدوّهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول إن المعراج حق، والمسألة في القبر حق وأن الجنة حق والنار حق والصراط حق، والميزان حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.
وأقول إن الفرائض الواجبة بعد الولاية- أي الولاية لأهل البيت عليهم السلام - الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..
فقال له الإمام عليه السلام :
- يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.
واشتد الطلب أيام المتوكل العباسي ذلك أنه " كان شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلاّ أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة " [134] وتتبع أصحاب أهل البيت عليهم السلام واعتقل بعضهم وقتل البعض، وتوارى الكثير منهم، وانطلق السيد عبد العظيم إلى منطقة الري فسكن عند أحد الشيعة في منزله في سكن الموالي فكان يعبد الله في ذلك المكان يصوم نهاره ويقوم ليله ويخرج مستتراً فيزور قبراً قريباً.
وهكذا كان يقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة أهل البيت في المنطقة ولم يكونوا يعرفونه تماماً، إلاّ القليل منهم ممن كان يعرفه الإمام بشخصية السيد عبد العظيم ممن كان أهلاً لمعرفته، وكتمان سره، فعندما دخل أبو حماد الرازي على الإمام الهادي، فسأله عن أمور مختلفة من قضايا الحلال والحرام، فلما أجابه عنها، ودعه وقال:
يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم الحسني واقرأه مني السلام.
وباستثناء تلك الفئة القليلة الواعية، لم يعرف بقية الناس موقع هذا الرجل العلوي والعالم الهاشمي، الذي استمر فترة من الزمان مختفياً حتى مرض مرضاً شديداً، أخذ من صحته ما أبقته الغربة والبعد عن الوطن والخوف من السلطان، حتى أسلم الروح إلى بارئها.
وجاء أهل الري ليشيعوا جنازة هذا العالم الغريب، وبينما كان ينزع عنه ملابسه لتغسيله، وجدوا في جيبه رقعة كان فيها اسمه ونسبه وحينها أفاق الناس على عظم تقصيرهم في حق أنفسهم وكيف حرموا أنفسهم من التعرض لعلمه والاختلاف إليه، وتقصيرهم في حقه، وشيع تشييعاً ضخماً، وكأن الناس كانوا يريدون التعويض عما فاتهم في حياته بتعظيم تشييعه بعد وفاته.. وهيهات.
وإذا كان السيد عبد العظيم قد جهل قدره أيام حياته حتى مات غريباً " وضاع " في ديار الغربة،

---

[134] / مقاتل الطالبيين/ 395.

فإن الله سبحانه لا يضيع عنده مثقال حبة من خير، فكيف إذا وهب المرء حياته في سبيل الله ؟!.
جواب ذلك ما نجده اليوم حيث لهذا السيد قبر عظيم، ومشهد عامر ولقد أصبحت المنطقة تسمى باسمه ووقفت أراضيها له.

## 3- علي بن جعفر الهماني

وجد نفسه في سجن المتوكل العباسي بعد أن كان وكيلا للإمام الهادي عليه السلام .
وما أدراك ما سجن المتوكل ؟! لكن يكفيك قاعدة- عزيزي القارىء- ان قصور الحاكمين كلما زادت عدداً وعظمت بناء وزينة، فإن سجونهم تزيد وتسوء.. و إذا كان همّ الحاكم الجديد أن يبني له قصراً صيفياً و آخر شتوياً.. وثالث.. فإنه لا ينسى عموم الناس من (معروفه) فيزيد عدد سجونه، لتستوعب الزيادات الجديدة !.
وهذا النوع من الحاكمين تنشط في قصورهم سوق التملق الكاذب والوشاية السياسية، فالذين لا يتقنون البيع في السوق الأولى التي تتطلب قدرة على نظم الشعر الجيد، فإنهم لا يحتاجون إلى كفاءة في السوق الثانية، يكفيهم مقدار ملائم من قلة الدين وموت الضمير، حتى يؤدوا هذه المهمة، فيحصلون على الثمن.. فلماذا يتعبون أنفسهم في ميدان الحياة، وساحة الكسب الحلال ؟! حيث لا تأتي الأرزاق إلا بالجهد والعرق ؟ لماذا يتعبون أنفسهم، مادامت هذه السوق قائمة على قدم وساق ؟!.
نعم فقد وجد علي بن جعفر الهماني، البغدادي نفسه في السجن على أثر وشاية وصلت إلى قصر المتوكل..
وكانت عادة الحاكمين ان يسلبوا حرية الناس ثم يمنّوا عليهم بإطلاق سراحهم، بمكرمة وهكذا فإن على السجين أن يشكر سجّانه الذي سلبه حريته مدة من الزمن، ويثني عليه!! وأن على الناس أن يتوسلوا إلى الله بإبقاء طويل العمر الذي لم يترك السجين طول حياته- بل نصفها- في المعتقل!!.
مرض المتوكل، وزادت عليه الحمى حتى استبشر ولي عهده، فما هي إلا سويعات حتى يصدر بياناً من قصر الخلافة ينص- بفرج - موت الخليفة.. فأصدر المتوكل أمرا بإطلاق سراح المعتقلين، وكان لا بد من توقيعه على كل اسم، وجاء عبيد الله بن يحيى بن خاقان فعرض على المتوكل الأسماء وبينها اسم علي بن جعفر، فغضب المتوكل وقال له:
- لا تتعبن نفسك بعرض قصة هذا وأشباهه فإن عمك (الفتح بن خاقان) أخبرني أن هذا رافضي وأنه وكيل علي بن محمد.. ثم أضاف مهدداً :
- لو شككت فيك لقلت أنك رافضي !! انه لا يخرج من الحبس مادمت حياً!!.
إن المكرمة هذه لا تنال أصحاب العقيدة ولا سجناء الرأي الحر، إنما تطال أصحاب الجنايات، والسارقين، وقطاع الطرق.. أليس الطيور على أشكالها تقع ؟!.
فكتبت إلى مولانا- يقول علي بن جعفر-:
- إن نفسي قد ضاقت وإني أخاف الزيغ. فكتب إليّ :
- أما إذا بلغ الأمر منك ما أرى فسأقصد الله فيك.
يتصور الإنسان ذو القدرة الفانية أن يستطيع ويستطيع، بينما هو في ميزان الكون لا يزيد عن سبب، ويبقى الله مسبب الأسباب القادر على ما يشاء.. وهكذا " فما عادت الجمعة حتى خرجت من

السجن " [135].

*  *  *

خرج علي بن جعفر من السجن بنعمة الله سبحانه، وبقي في سامراء مدة من الزمان، وكانت سامراء تشهد حركة من الغلو تزعمها علي بن حسكة والقاسم اليقطيني ، الذين ادّعوا الألوهية للإمام العسكري!! وأنهم أنبياء!! واسقطوا الفرائض والواجبات (!)، ولكن الأخطر من هؤلاء كان " فارس بن حاتم القزويني "، الذي كان بعض الشيعة قد عرفوه في البدء على أنه من أصحاب الإمام الهادي ، وكانوا يثقون به قبل أن يصدر منه مخاريفه، فتصدر البراءة في حقه، وكان هذا الرجل يتنقل، فتارة هو في سامراء ، إذا به في فارس، وفي الكوفة.. وهكذا.

وأول من تصدى له على أرض الواقع كان علي بن جعفر، فقد أظهر للناس صورته الحقيقية، ولم يكن فارس بالذي يسكت فاستطاع أن يضل عدداً من الناس، وأن يجعلهم في الصف الأول للمواجهة، وهكذا.. كان من الممكن أن تتحول تلك إلى فتنة اجتماعية إلا أن توجيه الإمام العسكري عليه السلام لأتباعه، بضرورة اتباع علي وتجنب فارس، وأد تلك الفتنة في مهدها فقد كتب موسى بن جعفر بن إبراهيم إلى الإمام الهادي عليه السلام : جعلت فداك قبلنا أشياء يحكى عن فارس والخلاف بينه وبين علي بن جعفر حتى صار بعضهم يبرأ من بعض فإن رأيت أن تمن عليّ بما عندك فيهما وأيّهما يتولى حوائجي قبلك، حتى لا أعدوه إلى غيره فقد احتجت إلى ذلك، فعلت متفضلاً إن شاء الله.

فكتب (إليّ): ليس عن مثل هذا يسأل ولا في مثله يشك، قد عظّم الله قدر علي بن جعفر، أمتعنا الله به، عن أن يقاس إليه، فاقصد علي بن جعفر بحوائجك واجتنبوا فارساً وامتنعوا عن إدخاله في شيء من أموركم أو حوائجكم تفعل ذلك ومن أطاعك من أهل بلادك، فإنه قد بلغني ما قد تموّه (فارس) به على الناس، فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله [136].

الجدير ذكره أن الصراع بين الغلاة واتباع أهل البيت لم ينته، ولم يرعوِ أولئك الغلاة عن غيهم، بالرغم من وصايا الإمام للناس في تجنب مجالستهم واتهامهم، وتشويه سمعتهم، فقد كانوا يزيدون غيّاً، إلى أن قال الإمام الهادي عليه السلام : من يقتل فارساً وأنا أضمن له الجنة.

وكان لهذه المهمة الجنيد. فقد رأى أن هؤلاء الغلاة لا ينفع معهم سائر مراحل النهي عن المنكر، إذ طبقت معهم ولم تؤت أكلها، فقد أعرض عنهم، وكلح في وجوههم، ونصحوا وهددوا، وضربوا، ولم ينفع ذلك، وأي منكر أشد من نسبة الألوهية لرجل، ثم الادعاء بأنهم أنبياؤه.. وهكذا وبينما فارس خارج في العتمة كمن له الجنيد وطبر رأسه بساطور كان قد أعده لهذا الغرض.. وأنهى حياته ومنكره.

من سامراء خرج علي بن جعفر إلى الكوفة ليقيم بها مدة من الزمان مبلغاً رسالة أهل البيت عليهم السلام، ثم وجهه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد شهادة أبيه الهادي عليه السلام إلى مكة، فكان هناك ينفق النفقات العظيمة على المحتاجين من الحجاج وسواهم، ويعرفهم بأفكار أهل البيت عليهم السلام.. مما جعل بعض أصحاب الإمام يتعجب من ذلك، وينكره، فلما انصرف أبو طاهر بن بليل من الحج كتب إلى الإمام العسكري يعرفه، ما رأى، فرد عليه الإمام بتوثيق علي بن جعفر وتأييد عمله.

---

[135] / تنقيح المقال 2/ 272.

[136] / اختيار معرفة الرجال / 523

## 4- أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل
## (الكاتب والنديم)

تعرض التشيع في تاريخه- ولا يزال- إلى الكثير من التهم، كان المقصود منها، إيجاد جو عداء في الأمة تجاه من يعتنق فكره وبرنامجه، وإشعار الشيعة بالغربة والضعف.

وبالرغم من أن تلك التهم لم تكن لتصمد أمام البحث العلمي، ولم تكن لتقنع الواعين من غير الشيعة فضلاً عن الشيعة، إلاّ أن أصحاب التهم تلك كانوا يخاطبون بها العوام والغوغاء لعجزهم عن التفكير وقدرتهم على التهريج.

ومن تلك التهم: أن التشيع هو مذهب الموالي والفرس، فهم الذين صنعوه، وهم الذين ساندوا رجاله، وعلى ضوء هذا يفسرون كثيراً من الأحداث.

والغرض من مثل هذا الإرجاف كان: إحياء العصبية العربية الجاهلية التي تأبى العيش على صعيد واحد مع غير العرب، لرفض أفكار التشيع.

وقيم الإسلام، في المساواة والأخوّة بين المسلمين، وللإيحاء بأنه وافد غريب.

ونحن هنا لا ننكر أن التشيع- وهو جوهر الإسلام- قد خاطب الموالي، والضعفاء، كما خاطب غيرهم، ولامس قلوبهم، ووجدوا فيه ما ينسجم مع وجدانهم، وما يشفي صدورهم من عللها، وينقذ حياتهم من عبثها فآمنوا به والتزموه، ولعمري لو كان في هذا نقص لورد على أكمل الخلق، وسيد البشر رسول الله (ص). فقد عاب عليه " عرب " قريش أنه جمع حوله الموالي والعبيد والغرباء.. وطلبوا- كشرط لإسلامهم- أن يطرد هؤلاء عن أجوائه فأتاه الخطاب الإلهي (ولا تطرد الذين يدعون ربهم ).

كما أننا لا ننكر أن التشيع- وهو جوهر الإسلام- لا يرى المفاضلة بين الناس بـ "العظام " من الآباء والأجداد بل يرى المفاضلة بـ " العظام" من المواقف والأفعال والأخلاق.

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

بل إن الإسلام يغير مصطلح العربي السابق، فيعتبر حقيقة جديدة فيه، فماذا كان (العربي)- قبل الإسلام- يعني من ولد لأبوين عربيين، أصبح الآن (كل مسلم عربي).

هذا.. ولكن حتى، لو تنزلنا ومشينا على طريقتهم، فإننا سنجد أيضاً خواء هذا الإرجاف.. إذ أننا بالتمعن قليلاً، سنجد أن أهل البيت عليهم السلام وأئمة الشيعة هم من الذروة العليا في العرب فـ ( لا يقاس بآل محمد أحد).

وسنجد أن أئمة اللغة العربية، والحافظين لها، والناشرين لها كانوا من أتباع أهل البيت عليهم السلام.وما ذلك إلاّ لأن هذه اللغة هي لغة القران، وألفاظ الأحكام، ولو ضعفت أو اندثرت، فالضرر عائد- لا شك- على الدين.

فالذي أسس علم النحو، وقواعد الإعراب هو أبو الأسود الدؤلي ، تعلمه من أمير المؤمنين علي عليه السلام . وبعده كان أبو جعفر محمد بن الحسن الرواسي إمام الكوفيين في النحو، وأول من وضع فيه كتاباً مفصلاً وهو أستاذ الكسائي والفرّاء. وفي طبقته كان الخليل بن أحمد وهو إمام البصريين في النحو، ومؤسس علم العروض، وهو من شيعة أهل البيت عليه السلام ، ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كما ذكر العلامة البهائي، ومن طبقة أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام . وهكذا عطاء بن أبي الأسود الدؤلي، ويحيى بن يعمر العدواني وكلاهما تتلمذ على يد أبي الأسود، وكان يحيى تابعياً، عارفاً بالقرآن، والنحو، وله مواقف مشهورة مع الحجاج الثقفي، إذ كان يحدث بفضائل أهل البيت، ومناقب الحسنين. فاستدعاه الحجاج من خراسان، وله معه حوار شهير حول كون الحسنين ابني رسول الله (ص).

ومنهم حمران بن أعين الشيباني صاحب الإمام الصادق عليه السلام ، والفرّاء يحيى بن زياد الأقطع (وسمي أبوه بذلك لأن يده قطعت في وقعة فخ بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث) وهكذا ابن السكيت يعقوب (وقد مرت ترجمته) صاحب كتاب إصلاح المنطق. وهكذا أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل ابن حمدون الكاتب والنديم، وهو أستاذ أبي العباس ثعلب، ومنهم أبو العباس المبرد محمد بن يزيد الأزدي، صاحب كتاب الكامل، وهكذا ابن دريد محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة في اللغة.

وإذا جئت إلى حقل الشعر، تجد أعطر أزاهيره وأجمل وروده، إنما استقت من ينبوع أهل البيت عليهم السلام، كالنابغة الجعدي، والفرزدق، والكميت بن زيد، وكثير عزة، والسيد الحميري، والعبدي سفيان بن مصعب، والخزاعي دعبل، والطائي أبي تمام، وديك الجن، وداود بن القاسم، ومن تأخر من عصور هؤلاء كأبي فراس الحمداني، والمتنبي أبي الطيب، وابن الحجاج البغدادي، والشريفين الرضي والمرتضى [137].. وغيرهم مما يطول المقام والكلام بنا.

ومن هؤلاء ممن عاصر العسكريين الإمام علي الهادي وابنه الحسن عليهما السلام وكان خصيصاً بهما [138] وكبير المنزلة عندهما وروى عنهما. ومع هذا الاختصاص بالإمامين عليه السلام ، كان نديماً للمتوكل العباسي، وجليسه في مجلسه الخاص، ومحدثه، حيث كان النديم، آنئذٍ ، أشبه بمؤسسة ثقافية لديه من تاريخ العرب والإسلام، والقصص والأحكام، و الطرائف والمسلح، ما يروّح به عن الحاكم.

ويحتمل العلامة المامقاني في رجاله أن يكون ذلك العمل (منادمة المتوكل) كان برضى الإمام الهادي عليه السلام ، إن لم يكن بتوجيهه..

وأرى أن احتمال المامقاني ذلك ليس بعيداً، فكم شهدنا من هؤلاء الرجال ممن هم بأبواب الظلمة لأجل قضاء حوائج العباد، كداود بن زربي، وعلي بن يقطين وأمثالهم وكانوا يستطيعون رصد التوجه الموجود لدى الحاكم، فيخبرون به أئمة أهل البيت، لكي ينجو أتباعهم.

ويؤيد هذا الأمر ما ينقل من أن المتوكل ربما أحس بتوجهات أحمد بن حمدون نديمه، وباختصاصه بالإمام الهادي، خصوصاً مع الرقابة الشديدة المفروضة على الإمام، فتغيّر على نديمه، وأمر بنفيه إلى تكريت، ثم أرسل حاجبه زرافة لكي يقطع أذن أحمد في منفاه [139]، عقاباً له، ولماذا الأذن ؟! هل هي لأجل أنه سمع ما سمع ونقل ذلك إلى الإمام ؟ أم هو تنكيل حقد ؟!

له من الكتب:

ا- أسماء الجبال والمياه والأودية

2- كتاب بني مرة بن عوف

3 - كتاب بني نمربن قاسط

4- كتاب بني عقيل

5- كتاب طي

6- كتاب شعر العجير السلولي

7- كتاب شعر ثابت بن قطنة

---

[137] / للاستزادة يراجع تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام/ للسيد حسن الصدر.

[138] / رجال النجاشي.

[139] / الكنى والألقاب/ الشيخ عباس القمي. 279

8- نوادر الاعراب.

## 5- سعد بن عبدالله الأشعري
## توفي سنة 355 هـ

سعد بن عبد الله الأشعري القمي جليل القدر، واسع الأخبار، كثير التصانيف، ثقة [140].

وكان من علماء الطائفة، وخير نموذج لهم، فهو يسمع الأقوال ويتبع أحسنها. ومثال الانفتاح على المذاهب الفقهية والمدارس الفكرية الأخرى. فإذا كانت طريقة المذاهب الأخرى، وضع (فيتو) على فكر من يخالفها، وعدم قبول أشخاصهم، حتى لو كان بمستوى الرواية للخبر، كما فعل مثلاً البخاري في صحيحه حيث لم يقبل روايات الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جده الرسول(ص) بينما قبل رواية مثل عمران بن حطان الخارجي، الذي يمدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ويمدح ضربته تلك قائلا: بأنه ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضواناً وينقل عن المذمومين والضعفاء، بل حتى الملعونين بأسمائهم على لسان رسول الله (ص)..

وهكذا عندما يأتي الذهبي إلى ترجمة الأعمش سليمان بن مهران، أو الحافظ بن عقدة، أو زرارة بن أعين، يلخص رأيه فيهم من خلال موقفه المذهبى، ومع اعترافه بصدقهم وعدالتهم وضبطهم، إلاّ أنه لا ينسى أن يذيّل ذلك: إنه يترفض (!!) أو يتشيع..!!.

في المقابل كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، تنتهج حتى مع مخالفيها في المذهب والعقيدة، إذا كانوا صادقين وثقاة، على أساس قاعدة " خذوا ما رووا وذروا ما رأوا "، أي انظروا إلى الأحاديث والأخبار التي نقلوها، ولا تقلدوهم في تفسيرهم الخاطىء لها أو لغيرها.. وهذا- لعمري- قمة التكامل واحترام العلم.

أما أن يعيش العالم في شرنقة مذهبية يصنعها لنفسه، ولا يحاول الخروج منها حتى للإطلاع على ما حوله، فهو الجهل المركب الذي يهوي بصاحبه إلى دركات الضلال.

إن من مميزات مدرسة أهل البيت أنها تنفتح على كل فكر ورأي، عن غير خشية على الذات، لأن الرأي الجديد إما أن يكون منسجماً مع القيم الدينية والقواعد الأساسية التي تقوم عليها هذه المدرسة، فما المانع من الاستفادة منه ؟! وأما أن يكون مخالفاً لتلك القيم، فهي تمتلك من قوة الدليل، وسلامة الرأي ما يمكنها من مواجهته.. ولذلك وجدنا أن الزنادقة لم ينتهوا بفعل سيف (صاحب الزنادقة) الذي أنشأه المهدي العباسي، إذ السيف لا يستطيع القضاء على الفكر، حتى

---

[140] / الفهرست للطوسي

الخاطىء منه، وإنما انتهت حركتهم لما واجهها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتلاميذهم فكرياً، وعقائدياً، فلم يستطيعوا الوقوف في الميدان.
ومن النماذج التي مثلت هذا الجانب كان مترجمنا أبو القاسم سعد بن عبد الله القمي، فقد سمع من العامة شيئاً كثيراً، وسافر في طلب الحديث، ولقي وجوه العامة في عصره وأخذ عنهم، وكان شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها [141]في قم.
كما أنه يعتبر من الرواة المكثرين عن أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء اسمه في عدد كبير من الروايات تبلغ ألفاً ومائة واثنين وأربعين مورداً [142]. هذا فيما يرتبط بالروايات الفقهية والفروع، فضلاً عن الموارد الأخرى الكثيرة في التاريخ، والأخلاق، والعقائد، والقران الكريم. خلّف من الكتب ما أصبح مصدراً للموسوعات الحديثية الموجودة بين أيدينا، فقد نقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار، في مواضع كثيرة، مقاطع مفصلة من كتبه فله من الكتب:
1- كتاب الرحمة، ويشتمل على كتاب الطهارة- الصلاة- الصوم- الزكا ة- الحج.
2- كتاب جوامع الحجج.
3- كتاب الضياء في الإمامة.
4- كتاب مقالات الإمامية.
5- كتاب مناقب رواة الحديث ومثالب رواة الحديث.
6- كتاب فضل قم والكوفة.
7- كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبدالله (والد النبي).
8- كتاب بصائر الدرجات (وهو مطبوع 4 مجلدات).
9- كتاب المنتخبات.
10- كتاب فرق الشيعة.
11- كتاب الرد على الغلاة.
12- كتاب ناسخ القران ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه.
13- كتاب فضل الذكر والدعاء.
14- كتاب المتعة.
15- كتاب قيام الليل.
16- كتاب الرد على المجبرة.
17- كتاب فضل النبي.
18- كتاب الاستطاعة.
19- كتاب المزار.
20- كتاب احتجاج الشيعة على زيد بن ثابت في الفرائض .

[141] / رجال النجاشي
[142] / معجم رجال الحديث / 8

## الإمام الحسن بن علي υ
أبومحمد العسكري
232- 260 هـ

ولد في ربيع الآخر سنة 232 هـ . عمره الشريف قيل أنه 28 سنة وقيل 30 سنة .
تولى الإمامة بعد شهادة والده الإمام علي الهادي عليه السلام في سنة 245 هـ . وبذلك تكون مدة إمامته 15 عاما .

شهد عصره ألوانا من الكبت السياسي والفكري مارسها الحكام العباسيون( حيث عاصر **المتوكل** ثم ابنه **المنتصر** الذي كانت فترة حكمه القليلة فترة طيبة بالنسبة لأهل البيت ولم تطل فترة حكمه حيث رشى الأتراك طبيبه ففصده بريشة مسمومة وتوفي فورا ، ثم **المستعين** ثم **المعتز** ، ثم **المهتدي** ، وأخيرا **المعتمد** حيث قضى الإمام في زمنه ) ضده وضد أتباعه من شيعة أهل البيت عليهم السلام . وبقدر ما كان هؤلاء الحكام قساة في حق المؤمنين كانوا ضعفاء أمام الجنود الأتراك وقادتهم، حيث كان هؤلاء القادة يتصرفون كما يشاءون ويعزلون الخليفة متى يريدون.

كان من حكام عصره المعتز بن المتوكل الذي تنازل له المستعين عن الخلافة ، ثم قام بقتل المستعين وتولى الحكم سنة 252 هـ، وكثرت الاضطرابات في عهده ثم خلع سنة 255 هـ حيث ضرب بالسهام وكان يلطم أمام الناس، ثم منع من الطعام والشراب حتى هلك..

وأيضا منهم المهتدي بن الواثق بن المعتصم الذي بويع سنة 255 هـ وخلع سنة 256 وكان يتهدد أتباع الأئمة بالتصفية، وقتل سنة خلعه على يد الأتراك.

ومنهم المعتمد العباسي الذي بويع له سنة 256 وبقي مدة عشرين سنة.

وبقدر ما كان هؤلاء الخلفاء ( ألقاب مملكة في غير موضعها .. )

وكان ينبغي لهم أن يلتصقوا بالجمهور المؤمن لكي يتخلصوا من سيطرة الميليشيات التركية ، فتعود للخلافة هيبتها الظاهرية ، ويخففوا من الظلم والقيود إلا أنهم عكس ذلك قاموا بتصعيد المواجهة مع أهل البيت Γ

وشيعتهم ..

فنحن نجد أنه سُجن الإمام الحسن العسكري عليه السلام خلال هذه المدة ثلاث مرات في عهود الخلفاء الثلاثة المهتدي والمعتز والمعتمد ، وكان يهدد بالقتل.

وأما المتوكل الذي سبقهم فقد تجاوز الجميع في حقده على أهل البيت ، فقد كان يتظاهر بسب أمير المؤمنين علي υ ، ويأتي ببعض النماذج العابثة التي تتعرض بالإهانة للإمام υ . ولا ننسى إقدامه على هدم قبر الإمام الحسين υ مما يذكر مفصلا في كتب التاريخ .

وكان لا يسمع عن أحد أنه يبر أهل البيت إلا أنهكه عقوبة ..

كان للإمام العسكري دور متميز في حركة الأمة يتمثل في الأمور التالية:

1/ إبراز الصورة الحقيقية المثلى للدين الذي شوه صورته الحاكمون بظلمهم وفسادهم ، فقد وصل الوضع في أيام العباسيين المتأخرين إلى حد أنه كان يتم التجاهر بالمعاصي من قبل الخليفة في بلاطه ، ثم يخرج الخليفة لكي يؤم الناس في المسجد !! وأنت ترى ما هو الأثر السيء الذي تخلفه مثل هذه الممارسات .

2/ إعداده الأمة لمرحلة غيبة القائد المعصوم ، وهو في ذلك كان عليه أن يمارس دورا ذا زاويتين حادتين: - التمويه على الجهاز الحاكم وإخفاء ولادة الإمام المهدي- (عجل الله فرجه)، وكانت المهمة عسيرة إذ جندت السلطة كل أعوانها لمراقبة ورصد ذلك الإمام المنتظر للقضاء عليه. وقد ذكر المؤرخون أن الحكومة العباسية قد وكلت بعض النساء لكي يراقبن ما يحدث في بيت الإمام العسكري من ولادة أو حمل .

ـ ومن جهة أخرى كان لا بد من التصريح بولادته ، بل إظهاره للمقربين من أتباع الإمام ووكلائه لكيلا يتم إنكار وجوده ، ويقوم المشككون بنفيها . وكانت هاتان - المهمتان تتعارضان فالأولى تتطلب أقصى درجات الإخفاء والتقية والثانية تقتضي الإظهار. ولهذا وجدنا الإمام υ يقوم بأخبار المقربين إليه بولادة المهدي المنتظر عجل الله فرجه ، بل قام أكثر من ذلك بتوزيع كمية هائلة من اللحم عقيقة لمناسبة ولادة الإمام الحجة .

كذلك قام الإمام العسكري بتهيئة الأرضية اللازمة، لتعامل المؤمنين مع مرحلة الغيبة والاختفاء حيث سيقدر الله للإمام المهدي أن يختفي عن الأنظار، فلذلك اتخذ الإمام العسكري أسلوب الاحتجاب لفترات، واعتمد

أسلوب الإرجاع إلى الوكلاء، لكي تعتاد الأمة على هذين ا لأمرين.

3 / الاستمرار في دور آبائه الكرام في توضيح معالم الدين ، ونشر الهدي النبوي ، والمعصومي ، وهذا فيما نعتقده كان الدور الأساس الذي أنيط بأئمة أهل البيت Γ في أدوارهم المختلفة حيث يقدرون فيه على ما لا يقدر عليه غيرهم ، لكونهم وراث علم رسول الله جدهم ..

شيء من كلماته : **وصيته لشيعته وقد رواها علي بن بابويه القمي** .

وقال عليه السلام لشيعته : أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الامانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم ، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا شيعي فيسرني ذلك . اتقوا الله وكونوا زينا ولا تكونوا شينا ، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح ، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله ، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك . لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب . أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات . احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام .

استشهد سنة 260، مسموما وعمره 28 سنة. ودفن في سامراء.

**1- داود بن القاسم الجعفري**
**أبو هاشم**
**توفي سنة 261 هـ**

" أنت في حزب الله وفي زمرته إذ كنت بالله مؤمنا ولرسوله مصدقا ولأوليائه عارفا ولهم تابعا، فأبشر ثم أبشر "

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

كان يتنازع شخصيته توجهان..

فمن جهة كان وجها اجتماعيا معروفا، ولكي يصبح المرء وجيها لدى الحاكمين، فإن عليه أن يدفع ثمنا من مواقفه وأفكاره، وأحيانا استقلاله. إنه يرى الكثير من الوجوه الاجتماعية وصلوا إلى هذا الموقع ولكن بعد الكثير من التضحية بما يعتقدونه، إذ لا يرض السلطان بغير ذلك ثمنا

للقرب منه ومجالسته..

ومن جهة أخرى فهو يرى أن قوة موقعه بما يمثله من رقم أساسي في المجتمع الموالي لأهل البيت ، وكذلك فإن فائدة هذه الوجاهة ينبغي أن تكون في الدفاع عن أعضاء ذلك التجمع ومسيرته.. فإذا لم يستفد من شخصيته الاجتماعية المرموقة في إنقاذ هذا المؤمن، ونصرة ذاك الضعيف، والإحسان إلى ذلك الفقير، وأيضا الشفاعة في حوائج المحتاجين... إذا لم يستفد منها في هذه الأمور فما نفع هذه الوجاهة ؟! وما قيمتها غير غلاء ما تكلفه من ملابس ؟!.

إن الشخصية الاجتماعية هنا، ليبدو بدون هذه الأمور أشبه بعارض ملابس غالية في مسرح السلطان، ويغدو صفرا صغيرا يضاف إلى عشرات الأصفار في بلاطه..

إنه يجد أن هذه الوجاهة تنطلق من موقعه في تجمع أهل البيت ويجب أن تعود إلى نفعه..

وهكذا كان أبو هاشم الجعفري.. الذي ينتهي نسبه إلى الشهيد جعفر (الطيار) ابن أبي طالب، فلا غرابة أن ينحدر هذا الطيب من نسل أولئك الطاهرين، حاملا صفاتهم.. فقد كان( ذا عارضة ولسان لا يبالي ما استقبل به الكبراء وأصحاب السلطان )

فقد دخل على محمد بن طاهر بعد أن قضى هذا على ثورة يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد الشهيد، وقطع رأسه، وبينما كان الكثير من أشباه الناس المصفقة للمنتصر- محقا كان أو مبطلا- يدخلون عليه مهنئين إياه بالفتح (!!). دخل عليه أبو هاشم الجعفري. وقال:

- أيها الأمير جئتك مهنئا بما لو كان رسول الله حيا لعزي به.. (أي أنك تناقض منهج الرسول وتقتل ذريته) ثم أكمل كلامه شعرا قارعا:

يا بني طاهر كلوه وبيا إن لحم النبي غير مريّ

إن وتراً يكون طالبه الله لوتر بالفوت غير حريّ [143]

وبالطبع فإن السلطات لم تكن لتعطي من يستقبلها بالمعارضة جوائز التقدير وأوسمة التشجيع. لذلك ما مرّت فترة من الزمن حتى استضاف السجن أبا هاشم الجعفري ومعه جماعة من أصحابه، وما إن بقي أياما حتى سجن الإمام الحسن العسكري في نفس السجن، ذلك أن (المهتدي) العباسي، قد ورث من ابائه النصب لأهل البيت، أراد كما قال تصفية الشيعة، وأن يشردهم عن مقاطعتهم، فقال لذلك الغرض باعتقال عدد من كبار شيعة أهل البيت ثم أعقبهم باعتقال سيدهم الإمام العسكري، أراد إطفاء نور الله (ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ).

مساكين هم.. هؤلاء الطغاة..

يتصورون وهم يسيطرون على أربعة أشبار من الأرض، ويملكون أجسام عدد من الجند.. يتصورون أنهم يستطيعون أن يسيطروا على- التاريخ!! وأن يغيروا سنن الله في الكون!.

يجلس أبو هاشم إلى جانب الإمام العسكري فيقول له- بمنطق المتوكل على الله، المتصل به- :

- يا أبا هاشم إن هذا الطاغية أراد قتلي في هذه الليلة وقد بتر الله عمره..

ولم يكن أبو هاشم بحاجة للانتظار إلى اليوم الثاني ليتأكد من دقة ما ذكره الإمام ، فقد شهد منه الكثير، الكثير مما يدلّ على اتصاله بعالم الغيب.. لقد شهد أن بعض شيعة الإمام كتب إليه (بلغنا أنه- المهتدي- يتهدد شيعتك، ويقول: والله لأجلينهم عن جديد الأرض).

فوقع عليه السلام له: إن ذلك أقصر لعمره، عد من يومك هذا خمسة أيام، فإنه يقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف وذل يلحقه..

وبينما بقي نور الله يضيء للسالكين درب عبادته، هلك الطاغية الذي ظن أنه يستطيع أن يغير سنن

---

[143] / مروج الذهب 4/ 148.

الله، والتاريخ، فقد نقم الأتراك على (المهتدي) وهجموا عليه بالخناجر، فجرحه أحدهم بخنجر في أوداجه، وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روي منه والتركي سكران، فلما روي من دم المهتدي قام قائما وقد مات المهتدي فقال: يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر!! [144].

لقد تتلمذ أبو هاشم على يد ثلاثة أئمة وتشرف بصحبتهم، الإمام الجواد وابنه الإمام علي الهادي وابنه الحسن العسكري .. وكان في كل يوم يفتح عينه على باب من العلم مغلق بهداية الإمام له.. لقد وجهه إلى استكناه غوامض نفسه، ومعرفة نعم الله عليه ثم إلى معرفة الواقع الذي يعيش فيه، وإلى المسؤولية الملقاة على عاتقه، لذلك لا غرابة أن نجد أبا هاشم من بين الرواة المكثرين عن الإمامين .

إنه يدخل على الإمام الهادي وقد ألمّت به ضائقة عكرت صفو حياته فيبادره الإمام القول: يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها ؟!.

فوجم أبوهاشم ولم يدر ما يقول.. فابتدر الإمام قائلا:

- رزقك الإيمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل.. وكانت هذه الكلمات خير وصفة علاج واجهه بها مشكلات الحياة بدواء القناعة.

وإذا كان البعد عن سنة الرسول قد تكرس في رأس النظام السياسي الحاكم لأمور المسلمين، فأصبح موقع القيادة الإلهية ألعوبة بيد الغلمان والخصيان يعزلون وينصبون، فقد سرى في كل مناحي الحياة حتى العبادية منها، وبالرغم من أن البدع أصبحت هي القاعدة إلا أن ذلك لا يخرجها عن كونها بدعا.

فقد بدأ الحاكمون منذ أيام معاوية بإنشاء مقاصير في المساجد يصلون فيها، وذلك خوفا من اغتيال الناس لهم، وجرت هذه البدعة في مسيرة خط الخلافة حتى العهد العباسي المتأخر..

يقول أبو هاشم: كنت عند أبي محمد (الحسن العسكري) ، فقال: إذا قام القائم هدم المقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي: لأي معنى هذا ؟!.

فأقبل علي وقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة.

إن أبا هاشم الذي أصبح باب الإمام العسكري، وعن طريقه تصل أسئلة الكثير من أتباع الإمام ، وإليهم يحمل أجوبتها، ليشهد كل يوم علما جديدا، ووعيا بأحكام دينه، ويرى كيف اختصّ الله أهل بيت نبيه ، بعلم لم ينله غيرهم، ليس فقط لأن جدهم رسول الله بل- وأيضا- لطبيعة الدور الذي كلفوا بالقيام به في الأمة.

فقد سأل أحدهم الإمام العسكري:-

- ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهما واحدا ويأخذ الرجل سهمين ؟!.

فقال : لأن المرأة ليس لها جهاد ولا نفقة ولا عليها معقلة [145]. إنما ذلك على الرجال..

يقول أبو هاشم: فقلت في نفسي: قد كان قيل لي أن ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله (الصادق) عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب.

فأقبل علي وقال: نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منا واحد إذا كان معنى المسألة واحدا، جرى لآخرنا ما جرى لأولنا، وأولنا وآخرنا في العلم سواء ولرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما.

---

[144] / مروج الذهب 4/ 186

[145] / المعقلة- بضم القاف- الغرم. يقال صار ذو معقلة على قومه أي صاروا يؤدونه من أموالهم.. والملتزمون للأداء هم: العاقلة.

واستمر أبو هاشم ينتهل كل يوم من معين العلم النبوي، والمعارف العلوية ويبلغ ذلك إلى من يحتاجه من طالبي العلم، سواء من خارج التجمع أو من داخله، وكان بما وهبه الله من شجاعة أدبية وما اكتسبه من معرفة دينية يتصدى للأفكار الخاطئة، بالرغم من أن بعضها بسبب صدورها من دوائر قريبة من أهل البيت كانت قادرة على استقطاب عدد من الناس..

فقد ظن هؤلاء أن انتساب الشخص إلى ذرية الرسول أو كونه ابن للمعصوم يجعله إماما بشكل قسري غافلين عن حقيقة أن الإمامة- كالنبوة- أمر إلهي، يتم وفق مصالح لا يدركها البشر بالضرورة.. لذلك تصوروا أن اسماعيل ابن الإمام الصادق هو الإمام بعد والده، وبالرغم من نص الإمام وإشاراته الكثيرة إلى ابنه موسى الكاظم ، وبالرغم من وفاة
اسماعيل في حياة أبيه، إلا أنهم أصروا على ذلك وانشؤا فرقة هي (الإسماعيلية).
ويعالج أبو هاشم الجعفري ذلك في نقاشه مع أحد معتنقي هذه الطريقة بشعره قائلا:

لما انبرى لي سائل لأجيبــه موسى أحق بها أم اسماعيل
قلت الدليل معي عليك وما على ما تدعيه للإمام دليــل
موسى أطيل له البقاء فحازها إرثا ونصا والرواة تقول
إن الإمام الصادق بن محمد عزي باسماعيل وهو جديل
وأتى الصلاة عليه يمشي حافيا أفجعفر في وقته معزول ؟

كما استمر أبو هاشم بما أوتي من وجاهة اجتماعية، ومنزلة، في دوره قاضيا حوائج إخوانه المؤمنين، متشفعا لهذا، وقائما بأمر ذاك، ذلك أنه كان قد سمع الإمام العسكري يقول: إن في الجنة بابا يقال له- المعروف، لا يدخله إلاّ أهل المعروف.
يقول أبو هاشم: فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إليّ وقال: نعم فدم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك [146].

## 2- أيوب بن نوح بن درّاج النخعي

[146] / بحار الأنوار 5/ 258.

إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا (وأشار لأيوب بن نوح)
الإمام الحسن العسكري لعمرو بن سعيد المدائني

يلحظ المتتبع للتاريخ الإسلامي أن بعض العوائل والبيوت كانت- في الجملة- وغالبا في خط الفضيلة والتقوى ومارست أدوارا إيجابية في مقاطع مختلفة من حياتها.. وتوارث أبناؤها عن آبائهم وأجدادهم نصرة الحق ومقارعة الباطل..

وهناك عوائل أخرى لم تجن سوى الذكر السيء، والسمعة النتنة،لا يذكرون إلا باللعن ولا يقرنون إلا بالإثم، فأبناؤها- على خطى آبائهم- هم المسارعون إلى كل منقصة، والمبادرون إلى كل خطيئة.

ولهذا السبب- ربما- ندب الإسلام إلى الارتباط بأهل البيوت الصالحة لما يفرضه الانتساب إليها من نوع خاص من الأخلاق والعادات المتأصلة.. فهذا أمير المؤمنين على يوصي مالكا الأشتر في عهده المشهور: " وتوخ منهم- العمّال- أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا، وأصح أعراضا، وأقل في المطامع إشراقا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرا..) وفي موضع آخر يوصيه: (ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة.. ".

وبنو درّاج من هذه العوائل، التي التصقت بأهل البيت ، وبرز منهم رجال في هذا الخط الإلهي، فحاذوا بذلك شرف الذكر، و(لسان الصدق) في الآخرين، في الدنيا، وهم في الآخرة مع من كانوا في خطهم في الدنيا.

فمنهم جميل بن درّاج- عم أيوب- الذي يعتبر من أبرز أصحاب الامام الصادق، والكاظم ، وممن أجمع الإمامية على تصحيح ما يصح عنهم، فهو في الطبقة العليا من حيث الوثاقة، والفقه (الاجتهاد). بل كان من أصحاب سر الإمام الصادق [147]، وكان شيخ محمد بن أبي عمير وأستاذه، فقد كان يقول له ابن أبي عمير: ما أزين محضرك، وأحسن مجلسك !! فقال له جميل: ما كنا حول زرارة إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم.

وحين يدخل الفضل بن شاذان على محمد بن أبي عمير فيجده ساجدا، وتطول سجدته، فلما رفع رأسه، قال الفضل: ذكرت له طول سجوده، فقال: كيف لو رأيت جميل بن درّاج ؟!.

ومنهم نوح بن درّاج- والد أيوب- الذي كان من أصحاب أهل البيت [148]، ولكنه كان يخفي أمره وتولى القضاء في الدولة العباسية، وكان - بالرغم من هذا المنصب- يفتي ويقضي طبقا لرأي أئمة أهل البيت . وقد نقل أن الإمام الكاظم استشهد بفتواه في عدم توريث العصبة - وهو من مختصات مذهب أهل البيت- في مناظرة بينه وبين هارون العباسي [149].

وهكذا الحال في (الحسن بن أيوب بن نوح)، فقد كان من السائرين أيضا على خطى أبيه وأجداده في معرفة أهل البيت وخدمتهم، فقد كان أحد رواة النص على الإمام الحجة المهدي (عج) وممن رآه في حياة أبيه الإمام الحسن العسكري، إذ أنه حضر ومعه عدد من أصحابه إلى منزل الإمام العسكري، وفي مجلسه جماعة أيضا فسألوا عن الإمام بعده والحجة، فخرج " غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد (العسكري) فقال عليه السلام: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم،

---

[147] / تنقيح المقال 1/ 231.

[148] / رجال السيد بحر العلوم 1/ 383

[149] / عيون أخبار الرضا ج1ص 85

أطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فأقبلوا من عثمان (أي ابن سعيد العمري) ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه.. "[150] .

هؤلاء بعض رجال هذا البيت (بنو درّاج).. وأما أيوب، فقد كان من أصحاب الإمام الرضا، والإمام الجواد كما كان وكيلا لأبي الحسن الهادي، وأبي محمد العسكري ، وكان عظيم المنزلة عندهما، مأمونا، شديد الورع، كثير العبادة، ثقة في رواياته، وله كتاب فيه روايات ومسائل عن الإمام الهادي.

وكان إلى جنب ذلك، لا يفتأ يدعو الناس إلى مذهب أهل البيت، مطلعا إياهم على محاسن كلامهم، فهذا محمد بن سكين النخعي، يحدث قائلا إن أيوب بن نوح دعاه إلى هذا الأمر (أي مذهب أهل البيت) ومحمد بن سكين أصبح فيما بعد أحد الرواة عن الأئمة، وله في ذلك كتاب.

وفي الوقت الذي راج فيه سوق ادعاء الوكالة عن الأئمة ، حيث حاول ذوو الإيمان المستودع، استغلال قربهم لفترة من الزمان من الأئمة، لكي يشتروا بذلك ثمنا قليلا من حطام الدنيا والجاه الزائل. فقام الأئمة بفضح هؤلاء المدعين، وإعلان البراءة منهم، وفي المقابل تعزيز موقع الوكلاء الحقيقيين في مجتمع الموالين، فقد وثقه الإمام علي الهادي ، فقد روى أبو محمد الدينوري قال كنت أنا وأحمد بن أبي عبد الله بالعسكر فورد علينا رسول من الرجل [151] "فقال: الغائب العليل (ويقصد به علي بن جعفر الهماني) ثقة، وأيوب بن نوح ثقة..

ونظرا لكون أيوب وكيلا في تصريف أمور أتباع الأئمة. فقد كان يواجه الدعوات المنحرفة والتي كان منها أفكار فارس بن حاتم القزويني،سواء في الغلو أو في التحلل من الواجبات.. إذ ينتهي عادة أصحاب الغلو إلى التحلل من الواجبات، وترك الطاعات بالتدريج... فكان أيوب على صلة بالإمام الهادي فيما يرتبط بطريقة مواجهته وكان يوزع الأوامر الواردة إليه على شخصيات المناطق التي شملتها فتنة فارس.. فقد كتب إلى محمد بن عيسى بن عبيد ما يلي، وكان قد سأله هذا عن الموقف المطلوب من فارس:

- سألتني أن كتب إليك بخبر ما كتب به إليّ في أمر القزويني فارس، فقد نسخت لك في كتابي هذا أمره، وكان سبب خيانته أني صرفته إلى أخيه، فلما كان في سنتنا هذه أتاني وسألني وطلب إلي في حاجة، وفي الكتاب (الكتابة) إلى أبي الحسن (الهادي) أعزّه الله، فدفعت ذلك عن نفسي فلم يزل يلح علي في ذلك حتى قبلت ذلك منه وأنفذت الكتاب ومضيت إلى الحج ثم قدمت فلم تأت جوابات الكتب التي أنفذتها قبل خروجي فوجهت رسولا في ذلك، فكتب إلي ما قد كتبت به إليك ولولا ذلك لم أكن ممن يتعرض لذلك حتى كتب به إليّ الجبلي يذكر أنه وجه بأشياء على يدي فارس الخائن لعنه الله لعنة متقدمة ومتجددة لها قدر فأعلمناه أنه لم يصل إلينا وأمرناه أن لا يوصل إلى الملعون شيئا أبدا وأن يصرف حوائجه إليك..

ووجه بتوقيع من فارس بخطه له بالوصول، لعنه الله وضاعف عليه العذاب فما أعظم ما اجترى على الله عز وجل وعلينا وعلى الكذب علينا واختيان أموالنا وكفى به معاقبا ومنتقما..

فأشهر فعل فارس في أصحابنا الجبليين وغيرهم من موالينا..[152] ويلاحظ من خلال هذه

---

[150] / الغيبة لشيخ الطائفة.

[151] / المقصود به الإمام الهادي ، ويستخدم هذا الوصف نظرا لظروف الضغط الشديد من قبل السلطة الحاكمة وما تتطلبه من ممارسة التقية، والاختفاء.

[152] / تنقيح المقال 2/ ق 2/ 1.

الرسالة، موقع أيوب بن نوح، فهو إضافة إلى كونه وكيلا موثوقا به من قبل الإمام الهادي، فإنه كان في موقع التوجيه لغيره من الوكلاء، فقد شرح لمحمد بن عيسى بن عبيد في البداية قضية خيانة فارس القزويني، لأموال كان قد أؤتمن عليهما و (بلعها) ثم زوّر توقيعا بوصول هذه الأموال وأرسله لمن سلمه الأموال، لذلك فقد أعلم أيوب، الرجل الجبلي بأن لا يسلم شيئا إلى فارس، وأن يوجه ما لديه من أسئلة أو حقوق مالية إلى محمد بن عيسى، ثم كلّف هذا الأخير أن يقوم بتوضيح أمر فارس إلى أتباع الإمام في منطقة وفي غير تلك المنطقة، لكي يتقي ويتجنب.
ولكي لا تختلط الأمور عندما يفتقد الترتيب، فيقوم الدخلاء بإيجاد مواقع لهم بين شيعة أهل البيت كان لا بد من ترتيب قنوات الاتصال بين شيعة أهل البيت وبين قادتهم الأئمة وهذا يقتضي أن يقوم كل وكيل بمسؤولية في الحدود المعينة له، وأن لا يتجاوزها، كما لا يسمح لمن هم في دائرة مسؤوليته أن يتجاوزوها.. وبهذا يستطيع الوكيل إدارة منطقته إدارة كفوءة، ومعرفة من يتحرك فيها على صعيد الموافقة أو المخالفة.. أما إذا اختلطت المسائل، وأمكن لأهل هذه المنطقة أن يتصلوا بالإمام من غير الطريق المعين، فإن هناك احتمال الدخلاء، وعدم انتظام المسائل..
لذلك يكتب الإمام كتاباً لأيوب بن نوح وكيله لافتا نظره إلى هذه المسألة جاء فيه: " وأنا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي (بن راشد) وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته، فإنكم إذا انتهيتم إلى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي، وآمرك يا أبا علي بمثل ما آمرك يا أيوب: أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمداين شيئا يحملونه، ولا تلي لهم استئذانا علي ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يعيده إلى الموكل بناحيته، وآمرك يا أبا علي في ذلك بمثل ما أمرت به أيوب، وليعمل كل واحد منكما مثلما أمرته به "[153]

وأيوب بن نوح وإن كان عندما توفي لم يخلف سوى مائة وخمسين دينارا، بينما كان الناس يرون أنه من أصحاب الأموال الكثيرة، نظرا لوكالته عن الأئمة، إنه وإن لم يخلف سوى هذا المبلغ القليل من المال، إلا أنه خلف من الذكر الطيب، والثناء العاطر، الكثير الكثير الباقي.. فرحمه الله رحمة واسعة وحشره مع أئمته.

## 3- الفضل بن شاذان النيسابوري
## توفي سنة 266 هـ

يعيش الناس عادة في صراع لا ينتهي إلاّ بنهاية حياتهم مع مفردات الهموم اليومية، تلك المفردات التي تستغرق كل جهدهم، ووقتهم أو جلّه، وبذلك فهي لا تفسح لهم المجال لكي يفكروا في الأهداف السامية وإن فكروا فلا تعطيهم فرصة العمل لتحقيقها، وهكذا فهم في دوامة الحياة. عادة مشغولون بها. غافلون عما سواها، (فإذا ماتوا انتبهوا) وإذا شارفت حياتهم على النهاية عضوا على الأنامل أسفا على أنهم لخصوا عمرهم في لقمة للبطن ومتعة لما تحته!! وكان ينبغي أن يحققوا لأنفسهم مجدا، ولدينهم رفعة، ويقدموا لآخرتهم زادا!!.
والطريف أن هذه الهموم- بالرغم من ضالتها في جنب القضايا الكبرى- تضغط بشدة على

---

[153] / تعليقة اختيار الرجال/ رقم 992.

الإنسان، وتستنزف كامل طاقته وجهده- في فترة من الزمان- فإذا كانت مشكلته في البيت مع زوجته أو أولاده، وجدته يفكر ليل نهار، ويرتب كل شيء على حل تلك المشكلة، وأحيانا لا يطلب من الله- هكذا يزعم- إلا حل هذه المشكلة. وهكذا الحال عندما يقدر عليه في الرزق فإنه يظل دائب التفكير في الأمر لا سواه.. ويوقف كل إبداع لديه، ولو تورط في مأزق سياسي، كأن يكون مطلوبا للسلطة، أو ممنوعا من السفر، أو تحت الإقامة الجبرية فالأمر أشد، إذ أنه ينتظر أولا أن يخرج من هذا المأزق، ثم يتوجه لتحقيق طموحاته الكبرى!!.
ويطول الانتظار، ويخرج هذا المرء من مشكلة عائلية ليدخل في ورطة سياسية، ومن معضل مالي إلى همّ اجتماعي، ولا يرتاح- أحيانا- حتى وهو على فراش الموت!!.
ويبقى ثلة من الناس يتعالون على المشاكل اليومية والهموم الحياتية، ومهما تعقدت فهم يتكيفون معها، ولا ينسون في غمرة الحاضر أهداف المستقبل، لذلك يمرّ عليهم الزمان وقد استثمروه لصالحهم.
إن التاريخ لا يتوقف أمام المشاكل الشخصية للأفراد، لأنه لا يخلو أحد من البشر من هذه المشاكل ، ولكنه يمجد أولئك الرجال الذين يتجاوزون مشاكلهم فيصنعون شيئا في حياتهم ويصبحون (محطات) .. فمن من البشر لم يواجه مشاكل ؟ ولكن كم من هؤلاء تجاوزها، وبنى في دنياه مجدا وفي أخراه رفعة ؟!.
من هؤلاء الرجال، الفضل بن شاذان النيسابوري. فبالرغم من أنه كان عرضة لغضب الحاكمين العباسيين، لتشيعه، وتعرض كغيره لهذا النوع من المشاكل إلا أنه لم ينشغل بها عن دوره في تبليغ دين الله وثقافة أئمته..

فقد طلبه عبد الله بن طاهر وبعد التحقيق معه طرده من بلده، وكان يجهد أن يجد عليه تهمة تبرر له ذلك، كسب فلان أو غيرها، إلا أن الفضل الذي كان واعياً لهذه المعادلة لم يترك له فرصة ذلك.. وهكذا نفي ابن شاذان عن بلده. إلا أنه لما كان قد رأى من الأئمة (الجواد- الهادي - والعسكري) فقد كان إناء علمه يفيض بما فيه، لذلك فقد كان محورا يجتمع أتباع أهل البيت حوله ويتحلقون حول سراج علمه، وكان الإمام العسكري يراقب هذه الظاهرة فيقول (إنني لأغبط أهل خراسان لمكان الفضل منهم)!!.
وقد أثر أنه كتب كثر من مائة وثمانين كتابا، كان منها:
ا- كتاب النقض على الإسكافي.
2- الرد على أهل التعطيل.
3- كتاب الاستطاعة.
4- كتاب الوعيد.
5- كتاب الإيمان.
6- كتاب الإعراض والجواهر.
7- كتاب العلل.
8- كتاب الرجعة.
9- كتاب تبيان أصل الضلالة.
10- كتاب الرد على الفلاسفة.
11- كتاب السنن.
12- أربع مسائل في الإمامة.
13- كتاب الفرائض الكبير/ الأوسط/ الصغير.
14- كتاب الرد على المرجئة.
15- كتاب الرد على القرامطة.

16- كتاب الطلاق.
17- كتاب فضل أمير المؤمنين .
18- كتاب الإمامة الكبير.
19- كتاب الخصال في الإمامة.
20- كتاب الرد على الحسن البصري في التفضيل.
21- كتاب المتعتين: متعة النساء ومتعة الحج.
22- كتاب الرد على الغلاة.
23- الرد على الحشوية.
24- كتاب المسح على الخفين.

وللتعرف على مقدرة الفضل وطول باعه في المسائل الاعتقادية نورد نصين مما روي عنه، يدلاّن على شدة عارضته، فقد كانت الإمامة في ذلك الوقت ليست مناظرة علمية لقضاء الوقت وقتل الفراغ، كما لم تكن أعمالا استعراضية في المجالس للافتخار والمراء، إذ ربما كلفت المرء حياته، وأهدر الظالمون دمه فمات مطاردا على كلمة قالها في الإمامة كما حصل لهشام بن الحكم وقد تنتهي به إلى التشرد بعيدا عن وطنه، متعرضا لغضب الحاكمين تارة وتعدي غوغاء المحكومين أخرى كما حصل للفضل نفسه.

إن اعتناق عقيدة معينة في الإمامة يعني، انتخاب طريق خاص في الحياة، ويعني إدانة، أو تأييدا لأسلوب الحكم القائم، ويعني التبليغ لهذا الموقف، لذلك فوجود شخص يحمل عقيدة مخالفة لعقيدة الحاكم في الإمامة، كان بمثابة قنبلة مدمرة لا تحتمل.

ولهذا السبب شجع الحاكمون عقائد خاصة في الإمامة، وحاربوا عقيدة أهل البيت التي كان من شأن الاعتراف بها هدم القصور المبنية على الجور والتسلّط، والمطالبة بإرجاع الإمامة لأهلها آل بيت النبي ، حيث أنهم (أدرى بما فيه)..

بين أيدينا واحد من النصوص التي نقلت عن الفضل بن شاذان حيث أنه سئل عن الدليل على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؟ ويبدو أن السائل لم يكن من أتباع أهل البيت ، كما يظهر ذلك من طريقة جواب الفضل إياه، فقد اعتمد على المسلمات التي يجمع عليها كل المسلمين.

فقال: الدليل على ذلك من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه ومن إجماع المسلمين.

فأمّا كتاب الله تبارك وتعالى فقوله عز وجل: ( يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) فدعانا سبحانه إلى طاعة أولي الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله، فاحتجنا إلى معرفة أولي الأمر كما وجبت علينا معرفة الله تعالى، ومعرفة الرسول عليه وآله السلام، فنظرنا في أقاويل الأمّة فوجدناهم قد اختلفوا في أولي الأمر، وأجمعوا في الآية على ما يوجب كونها في عليّ بن أبي طالب فقال بعضهم: أولي الأمر هم أمراء السرايا، وقال بعضهم: هم العلماء، وقال بعضهم: هم القوّام على الناس، والآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، وقال بعضهم: هم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ذريّته ، فسألنا الفرقة الأولى فقلنا لهم: أليس علي بن أبي طالب من أمراء السرايا، فقالوا: بلى، فقلنا للثانية: ألم يكن من العلماء ؟ قالوا: بلى، فقلنا للثالثة: أليس علي قد كان من القوام على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ فقالوا: بلى ؟ فصار أمير المؤمنين معينا بالآية باتفاق الأمّة واجتماعها، وتيقنّا ذلك بإقرار المخالف لنا في الإمامة والموافق عليها، فوجب أن يكون إماما بهذه الآية لوجود الاتفاق على أنه معنيّ بها، ولم يجب العدول إلى غيره والاعتراف بإمامته لوجود الاختلاف في ذلك وعدم الاتفاق وما يقوم مقامه من البرهان.

وأمّا السنة فإنا وجدنا النبيّ استقضى عليّا على اليمن،وأمّره على الجيوش، وولاه الأموال، وأمره بأدائها إلى بني جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد ظلما، واختاره لأداء رسالات الله سبحانه والإبلاغ

عنه في سورة براءة، واستخلفه عند غيبته على من خلّف، ولم تجد النبي سن هذه السنن في أحد غيره، ولا اجتمعت هذه السنن في أحد بعد النبي كما اجتمعت في علي ، وسنة رسول الله بعد موته واجبة كوجوبها في حياته، وإنما يحتاج الأمة إلى الإمام بهذه الخصال التي ذكرناها، فإذا وجدناها في رجل قد سنها الرسول فيه كان أولى بالإمامة ممّن لم يسن النبي فيه شيئا من ذلك.

وأما الإجماع فإن إمامته ثبتت من جهته من وجوه: منها أنهم قد أجمعوا جميعا أن عليا قد كان إماما ولو يوما واحدا، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الإمامة ثم اختلفوا فقالت طائفة: كان إماما في وقت كذا وكذا، وقالت طائفة: بل كان إماما بعد النبي، في جميع أوقاته، ولم يجمع الأمة على غيره أنه كان إماما في الحقيقة طرفة عين، والإجماع أحق أن يتبع من الاختلاف.

ومنها أنهم أجمعوا جميعا على أن عليا كان يصلح للإمامة، وأن الإمامة تصلح لبني هاشم، واختلفوا في غيره، وقالت طائفة: لم تكن تصلح لغير علي بن أبي طالب ، ولا تصلح لغير بني هاشم، والإجماع حق لا شبهة فيه، والاختلاف لا حجة فيه.

ومنها أنهم أجمعوا على أن عليا كان بعد النبي ظاهر العدالة واجبة له الولاية، ثم اختلفوا فقال قوم: كان مع ذلك معصوما من الكبائر والضلال، وقال آخرون: لم يكن معصوما ولكن كان عدلا برا تقيا على الظاهر، لا يشوب ظاهره الشوائب ؟ فحصل الإجماع على عدالته ، واختلفوا في نفي العصمة عنه . ثم أجمعوا جميعا على أن أبا بكر لم يكن معصوما، واختلفوا في عدالته فقالت طائفة: كان عدلا، وقال آخرون: لم يكن عدلا، لأنه أخذ ما ليس له، فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا في عصمته أولى بالإمامة وأحق ممن اختلفوا في عدالته وأجمعوا على نفي العصمة عنه [154].

ولمزيد من تسليط الضوء على شخصية هذا العالم العبقري نفتح صفحات من كتابه (العلل). لنرى فيه الخط الوسط الصحيح الذي تنهجه مدرسة أهل البيت عليه السلام في مسألة العقل، بين إفراط المعتزلة الذين حشروا (أنف) العقل في كل مكان، حتى كادوا أن يؤلهوه، ولم يمنعوه من-الدخول إلى أية أرض، فكان أن نتج عن ذلك مناهج في الفقه كالقياس والاستحسان وأمام هذه قال أهل البيت: إن دين الله لا يصاب بالعقول وبين تفريط الأشاعرة الذين اعتبروا العقيدة والشريعة (منطقة ممنوعة) على العقل، وحرموا عليه الدخول حتى إلى بيته، فكان أن نسبوا إلى الله ما يأباه لعباده، في العقيدة، وأن ابتلوا بالتناقض في تحليل الأخبار في الشريعة.

فها هو الفضل بن شاذان يتحدث عن علل الشرائع وحكمها، إذ أوامر الشرع لما كانت صادرة عن الحكيم فلا يمكن أن تكون عن عبث، ولكن تارة يفهم العبد تلك الحكم وأخرى لا يصل عقله وجهده لها، وهنا لا يجوز له إنكارها أو عدم العمل بها لأنه لم يعرف تلك الحكم.. بل يرجع في ذلك إلى أهلها الراسخين في العلم الذين يعلمون التأويل من جدهم .

فقد قال الفضل بن شاذان النيسابوري: إن سأل سائل فقال: أخبرني هل يجوز أن يكلف الحكيم عبده فعلا من الأفاعيل لغير علّة ولا معنى ؟ قيل له: لا يجوز ذلك لأنه حكيم غير عابث ولا جاهل.

فإن قال: فأخبرني لم كلّف الخلق ؟ قيل: لعلل.

فإن قال: فأخبرني عن تلك العلل معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة ؟ قيل: بل هي معروفة وموجودة عند أهلها.

فإن قال: أتعرفونها أنتم أم لا تعرفونها ؟ قيل لهم: منها ما نعرفه، ومنها ما لا نعرفه.

فإن قال: فما أول الفرائض ؟ قيل: الإقرار بالله عز وجل (وبرسوله وحجته ) وبما جاء من عند الله عز وجل.

---

[154] / بحار الأنوار 10/ 376.

فإن قال: لهم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسله وحججه وبما جاء من عند الله عز وجل ؟ قيل: لعلل كثيرة: منها أن من لم يقر بالله عز وجل لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحدا فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم؛ فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء وقتل بعضهم بعضا من غير حق ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا، وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل.

ومنها أن الله عز وجل حكيم، ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد، ويأمر بالصلاح، ويزجر عن الظلم، وينهى عن الفواحش، ولا يكون حظر الفساد والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله عز وجل ومعرفة الآمر والناهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح، ولا نهي عن فساد إذ لا آمر ولا ناهي.

ومنها أنا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة، مستورة عن الخلق، فلولا الإقرار بالله عز وجل وخشيته بالغيب لم يكن احد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحدا في ترك معصية، وانتهاك حرمة، وارتكاب كبيرة، إذا كان فعله ذلك مستورا عن الخلق، غير مراقب لأحد، وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير، يعلم السر وأخفى، آمر بالصلاح، ناه عن الفساد، لا تخفى عليه خافية، ليكون في ذلك انزجار لهم عما يخلون به من أنواع الفساد. فإن قال: فلم وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة ؟ قيل: لأنه لما لم يكن في خلقهم وقولهم وقواهم ما يكملون لمصالحهم، وكان الصانع متعاليا عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهرا لم يكن بد من رسول بينه وبينهم، معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثا لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء.

فإن قال: فلم جعل أُولي الأمر وأمر بطاعتهم ؟ قيل: لعلل كثيرة: منها أن الخلق لما وقعوا على حد محدود وأمروا أن لا يتعدّوا ذلك الحد (تلك الحدود) لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أمينا يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيما يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا؛ فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد لهم منه ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوهم، ويقسمون به فيئهم، ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها أنه لو لم يجعل لهم إماما قيما أمينا حافظا مستودعا لدرست الملة، وذهب الدين، وغيّرت السنة والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين، لأنا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين، غير كاملين، مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيما حافظا لما جاء به الرسول لفسدوا ، على نحو ما بينا، وغيّرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين.

فإن قيل: فلم لا يجوز أن يكون في الأرض إمامان في وقت واحد أو أكثر من ذلك ؟ قيل: لعلل.

منها أن الواحد لا يختلف فعله وتدبيره، والاثنين لا يتفق فعلهما وتدبيرهما، وذلك أنا لم نجد اثنين إلا مختلفي الهمّ والإرادة، فإذا كانا اثنين ثم اختلف همّهما وإرادتهما وتدبيرهما وكانا كلاهما

مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه، فكان يكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد، ثم لا يكون أحد مطيعا لأحدهما إلا وهو عاص للاخر فتعم المعصية أهل الأرض، ثم لا يكون لهم مع ذلك السبيل إلى الطاعة والإيمان، ويكونون إنما أتوا في ذلك من قبل الصانع الّذي وضع لهم باب الاختلاف والتشاجر إذ أمرهم بإتباع المختلفين.

ومنها أنه لو كانا إمامين كان لكل من الخصمين أن يدعو إلى غير ما يدعو إليه صاحبه في الحكومة، ثم لا يكون أحدهما أولى بأن يتبع من صاحبه فتبطل الحقوق والأحكام والحدود.

ومنها أنه لا يكون واحد من الحجتين أولى بالنطق والحكم والأمر والنهي من الآخر، فإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يبتدئا بالكلام، وليس لأحدهما أن يسبق صاحبه بشيء إذا كانا في الإمامة شرعا واحدا، فإن جاز لأحدهما السكوت جاز السكوت للآخر مثل ذلك، وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطلت الحدود، وصارت الناس كأنهم لا إمام لهم.

فإن قال: فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول ؟ قيل: لعلل:

منها أنه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميز بها من غيره، وهي القرابة المشهورة، والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدى إليه بعينه.

ومنها أنه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل إذ جعل أولاد الرسل أتباعا لأولاد أعدائه، كأبي جهل وابن أبي معيط، لأنه قد يجوز بزعمه أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين، فيصير أولاد الرسول تابعين، وأولاد أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين، وكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق.

ومنها أن الخلق إذا أقروا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبر أحد. منهم عن أن يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاظم ذلك في أنفس الناس، وإذا كان في غير جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه أنه أولى به من غيره، ودخلهم من ذلك الكبر، ولم تسخ أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم دونهم، فكان يكون في ذلك داعية لهم إلى الفساد والنفاق والاختلاف.

فإن قال: فلم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأن الله تعالى واحد أحد ؟ قيل: لعلل: منها أنه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهموا مدبرين أو كثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأن كل إنسان منهم كان لا يدري لعله إنما يعبد غير الذي خلقه، ويطيع غير الذي أمره، فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر آمر ولا نهي ناه، إذ لا يعرف الآمر بعينه ولا الناهي من غيره.

ومنها أنه لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله، وفي أن لا يطاع الله عز وجل الكفر بالله وبجميع كتبه ورسله، وإثبات كل باطل، وترك كل حق، وتحليل كل حرام، وتحريم كل حلال، والدخول في كل معصية، والخروج من كل طاعة، وإباحة كل فساد، وإبطال لكل حق.

ومنها أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدعي أنه ذلك الآخر، حتى يضادّ الله تعالى في جميع حكمه، ويصرف العباد إلى نفسه، فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق [155].

وبالرغم من قيام بعض الجاهلين باتهامه لدى الإمام الهادي يقول: إن وصي إبراهيم خير من وصي رسول الله ، وهو أمير المؤمنين وكان ذلك خلافاً لرأيه، إلا أن الإمام الذي خطأ هذه الفكرة، ترّحم على الفضل[156] .

---

[155] / بحار الأنوار 6/ 63.

[156] / مجمع الرجال 5/ 22.

ولمعرفة أعداء أهل البيت بأهمية دور ابن شاذان على الصعيدين العقيدي والاجتماعي لذلك بدأوا يسترصدون له، فإذا كان عبد الله بن طاهر (القائد العباسي) قد طلبه ولم يستطع أن يدينه من فمه، فقد استعد عدد من غوغاء المتعصبين لاغتياله، وغالبا ما كان السيف الأهوج الذي لا يستطيع صاحبه رؤية شمس العلم المشرقة، غالبا ما كان ينهي المعادلة لصالحه.

وفرّ الفضل بن شاذان متواريا من حملة الخوارج الذين قدموا لاغتياله، وكان الوقت في صقيع الشتاء، عندما بلغ بالفضل التعب مبلغه، وهو على كبر سنه، لينتقل إلى رحمة ربه متواريا ماسكا الجمر بيده محافظاً على مذهبه..

ألم يعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين به بأنهم سيصلون إلى يوم: القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ينتقل من حجر إلى حجر ؟.

## 4- عبد الله بن جعفر الحميري القمي
## 237- 311 هـ

" الإيمان يماني والحكمة يمانية. ولولا الهجرة لكنت من اليمن ".

كلمات تؤثر عن رسول الله ، فتشير إلى ما تتمتع به هذه- المنطقة وسكانها من خصائص ومميزات. ولا يعني ذلك الإقرار بحتمية تأثير الوراثة أو الجغرافيا في المواقف والسلوك. إذ وجدنا أن من قبائل اليمن من وقفت إلى جانب الظالمين أو هادنت.. ولكن الطابع العام لعرب اليمن في التاريخ كان نصرة أهل البيت فقد أثر عن أمير المؤمنين قوله بعد ما رأى مواقف همدان:

فلو كنت باباً على باب جنة  لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وهكذا وجدنا خلص أصحابه من خزاعة والنخع، وكندة، ويظهر أن هذا الأمر كان شائعا آنئذ فقد كان معاوية يقول: إن نساء خزاعة لو تركت لقاتلنا، فضلا عن رجالها.

وعندما خرج الإمام الحسين ضد يزيد، نصحه بعض أصحابه أن لا يذهب إلى العراق، بل يتوجه إلى اليمن، حيث سيجد أنصارا هم على منهاج أبيه، ويتمتعون بزخم عاطفي قوي تجاه أهل البيت، وفوق ذلك هم أرجح الناس عقولا، فقد قال محمد بن الحنفية لأخيه الحسين:

(تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار، وإلا خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وأخيك وهم أرق وأرأف قلوبا وأوسع الناس بلادا وأرجحهم عقولا ..).

ومثله قال ابن عباس له، وقد أعرب عن هذه الحقيقة الطرماح بن عدي الطائي حين التقى به في الطريق، وقال ؟ ما هي إلا أيام حتى نبعث لك بالرجال من أجا وسلمى في طي.

وعندما واجه الحسين جيش الأمويين في كربلاء كان أكثر أصحاب الحسين من أهل اليمن، وعرب الجنوب [157].

وهكذا مع تتابع الأحداث وجدنا أن عرب الجنوب (اليمن) كانوا في الكوفة غالبا في خط أهل البيت، في مقاومة الباطل، وهم المسارعون إلى الثورات، وهكذا حين كان يذهب الدعاة إلى اليمن، التي حصلت فيها عدة ثورات وانتفاضات.

---

[157] / يراجع أنصار الحسين/ الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

ويستمر هذا إلى أن يقوم الأشعريون قبائل اليمن، فيهاجرون- على دفعات- وفي مناسبات مختلفة إلى قم، والري، فيؤسسونهما من جديد، وتبعث هاتان البلدتان من جديد، وتخرجان كنوزهما من الرجال حتى لقد كانت تضم قم في أيام العسكري فيما بعد آلاف المحدثين ورجال الأخبار والعلماء.

بل لقد أصبحت قم بعد هذا التاريخ، مركز الحديث، وأخذت ( تموّن ) الكوفة، وتزودها بما أثر عن أهل البيت من علم ومعرفة، بعدما كانت قم ( تلميذ ) مدرسة الكوفة، و"ضيف" موائدها العلمية.

ولهذا وجدنا أن عبد الله بن جعفر الحميري، وأصله كما هو واضح من حمير (اليمن)، وهو من أصحاب الإمامين علي الهادي وابنه الحسن العسكري، عندما قدم الكوفة سنة مائتين وتسعين ونيف، أقبل عليه الكوفيين ينتهلون من علمه، ويسمعون منه، حتى أكثروا، ويبدو أن عبد الله بن جعفر كان- كما هو شأن العلماء في مدرسة أهل البيت- متقدما في قومه، فهو شيخ القميين ووجههم، وهو المحترم عند وكلاء الأئمة فنراه عندما يجتمع مع أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وكيل الإمامين الهادي والعسكري، وسفير الإمام الحجة، ومعهما أحمد بن إسحاق يكون هو الواسطة حيث يسأل العمري.. لنسمع بقية القصة منه:

.. فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة، إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوما، فإذا كان ذلك رفعت الحجة وأغلق باب التوبة فلم يك ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، فأولئك أشرار من خلق الله عز وجل، وهم الذين تقوم عليهم القيامة، ولكني أحببت أن أزداد يقينا، وأن إبراهيم سأل ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، قال: أولم تؤمن ؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي وقد أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن (الهادي) قال: سألته وقلت من أعامل وعمن اخذ وقول من أقبل ؟ فقال له: العمري ثقتي، فما أدى إليك عني، فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون، وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد (العسكري) عن مثل ذلك فقال له: العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

فخر أبو عمرو ساجدا وبكى، ثم قال: سل حاجتك. فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد (العسكري) ؟!

فقال: أي والله ورقبته مثل ذا- وأومأ بيده-، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات. قلت: فالاسم ؟! قال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أحلل ولا أحرم، ولكن عنه عليه السلام فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يخلّف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له فيه، وهو ذا عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئا وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا [158].

وقد عرف الحميري عبد الله بن جعفر بكثرة التصنيف والتأليف، وهذه الصفة نجدها في أكثر أصحاب الأئمة خصوصا المتأخرين منهم (الرضا- الجواد- الهادي- العسكري) وهي مما يلفت النظر.. ولعل مرجع ذلك إلى أن الدور الأساسي- آنئذ- لهؤلاء حفظ الأخبار والأحاديث التي كانت بمثابة (محفظة التشريع) ولولاهم ربما كانت الأخبار والروايات الناقلة حالها حال الأخبار التاريخية المجهولة ولكان الإسلام من أفقر الأديان في تراثه الفكري ومحتواه العقيدي والتشريعي.

وربما لأجل هذا السبب كان أهل البيت يأمرون أتباعهم بالكتابة والتدوين ويؤكدون على هذا الأمر،

---

[158]/ الأصول من الكافي 1/ 330

بل عندما تعرض عليهم كتب أصحابهم يكثرون من الثناء عليهم وعلى كتابها، لما لهم من أثر في حفظ العقيدة والشريعة.
ومترجمنا، كان من هذا الصنف فله روايات كثيرة في الفقه (أكثر من 140 رواية) وقد صنف كتباً كثيرة منها:

1- كتاب الإمامة.
2- كتاب الدلائل.
3- كتاب العظمة والتوحيد.
4- كتاب الغيبة والحيرة.
5- كتاب التوحيد والبداء والإرادة والاستطاعة والمعرفة.
6- كتاب الطب.
7- كتاب قرب الإسناد إلى الرضا.
8- كتاب قرب الإسناد إلى أبي جعفر بن الرضا
9- كتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم.
10- مسائل الرجال ومكاتباتهم أبا الحسن الثالث (الهادي).
11- مسائل لأبي محمد الحسن (العسكري) على يد محمد بن عثمان العمري.
12- قرب الإسناد إلى صاحب الأمر.
13- مسائل أبي محمد وتوقيعاته.

## 5-اسماعيل بن علي النوبختي
## أبو سهل
## 237- 311 هـ

صور من عصر الخلافة:

(1)

واكتظت قصور ملوك بني العباس بالجواري اللاتي جلبن من أنحاء البلاد فكان للمتوكل العباسي أربعة آلاف جارية وقد قاربهن جميعا، وكان له جارية يهواها، ولا يصبر على فراقها فوقفت أمامه وقد كتبت على خدها بالغالية (جعفر) (اسم المتوكل) فتأملها ثم أنشأ يقول:

وكاتبة بالمسك في الخد جعفراً بنفسي حط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

وقال النويري: أنفق المتوكل في بناء قصوره مائة ألف دينار، وخمسين ألف ألف عينا ومائتي ألف ألف وخمسين ألف ألف (أي مائتين وخمسين مليون) وخمسمائة ألف درهم.
وكانت القصور سبعة.

(2)

وفي سنة (237) أوعز المتركل العباسي إلى العمال بهدم قبر الحسين فامتنع المسلمون عن ذلك، فأمر عددا هن اليهود على رأسهم الديربع. فاستجابوا له وهدموا كل بناء حول القبر.
وفي سنة (247) هـ بلغ المتوكل أن المسلمين قد أقبلوا بكثرة هائلة إلى زيارة مرقد الإمام الحسين فأنفذ إليهم جيشا كبيرا وأمر مناديه فنادى (أن برئت الذمة ممن زار قبر الحسين).

(3)

... وقال المتوكل لأبي العنبس: أخبرني عن حمارك ووفاته وما كان من شعره في الرؤيا التي أريتها قال: نعم يا أمير المؤمنين.. كان أعقل من القضاة، ولم يكن له جريرة ولا زلة، فاعتل علة على غفلة فمات منها، فرأيته فيما يرى النائم فقلت له: يا حماري ألم أبرد لك الماء، وأنق لك الشعير وأحسن إليك جهدي ؟! فلم مت على غفلة ؟ وما كان خبرك ؟ قال:
- نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا مرت بي أتان حسناء، فرأيتها فأخذت بمجامع قلبي فعشقتها واشتد بها وجدي فمت كمدا متأسفا. فقلت له: يا حماري فهل قلت في ذلك شعرا ؟! قال: نعم وأنشدني:

هام قلبي بأتان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان..

فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار. وفرح في ذلك اليوم فرحا شديدا، وسرّ سرورا لم ير مثله وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته [159].
لقد كان هذا الوضع- عزيزي القارئ- الذي وصلت إليه الخلافة،وهي التي كان يفترض أنها منصب الرسول وخلفائه الحقيقيين. وانحدرت إليه يوما بعد يوم، ودرجة بعد درجة، هو الحصاد المر، للزرع الآثم، ذلك أن زاوية الانحدار والميل ولو كانت في مبدأ أمرها صغيرة وغير محسوسة، ولا تتجاوز درجة واحدة على مسطرة الزوايا، إلا أن الزمان كلما تقدم، فإن الانحراف يزداد، وجنين السفاح الذي كان نطفة، أصبح اليوم طفلا، وغدا يكون جبارا عنيدا " ثم احتلبوا ملء العقب دما عبيطا وزعافا ممقراً مبيداً، يدع فيئكم حصيداً، وجمعكم بديداً ".
أجل وصلت الحالة، أن الخليفة يوزع أموال المسلمين، وما حصلوا عليه بعرقهم وبدمائهم، لصالح حمار أبي العنبس!! وبينما ينفق الملايين على قصوره وبذخه يأمر بتخريب قبر الحسين.
وإذا وجد الخليفة له فترة صحو من الشراب، ومن غناء المغنين فتلك الفترة ملك للجواري، ولعبادة الشهوة.
وفي المقابل كان شيعة أهل البيت ينيرون في كل يوم شمعة في طريق المهاجرين إلى الله، وبالرغم من سوء ظروفهم الحياتية والمعاشية، فهم مطاردون، و" مغضوب عليهم " من قبل الحاكمين. فإنهم كانوا لا يفترون عن تبليغ أحكام الله، والدفاع عن العقيدة.
علم الكلام من أهم العلوم، بل أهمها، لأنه لما كان يناقش أمور المبدأ والمعاد، وما يرتبط بالتوحيد، كان تسرب الشبهات، والأفكار الأجنبية من خلاله أسهل من غيره وأشد خطورة لأنه يضرب الأساس العقيدي للإنسان.. يضاف إلى ذلك فإن البناء الذي يبنى في الفروع والأحكام، إنما يعتمد على الأسس التي تثبت في علم الكلام.
ولأهمية هذا العلم، وتأثيره في حفظ العقيدة، فقد انتدبوا بعض أصحابهم ليتكلموا، ويناظروا أصحاب العقائد المختلفة، ويبينوا الحق لطالبه، ومدحوهم بأنهم أنصار حق أهل البيت، وحراس العقيدة، والمرابطون على الثغر الأعظم، بينما منعوا من لا يحسن، ولا يملك المستوى المناسب، من ولوج هذا الباب.

---

[159] / مروج الذهب 4.

وكان أبو سهل النوبختي، (شيخ المتكلمين ووجههم، ومتقدم النوبختيين في زمانه)، مع ملاحظة أن النوبختيين كانوا قد اشتهروا بالكلام، والعلوم الفلسفية، والعقلية، وقد تتلمذ عليه جماعة في هذا منهم الشاعر الناشئ الصغير علي بن عبد الله، فبرع في الكلام والمناظرات.

ولعل نظرة سريعة إلى عناوين كتبه تبين هذا الجانب، حيث أنها تدور حول عناوين: الرد، والمناظرة في التوحيد والنبوة والإمامة، وكان قد صنف فأكثر. فمن كتبه:

1- كتاب الصفات للرد على أبي العتاهية في التوحيد في شعره.
2- في استحالة رؤية القديم.
3- حدوث العالم.
4- التوحيد.
5- الإرجاء.
6- النفي والإثبات.
7- الرد على اليهود.
8- الرد على المجبرة في المخلوق.
9- الخصوص والعموم والأسماء والأحكام.
10- الإنسان والرد على ابن الراوندي.
11- التنبيه في الإمامة.
12- الجمل في الإمامة.
13- الرد على محمد الأزهر في الإمامة.
14- الاحتجاج لنبوة النبي.
15- الأنوار في تاريخ الأئمة.
16- الرد على الواقفة.
17- الرد على الغلاة.
18- مجالسة مع أبي علي الجبائي.
19- مجالس ثابت بن أبي قرة.
20- النقض على عيسى بن أبان في الاجتهاد
21- نقض مسألة أبي عيسى الورّاق.

وكان أبو سهل النوبختي قد روى النص على إمامة الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، بل قد رآه في حياة أبيه الإمام الحسن العسكري، ومع أنه كان في ذهن بعض الشيعة أنه مؤهل ليكون سفيرا للإمام الحجة، بل حتى عند نفسه أيضا مما يعلم منه مقدار منزلته، إلا أنه حين ولّي الحسين بن روح مهمات السفارة عن الإمام المهدي، وبالرغم مما يثيره هذا الأمر من حالات تنافس، وحسد، وصلت عند البعض إلى حدّ الخروج عن دائرة الأخلاق وأحيانا الإيمان، ووصلت بهم حدّ الانحراف، إلا أن أبا سهل النوبختي، يكون أول شهود نص السفير الثاني محمد بن عثمان على السفير الثالث وهو الحسين بن روح النوبختي..

بل إنه أكثر من ذلك يوجد التعليل المناسب لتعيين الحسين بن روح دونه، فقد أجاب عندما سئل عن سبب تعيين الحسين سفيرا للإمام، دونه- وهو من الفضل بمكان-: بأن الأئمة أعلم بما يختارون ولكن الحسين أقدر على الكتمان، وإخفاء اسم الإمام، ومكانه، بينما هو أي أبو سهل حينما تضغطه الحجة، وهو كثير المناظرة، لربما تكلم بمكان الإمام (عج).

بهذه الصورة من التجرّد، والصفاء الأخلاقي يواجه أبو سهل النوبختي المسألة بينما يتظلم غيره- على الأقل- في أنه حجب عنه حقه، وحيل بينه وبين موقعه، أو يكفر آخرون بالإمام والقائد لهذا السبب.

بل إنه أكثر من هذا، دافع بقوة عن موقع السفارة، وعن السفير النوبختي أمام أدعياء السفارة، فحين أظهر الحسين الحلاج انحرافه وادعى أنه سفير الإمام طمع في أن يلقى العون من الشخصيات المعروفة في محيط أتباع الأئمة، لكي تنجح خطته، وكان من الطبيعي أن يتوجه إلى أبي سهل، لأنه لو صار معه، فإنه يستطيع استقطاب الكثيرين فأرسل إلى أبي سهل: إني وكيل صاحب الزمان وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريد من النصرة لك لتقوى نفسك ولا ترتاب في أمرك.

فردّ عليه أبو سهل النوبختي مستهزءا به وساخرا منه إني أسألك أمراً يسيرا يخف عليك مثله في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين (!!) وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن (!!) ولي منهن عدة أتحظاهن والشيب يبعدني عنهن وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك وإلا انكشف أمري عندهن فصار القرب بعداً والوصال هجراً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته وتجعل لحيتي سوداء (!!) فإنني طوع يديك وصائر إليك وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة!!.

فلما سمع ذلك الحلاج منه، وعرف جوابه، علم أنه قد أخطأ في مراسلته وأمسك عنه ولم يرد إليه جوابا، ولم يرسل إليه رسولا، وصيره أبو سهل رضوان الله عليه أحدوثة وضحكة، عند كل أحد. وشهّر أمره عند الصغير والكبير [160].

الإمام الحجة(عج)

1- عثمان بن سعيد .
2- محمد بن عثمان .
3- الحسين بن روح .
4- علي بن محمد السمري .
5- هل تكون الخامس .

الإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه

255 هـ - حيّ باق

ولد الإمام الحجة (عجل الله فرجه) سنة: 255 هـ

تتفق جميع الديانات السماوية على فكرة المنقذ المنتظر، الذي يبعثه الله سبحانه في آخر الزمان لكي يزيل الفساد والجاهلية، ويرد الخلق إلى طريق الله عز وجل. ويتفق المسلمون على وجه الخصوص على أن الأرض لا تخلو من حجة ودليل وأن الله لم يكن ليهمل خلقه، بل للطفه بهم لا بد أن يجعل لهم طريقا يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية.

تواترت الأخبار عن النبي عن المهدي، وأنه من ذرية الرسول، من ابنته فاطمة وأحفاد الحسين عليه السلام ، وأنه الثاني عشر من الأوصياء.. وقد ورد من طرق السنة قرابة الأربعمائة- حديث على اختلاف تعابيرها ومن طرق الشيعة أكثر من ذلك. منها قوله : " لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ".

[160] / بحار الأنوار 51/ 370.

لما كان قد شاع الخبر واستفاض أن الإمام الحجة صاحب الثورة العالمية هو من أبناء الإمام العسكري فقد سعى العباسيون- آنئذ- للقبض عليه حين يولد والقضاء عليه، لذلك قام والده الإمام العسكري بإخفائه، وتغييبه منذ ولادته، بينما قام الحكم العباسي بعدة مداهمات واقتحامات لبيت الإمام، وفرض رقابة حتى على النساء لمعرفة من تلد منهن،( والله غالب على أمره ) فلم يستطع أولئك الحاكمون أن يطفئوا نور الله.

تولى مقاليد الإمامة بعد شهادة والده الإمام العسكري، وظل يقود أتباعه من خلال سفرائه الأربعة: عثمان بن سعيد العمري، ثم ابنه محمد، وبعده الحسين بن روح النوبختي وأخيرا علي بن محمد السمري، في فترة الغيبة الصغرى التي امتدت 74 سنة، كما كان له أيضا عدد آخر من الوكلاء - دون منزلة السفراء- كإبراهيم بن مهزيار- وابنه محمد، وأحمد بن إسحاق الأشعري القمي، والقاسم بن علاء وغيرهم.

قبيل وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري، خرج من الإمام توقيع يخبر فيه أنه قد بدأت الغيبة الكبرى، وأنه لن يوجد بعد هذا سفير مباشر، وإنما يقوم العلماء والفقهاء بمسؤولية قيادة الناس على خط الإمام المنتظر عجل الله فرجه.

يمر على غيبته منذ أن غاب حتى الآن ألف واثنان وتسعون عاما من الزمان، البشرية تنتظر خروجه، لإصلاح العالم. وليس هذا العمر الطويل بمستغرب، بعدما ثبت وجوده بالأدلة العقلية والنقلية، وبعدما تم تأسيس أصل عقلي دلت عليه الأخبار من أن الأرض لا تخلو من حجة، وبعدما لم يكن تطبيق أحاديث (من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية ) إلا على البيعة معه وعلى نهجه، في هذا الزمان، وبعدما قامت الأدلة على وجود نظائر وأشباه لهذا العمر الطويل كنبي الله نوح (1300 عام) وآدم (930 عاما) وأهل الكهف والخضر حيث لا يزال حيا بإجماع المسلمين.

وجوده وهو غائب لا يعني انقطاع بركاته وخيره عن الأمة، بل إنه يبقى أمل المؤمنين كلما اشتدت عليهم المحن وسدت عليهم البلايا الطريق، كما أن المؤمنين حين يشعرون أنهم تحت مراقبة إمام يشهد أفعالهم، فإنهم يقومون بما يعتقدون أنه يرضي الإمام من عمل.. ولعل تشبيه الأئمة لذلك بأن الإمام الغائب هو (كالشمس إذا جللتها السحب) تشبيه دقيق فهي وإن اختفت عن فئة من الناس في الأرض إلا أنها ظاهرة على آخرين، وهكذا الإمام فإنه وإن اختفى عن فئة من الناس، فإنه يظهر لفئة أخرى من الأولياء.

بعدما يأذن الله له بالفرج، فيخرج، فإنه يقود ثورة عالمية يقضي فيها على مصادر الظلم والنفاق والفساد وآنئذ بشرى لهذه الأرض التي تكون قد (وأشرقت الأرض بنور ربها)، فتعم فيها الخيرات فالوعي والمعرفة تزداد (حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله) و (يقسم المال صحاحا بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله)، وتحتفل الأرض والسماء بمهرجان العدل العظيم فـ (ترسل السماء عليهم مدرارا، ولا تدع الأرض شيئا من نباتها إلا أخرجته) و (تزيد المياه في دولته، وتمد الأنهار، وتضاعف الأرض أكلها). وإذا كانت مشكلة الأمن في العالم اليوم هي الأولى، فإن في عصر الإمام المهدي (عج) (تخرج العجوزة الضعيفة من المشرق تريد المغرب، لا يؤذيها أحد).

إن واجب المؤمنين في عصر الغيبة، الدعاء للإمام بالحفظ وتعجيل الفرج ، والعمل على منهجه ومنهج آبائه ، والاستعداد لظهوره ، والتمهيد لدولته .

## 1- عثمان بن سعيد العمري

عاصر عثمان بن سعيد طغيان المتوكل ثم نهايته بتلك الصورة المعروفة حيث اختلط لحمه بلحم وزيره الفتح بن خاقان واختلط دمه بالخمر المسال من قنانيه، على يد الأتراك الذين اصطنعهم

لقمع أعدائه فإذا بهم يخمدون أنفاسه، ضمن مؤامرة دبرها ابنه المنتصر ونفذها وصيف وبغا والجنود الأتراك.

وبالرغم من أن المنتصر الذي خلف أباه حاول الاستفادة من تجارب آبائه بتجنبها والإحسان إلى الناس، إلا أن الأتراك بلغوا من القوة والنفوذ بحيث كانوا هم الحكام الحقيقيين، ينصبون هذا خليفة اليوم فإذا لم يرُق لهم خلعوه في الغد، وهكذا.. أمروا طبيبه طيفور ففصده بريشة مسمومة وتوفي فورا.

كما شهد عهد المستعين الذي بقدر ما كان خاضعا وضعيفا أمام الأتراك فقد كان عنيفا على أهل البيت وشيعتهم. حتى أصدر أمرا اعتقل بموجبه الإمام الحسن العسكري .

وقتل المستعين بعد أن سجن، ونصب الأتراك هذه المرة المعتز ابن المتوكل، ولأنه لم يستطع تلبية كل طلباتهم لذلك قتلوه.

وهكذا كانت الخلافة الإسلامية، أشبه بلعب الأطفال يبدأون معا ثم لا يلبثون أن يختلفوا فيتصارعوا، فيغيّر كل واحد منهم صاحبه- إن استطاع- وأضيف إليها في هذه اللعبة القتل.

وكان الجامع لهؤلاء (الخلفاء) بعض أهل البيت والعداء لهم..

وهل يعجب الخفافيشَ ضوءُ الشمس ؟!.

على الصعيد الآخر وبينما كان الخلفاء هؤلاء غارقين في مؤامراتهم ومخامراتهم، تاركين سفينة الأمة تضطرب، وهم الذين يدعون قيادتها كان أئمة أهل البيت يوجهون دفة الدين إلى حيث أراد الرسول.

وبقدر ما كان قمع السلطات عنيفا، يتمثل في السجن ومحاولات القتل، فقد كان عمل أهل البيت دقيقا ذلك أنه مع حراجة الظرف المتزايد يوما أثر يوم كان لا بد من طريقة جديدة في توجيه الأتباع، وتعويد الناس على مفاهيم الغيبة وتنظيم الأوضاع على أساس عدم الحضور الدائم للإمام بين الجمهور.

فقد بدأ الإمام الهادي يحتجب أحيانا عن الناس، وأكثر الإمام العسكري من ذلك.. " وحيث اتخذ الإمام العسكري مسلك الاحتجاب كان إلى نظام الوكالة أقرب وله ألزم واتخذه بشكل يشمل أكثر الأمور أو جميعها مما يتصل بأمور المجتمع حتى في داخل المدينة التي يسكنها الإمام نفسها فكانت عامة اتصالاته وتوقيعاته والأموال التي تصل إليه، ماعدا القليل، يتم عن طريق الوكلاء "[161].

نهل من معين ثلاثة من الأئمة (علي الهادي، والحسن العسكري، والإمام الحجة) . وكانت نفسه مكانا طيبا لتلك التعاليم فأنتجت وكيلا فوق مستوى الوثاقة.

كان يمارس دور الوكالة منذ أيام الإمام الهادي ، وكان يمثله في كل أموره، وقد أحال الإمام عليه وكلاءه الآخرين لكي يأخذوا منه، لأن كلام العمري هو كلام الإمام كما يقول عليه السلام، فقد وفد أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي وكان وافد القميين وقم آنئذ كانت إحدى المراكز المهمة للتشيع وأتباع أهل البيت وأحمد بن إسحاق كان وكيل الإمام في قم وهو على مستوى عال من المعرفة والوثاقة، وفد على الإمام الهادي ، فقال له: يا سيدي أنا أشهد وأغيب ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت (لكون الإمام في سامراء).. فقول من نقبل وأمر من نمتثل ؟!.

فقال الإمام : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه فعني يؤديه.

قال أحمد بن إسحاق فلما مضى أبو الحسن (الهادي) وصلت إلى ابنه أبي محمد الحسن العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي

---

[161] / تاريخ الغيبة الصغرى 227.

(الهادي) وثقتي في المحيا والممات فما قاله لكم فعني يقوله وما أدى إليكم فعني يؤديه) [162].

وبالتالي فقد كان منذ أيام الإمام الهادي وكيلا وقائدا، وكان يدير شؤون القواعد في مدينة بغداد، وقد تحول بالتدريج إلى وكيل مركزي عام، كان يفد عليه الأتباع من أماكن أخرى.

ولإخفاء اتصاله بالأئمة وإخفاء اتصال المنتمين به، كان يتخذ تجارة ( بيع الدهن والسمن) حتى عرف بها فيقال له أحيانا (السمان) أو (الزيات). وذلك أن الأتباع كانوا ينفذون إليه حوائجهم من مسائل وأموال وغيرها، وهو بدوره يقوم (بتعليبها) وإخفائها في زقاق السمن، ويوصلها إلى الإمام العسكري .

وزاد الاعتماد على عثمان بن سعيد أيام الإمام العسكري نظرا لقرب غيبة الإمام المنتظر (عج) وتحول القيادة إلى الشكل غير المباشر، لذلك كان الإمام العسكري دائم التأكيد عليه، فإضافة إلى ممارسته للوكالة تلك الفترة، فقد عينه إمام أربعين من كبار شيعته كوكيل عام ونائب عن الإمام، فقد اجتمع أربعون رجلا من شخصيات الشيعة آنئذ إلى الإمام العسكري ، ليسألوه عن خليفته من بعده، فقال لهم الإمام مبتدئا: أخبركم بما جئتموني به ؟! قالوا نعم: فقال جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي !

قالوا: نعم فإذا غلام كان قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد.

فقال (الإمام العسكري): هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا في أديانكم ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر.

هذا وكان عثمان بن سعيد جالسا مع القوم، فاستطرد الإمام قائلا..

فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه[163] .

ويشير أيضا إليه في رسائله إلى وكلائه الآخرين، لكي ينتهوا إلى قوله ويسمعوا منه، ففي كتابه إلى إسحاق النيسابوري أشار إليه أن لا يخرج من المدينة إلا بعد أن يلتقي بالعمري وأن يرتبط معه، خصوصا وأن كل المسائل التي تأتي من الفروع ستصل إليه [164].

وحين يأتي جماعة من أهل اليمن بقصد الاتصال بالإمام ، يرسل الإمام إليهم عثمان بن سعيد باعتباره مندوباً تام الصلاحية، لرؤية ما لديهم. فعن محمد بن اسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل على خادمه بدر فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال: نعم هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن.

عندها قال الإمام لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري فما لبثنا إلا يسيرا حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد: امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال [165].

توفي رضوان الله عليه بعد خمس سنوات من بداية الغيبة الصغرى، وقد أبّنه الإمام الحجة عجل الله فرجه، فقد خرج التوقيع إلى ابنه محمد بن عثمان، من الإمام:

(إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليما لأمره ورضاء بقضائه، عاش أبوك سعيدا ومات حميدا فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه ، فلم يزل مجهدا في أمرهم وساعيا فيما يقرّبه إلى الله عز وجل وإليهم،

---

[162] / الغيبة/215

[163] / الغيبة/217.

[164]/ اختيار معرفة الرجال 575.

[165] / الغيبة/216.

نضر الله وجهه وأقاله عثرته.
.. أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزئت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولدا مثلك يخلفه بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه، وأقول الحمد لله فإن الأنفس طيبة لمكانك وما جعله الله فيك وعندك أعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا ..) .

## 2- محمد بن عثمان بن سعيد العمري
## توفي سنة 252 هـ

نشطت سوق أدعياء النيابة بعد غيبة الإمام الحجة، ذلك أن مقام الوكالة وما كان يوفّره من موقع اجتماعي متميز بين الناس لصاحبه، كونه باب الإمام، والعارف بالحلال والحرام يجعله محط أنظار المؤمنين في حوائجهم ومسائلهم، وإذا كان هذا المقام فيما مضى مهما بدرجة معينة فقد ضاعفت غيبة الإمام عن الأنظار، مقام الوكيل أضعافاً كثيرة. إذ بينما كان هناك عدة طرق لدى الأتباع والمنتمين الوصول إلى الإمام، فقد انحصر الطريق حين غيبة الإمام بهذا النائب. وأيضا ما كان يوفره هذا الموقع من إمكانية للثراء لمن أراد الاستفادة منه، لشخصه ذلك أن جموع المؤمنين وهي تعتقد بعدم شرعية النظام القائم كانت تمتنع عن دفع خمس مالها وزكاته لجباة هذا النظام ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولا تجد ذلك مجزيا، أو مقبولا، لأن هذا النظام لا يمثل الرسول.. وكانت تحاول إيصال تلك الحقوق الشرعية إلى الأئمة كونهم امتداد الرسول وإلى وكلائهم ونوابه.
يضاف إلى ذلك أنه كان من مصلحة الحكومة القائمة التشويش على أتباع أهل البيت بفسح المجال أمام أدعياء الوكالة والنيابة، لكي يختلط بالصادق الكاذب..
وكاد الأمر يختلط بالفعل، إلا أن مشيئة الله سخرت لهذا المنهج رجالا أكفاء، حملوا على عاتقهم هذه المسؤولية وتصدوا لمحاولات الانتحال والتزوير، وفوتوا على أصحابها محاولاتهم تلك بل فضحوهم، وأسقطوا بين الملأ شخصياتهم ببيان كذبهم.
وكان من بين هؤلاء الرجال الأكفاء محمد بن عثمان العمري الذي تولى النيابة عن الإمام المنتظر مدة طويلة وصلت إلى أربعين سنة.
ذلك أنه تحمل هذه المسؤولية منذ وفاة والده (السفير الأول) عثمان بن سعيد، بنص الإمام الحجة عليه، بعد إشارات تقدمت من الإمام العسكري في حياة أبيه، فقد خرج التوقيع إليه بعد وفاة والده (.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. تسليماً لأمره ورضاء بقضائه عاش أبوك سعيدا ومات حميدا فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه فلم يزل مجتهدا في أمرهم ساعيا فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم نضر الله وجهه وأقاله عثرته.
.. كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولدا مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه وأقول الحمد لله فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله فيك وعندك أعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا) [166].
بل إن محمدا كان يتحمل بعض المسؤوليات القيادية المرتبطة بوالده فقد كانت التوقيعات والأوامر

[166] / الغيبة/ 220.

تخرج على يد أبيه عثمان، وعلى يده إلى سائر الشيعة، وكان ذلك معروفا بين الأتباع بحيث لم يختلف الأمر على أحد بعد وفاة الأب وتحمل الابن لمسؤولية السفارة إنما (كانت الشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن وبعد موته وفي حياة أبيه عثمان رحمة الله عليه).

يضاف إليه أن كتاب الإمام الحجة (عج) في التعزية بأبيه والذي تقدم ذكره كان كتاب تنصيب وتعيين له وقد خرج إلى الوكلاء (المحليين) توقيعات من الإمام في شأن محمد بن عثمان، تدعيما لموقفه، وتأكيدا لسفارته، فقد خرج إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار (وكيل في الأهواز) بعد وفاة الأب في شأن الابن: (.. وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب - رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه- يجري عندنا مجراه ويسر مسره وعمن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانته إلى قوله، وعرف معاملتنا ذلك).

وكان مركزا إدارته- وكأبيه- في بغداد، ونظرا لاتساع رقعة العمل، وتعدد المراجعين فقد أنشأ له هيئة تدير الأعمال، ففي بغداد وحدها كان هناك عشرة وكلاء تابعون له من بينهم الحسين بن روح النوبختي، (السفير الثالث) وجعفر بن أحمد بن متيل، والذي كان قد اختص به بحيث ( كان في آخر عمره لا يأكل طعاما إلا ما أصلح في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه بسبب وقع له)، وعبر هؤلاء كان يدير أعماله المختلفة.

ونظرا لطول فترة سفارته لذلك كثر حديثه فيما يرتبط بالإمام وغيبته، فقد سأله عبد الله بن جعفر الحميري وهو وافد القميين، وشيخهم والمفوض من قبلهم، سأله: أرأيت صاحب هذا الأمر ؟! فقال: نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول اللهم أنجز لي ما اللهم انتقم لي من أعدائي.

ويؤكد له: والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم (الحج) كل سنة فيرى الناس ولا يرونه ويعرفهم ولا يعرفونه [167].

ولا شك أن لهذه الأحاديث والتأكيدات أكبر الأثر في الحفاظ على الأمل في تغيير الواقع الفاسد، وفي تثبيت العقيدة فيما يرتبط بالإمام الغائب (عج)، كل ذلك مع الحفاظ على ما يقتضيه الوضع من تحفظ أمني في غاية الصراحة، فبالرغم من شدة إلحاح القواعد على رؤية الإمام ومعرفة مكانه واسمه، إلا أن ذلك لم يكن مسموحا به، ليس فقط المكان بل حتى الاسم، فهناك العديد من الأحاديث الناهية عن البحث عن الاسم لأن ذلك إن حصل أذيع، وإذا أذيع فقد قدمت خدمة (معلومات) مجانية للسلطة التي كانت تستفيد من أية معلومة تؤدي إلى الإمام المهدي (عج)، لذلك عندما يسأل أحد المؤمنين محمد بن عثمان عن الاسم يقول له: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي وليس لي أن أحلل وأحرم ولكن عنه عليه السلام، فإن الأمر عند السلطان إن أبا محمد (الحسن العسكري) مضى ولم يخلف ولدا وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له، وصبر على ذلك، وهؤلاء عياله يجولون وليس أحد يجرأ أن يتعرف إليهم أو يسألهم شيئا وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتقوا الله وأمسكوا من ذلك [168].

ولقد كان الأمر مشددا في هذه القضية من قبل الإمام (عج) فقد خرج إلى محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، ابتداء ومن دون مسألة ليخبر الذين يسألون الاسم أما السكوت والجنة وأما الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه وإن وقفوا على المكان دلوا عليه [169].

---

[167] / إكمال الدين 4/ 440.

[168] / الغيبة/229.

[169] / الغيبة/222.

وكان أبو جعفر محمد بن عثمان قد اتخذ لنفسه قبرا، ينزل فيه كل يوم فيقرأ جزءا من القرآن فيه، ثم يصعد ليمارس شؤون الدنيا بروح الذاهب للآخرة، ويعيش كأنه سيموت غدا، حتى جاء يوم، اعتل أبو جعفر وزادت عليه علته، ونزل في ذلك القبر للمرة الأخيرة في سنة 252 هـ.

## 3- الحسين بن روح النوبختي
## أبو القاسم

لكي يركز موقعه بين الشيعة بحيث لا يستطيع من يريد الخلاف، ذلك، فقد كان محمد بن عثمان (السفير الثاني) يشير إلى الحسين بن روح، ويحول بعض مهمات السفارة إليه ويكلفه بإدارة بعض شؤون الأتباع المالية وغيرها.

فقد وجه أبا جعفر محمد بن علي الأسود بما يحمل من أموال، إلى أبي قاسم بن روح وذلك قبل موت العمري بسنتين، وكنت أطالب أبا القاسم بالقبوض (أوراق القبض) فأمرني أبو جعفر العمري بأن لا أطالبه بالقبوض، وقال كل ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إلي. كذلك الحال بالنسبة إلى أبي عبد الله جعفر بن عثمان المدائني، فقد وجهه كذلك إلى أبي القاسم، فترددني الذهاب إليه، ثم مشى فلما بلغ بعض الطريق عاد إلى أبي جعفر العمري، فقال له العمري غاضبا:- ما الذي جرأك على الرجوع ولِمَ لم تمتثل ما قلته لك ؟! فقال: لم أجد على ما رسمته لي.. فقال له وهو مغضب قم عافاك الله فقد أقمت أبا القاسم الحسين بن روح مقامي ونصبته منصبي فقال له: بأمر الإمام ؟ ! فقال العمري: قم عافاك الله كما أقول لك.. فلم يكن عنده غير المبادرة إلى أبي القاسم وتسليم ما لديه من أموال وغيرها.

ونظرا لوجود عدد من كبار أصحاب الإمام، وبعضهم كان من وكلاء العمري، والمقربين إليه، لذلك كان من الضروري أن يتم التأكيد على أبي القاسم الحسين بن روح وخصوصا أن هؤلاء أو بعضهم (كانوا أخصّ بالعمري من أبي القاسم بن روح حتى أنه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب ينجزه على يد غيره) وبعضهم كان يرى أنه (إن كانت حادثة لا تكون الوصية إلا إلى جعفر

بن مثيل). ولعله لهذا السبب وجدنا أن أكثر أدعياء السفارة من الكاذبين إنما نشطوا على عهد الحسين بن روح، مثل ابن هلال العبرتائي، والشلمغاني، وابن هلال، لذلك حرص أبو جعفر محمد بن عثمان أن يؤكد وكالة الحسين بن روح قطعا للطريق على منتهزي الفرص، فقد جمع وجوه الشيعة وشيوخها من بيته قبيل موته، وقال لهم: إن حدث علي حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم بن روح النوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه.

وفي مرة أخرى جمع عددا آخر من الشيعة منهم أبو علي بن همام وأبو عبد الله بن محمد الكاتب وأبو عبد الله الباقطاني (الذي ادعى الوكالة والسفارة فيما بعد) وأبو سهل اسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن الوخباء وغيرهم من الوجوه والأكابر فدخلوا على أبي جعفر، فقالوا له: إن حدث أمر من يكون مكانك ؟! فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر والوكيل والثقة الأمين فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت.

وقد كان يمتلك من أساليب التقية، والتكتيك في استقطاب الخصوم الباع الواسع، وكانت آثار تلك الأساليب تتضح في تقريب الناس إلى منهج أهل البيت، فقد كان الجميع يحب أبا القاسم، فقد روى أبو عبد الله بن غالب قال ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يوما في دار ابن يسار وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم وكانت العامة أيضا تعظمه، وكان أبو القاسم يحضر تقية وخوفا وعهدي به وقد تناظر اثنان، فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ثم عمر ثم علي، وقال الآخر بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم رضي الله عنه الذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي وأصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر في المجلس متعجبا من هذا القول وكان العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم وكثر الدعاء له والطعن على من يرميه بالرفض.

فوقع عليّ الضحك فلم أزل أتصبر وأمنع نفسي وأدسّ كمي في فمي فخشيت أن أفتضح، فوثبت عن المجلس ونظر إلي فتفطن لي فلما حصلت في منزلي، فإذا بالباب يطرق فخرجت مبادرا فإذا بأبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه راكبا بغلته، قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره فقال لي: يا أبا عبد الله- أيدك الله- لمَ ضحكت ؟! أفأردت أن تهتف بي كأن الذي قلته عندك ليس بحق ؟!.

فقلت: كذاك هو عندي. فقال لي: اتق الله أيها الشيخ فإني لا أجعلك في حل، تستعظم هذا القول مني ؟!.

ففلت: يا سيدي رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول لا يتعجب منه ويضحك من قوله هذا ؟!.

فقال لي: وحياتك لئن عدت لأهجرنك وودعني وانصرف.

وقد مر سابقا أنه لحسن استخدامه لهذه الأساليب كان يدخل عليه عشرة وهم تسعة يعادونه وواحد يشكك فيه، فيخرجون، متأثرين به، تسعة يتقربون إلى الله بمحبته وواحد يشكك، وذلك لأنه يعطيهم حسب عقولهم، ويجاريهم في كلامهم، ويمتنع عن ذكر ما يغلظ عليهم فهمه. هذا وقد كان على مستوى رفيع من الملكات النفسية التي أهلته لأن يصبح الوكيل العام للإمام عجل الله فرجه، بحيث لو قرض بالمقاريض وكان الحجة تحت ذيله ما كشف عن ذيله، كما قال أبو سهل النوبختي عنه. ويلاحظ أن السفراء وإن كان دورهم الأساسي أن يكونوا قناة بين الإمام وشيعته- إلا أنهم كانوا عارفين بالأحكام الإسلامية، بحيث يلبون احتياجات الناس، بأجوبة رائعة.

فقد سأل أحد المتكلمين ويسمى (ترك الهروي) أبا القاسم قائلا:

كم بنات رسول الله . فقال:أربع.

قال الهروي: أيهن أفضل ؟! قال: فاطمة.
قال: لم صارت أفضل وكانت أصغرهن سنا وأقلهن صحبة لرسول الله ؟!.
قال: لخصلتين خصها الله بهما تطولا عليها وتشريفا وإكراما لها: إحداهما أنها ورثت رسول الله ولم يرث غيرها من ولده، والأخرى أن الله تعالى أبقى نسل رسول الله منها ولم يبقه من غيرها، ولم يخصصها بذلك إلا لفضل إخلاص عرفه من نيتها.
(قال الهروي): فما رأيت أحدا تكلم وأجاب في هذا الباب بأحسن ولا أوجز من جوابه.
امتدت فترة سفارته (21) سنة، فقد ابتدأت بوفاة أبي جعفر العمري
عام (305) هـ وانتهت بوفاته في سنة 326هـ.

## 3/ علي بن محمد السمري
## توفي 329 هـ

للمجتمعات درجات نضج في تعاملها مع قيادتها.. فهناك درجة ابتدائية لا تعبر عن نضج كاف، وهي حين تطلب الأمة من القيادة، خوارق العادات، وما لا يستطاع حتى تؤمن بها وتتبعها، وإن لم تستجب لذلك فلن- تتبعها، (.. وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ). فهي لا تكتفي بوجود القائد، ودعوته لما يصلح أمرها، بل لا بد له من المعاجز، والقضايا الغيبية.
وهناك درجة أخرى أرقى، وهي حين تكون مسيرة الأمة مرتبطة بوجود القائد (النبي أو الإمام) ومتوقفة على التعامل معه بشكل مباشر، فلو ذهب فإن الأمة تتراجع، وتنحرف عن المسيرة ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم.. ). بل إن هذه المجتمعات قد لا تستجيب لنائب الرسول والإمام ووكيله مادام القائد نفسه موجودا، إذ تكون قد تعودت على التعامل مع شخص القائد.
والدرجة الأرقى والعليا في التنظيم الاجتماعي، والنموذج في العلاقة بين القيادة والأمة. أن تتعامل الأمة مع القائد حين وجوده فتطيعه وتلتزم بأوامره، وحين غيبته تتعامل مع برنامجه وأفكاره من خلال نوابه ووكلائه، والأمة حين تصل إلى هذا المستوى تأمن الهزات الناتجة عن غياب القائد.
وقد وصلت القاعدة الشيعية في زمن الإمام الحسن العسكري، وابنه الإمام الحجة، إلى المستوى الأفضل في هذا الجانب، فقد نشطت حركة الوكلاء في إدارة مناطق أتباع الأئمة [170]. ولعل هذا هو السبب الرئيسي في حفظ كيان التشيع بالرغم من سنوات القمع وأحكام الجور على امتداد أحد عشر قرنا من الزمان.
وقد رسم الإمام الحسن العسكري بتوجيهه " وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا " منهجا لشيعة أهل البيت يسيرون عليه، كما قام بتنفيذه عبر نصب الوكلاء والإرجاع إليهم.
ولهذا فلم تسبب غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) الصغرى ارتباكا خطيرا في صفوف شيعته، بل أدار عملية التوجيه أربعة من سفرائه ونوابه خلال فترة امتدت سبعين عاما.. وكان آخرهم علي بن محمد السمري.
ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم يجد شيعة أهل البيت من بركات هذا التوجيه، ما لا سبيل إلى حصره.. فقد لا نجانب الحقيقة لو قلنا أن النظام الديني والاجتماعي الذي يحكم علاقة القاعدة المؤمنة والملتزمة في الشيعة، بقيادتها من العلماء والفقهاء هو أقوى الأنظمة الموجودة في عالمنا

[170] / يراجع نظام الإدارة الدينية/ للمؤلف.

الإسلامي. ولعل العديد من النهضات والحركات الإصلاحية التي وفقت إلى تحقيق أهدافها في عالم التشيع، بينما فشلت نظيراتها في تحقيق ذلك، إنما يعود سبب نجاحها إلى هذا العامل.

وربما وجدنا أيضا لهذا السبب كانت الحرب مسعرة ضد العلماء والفقهاء، وفي سبيل ضرب هذه العلاقة، ولكن لما كان التوجيه من قبل الأئمة قد أكسب القضية جانبا دينيا، كان من العسير أن ينفصل الأتباع المؤمنون عن قيادتهم وعلمائهم.

وكان الإمام العسكري قد مهد الأرضية لهذه الحالة، عن طريق الاحتجاب عن شيعته، وإرجاع الشيعة إلى وكلائه، وكانت ظروف المراقبة والقمع العباسي، تفرض التأكيد على هذا الأسلوب أيضا، ولذلك ما أن غاب الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه، إلا وقد كان الشيعة قد تعودت على التعامل مع الوكلاء، إذ أن قولهم هو قول الإمام، وما أداه إليهم فعن الإمام يؤديه، وهذا يبين الدرجة العالية التي وصل إليها هؤلاء الوكلاء والسفراء في معرفة توجهات الأئمة، وبرامج عملهم، وأفكارهم، كما يبين مستوى الأمانة والوثاقة التي كانوا عليها.. وهذا الأمر كان واضحا للمعاصرين لهم، من علماء أهل البيت فقد سئل أبو سهل النوبختي عن سبب اختيار الحسين بن روح النوبختي، دونه للسفارة من قبل الأئمة ، فأجاب: هم أعلم بما يصنعون، وأنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم فلو ضغطتني الحجة، وكنت أعلم بمكانه، لعلي كنت أدل عليه، وأما أبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله، وقرض بالمقاريض لما كشف عنه.

وعلى قاعدة قيادة السفراء والوكالة للمؤمنين، بدأت الغيبة الصغرى للإمام المنتظر عجل الله فرجه منذ ولادته، بإخفاء والده الإمام الحسن العسكري إياه، إلا عن خواص الخواص- وقد ذكرنا ذلك في ما مر- .

واستمرت مدة (74) أربعة وسبعين عاما هي فترة سفارة عثمان بن سعيد العمري، ثم ابنه محمد بن عثمان، ثم الحسين بن روح النوبختي، وأخيرا علي بن محمد السمري..

وبعد أن قام علي بن محمد السمري بمهمة السفارة العامة بين الإمام المنتظر عجل الله فرجه، وبين شيعته مدة ثلاث سنوات أي بدءا من سنة وفاة أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، ها هو الآن يتوقع رحيله عن هذه الدنيا، بل أنه أخبر من قبل الإمام بذلك ليجمع أمره، وأخرج إلى المؤمنين توقيعا من الإمام الحجة (عج):

" بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام. فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " [171].

وبعد ستة أيام اجتمع المؤمنون، في بيت علي بن محمد السمري حيث كانوا على موعد مع رحيل السفير الرابع، وسأله بعض الجالسين: من وصيك بعدك ؟ فقال: لله أمر هو بالغه.

يمر الزمان، وفي بطنه كل يوم جديد سيء، ذلك ( فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير )، يجرب هذا الإنسان كل ما لديه من قدرة، وحيلة، ومن فكر أيضا، لكن لن يصلح آخر هذا الخلق إلا بما صلح به أولهم، فكما أنقذهم الله بنبيه محمد بعد الحيرة، وطول الأمد وقسوة القلوب، لن يتم لهم النجاة في الأخير إلا حين يأذن الله لوليه محمد وابن نبيه ليملأها عدلا، تماما كما أخبر النبي.

---

[171] / المقصود بالدعاء المشاهدة هنا، المشاهدة مع ادعاء السفارة أو الوكالة المباشرة والخاصة، فمن يدعي هذا بعد السفراء الأربعة فلا إشكال في كذبه وافترائه. لا مطلق المشاهدة، إذ من الثابت أن كثيرا من العلماء والأولياء قد التقوا به عجل الله فرجه.

" المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقا وخلقا، تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ".

**5/ هل تكون الرجل الخامس حول المهدي ؟!**

غدا.. عندما تشرق الشمس، تنتفض الأرض ملقية عن صعيدها الطيب، أوحال البشر وقذارات الفساد .. هل ستكون على الموعد ؟! هل ستكون- عزيزي القارئ- من أولئك الرجال الذين يجتمعون كما يجتمع قزع الخريف ؟ هل أنت من رجال الغيب الذين سينفون ما في الشهود من باطل ؟! هل أنت جزء من بشرى الأنبياء والأولياء ؟! هل ترجو أن تكون من أصحاب الألوية ؟ أم من الأصحاب ؟ أم من الأنصار ؟!.

هل ستشارك في صناعة الأرض الطاهرة من الدماء ؟ بعدما شارك غيرك في سقيها من دماء النفوس البريئة ؟ وتشارك في تحقيق الأمن لهذه البشرية المعذبة ؟!.

هل ستستجيب لدعوة الداعي حين ينادي: هلموا إلى بيعة الله، فقد خرج المهدي.

هل ستكون من الذين وعدهم الله (ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) ؟!.

إذا أردت ذلك فما عليك إلا أن تتعرف على صفات هؤلاء الأصحاب الذين سيكونون مع الإمام المهدي، في ثورته العالمية المرتقبة التي بشر بها الأنبياء. فهلم معي- عزيزي القارئ- في نهاية مطافنا لنتعرف على صفاتهم، من أجل أن نسعى لتحقيق تلك الصفات في حياتنا.. ولنقرأ معا هذا النص الذي يسجل صفاتهم:

عن الإمام الصادق :

(.. ورجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات الله أشد من الجمر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براية بلدة إلا أخربوها، كأن على خيولهم العقبان، يتمسحون بسرج الإمام ، يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد، فيهم رجال لا ينامون الليل لهم دوي كدوي النحل، يبيتون قياما على أطرافهم ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار.

هم أطوع من الأمة لسيدها، كالمصابيح، كأن قلوبهم القناديل وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله. شعارهم يا لثارات الحسين . إذا ساروا سار الرعب أمامهم مسيرة شهر.. "[172] .

وأول ما يلفت النظر ني صفات أولئك الرجال: الوعي والمعرفة، فهم ليسوا رجالا عسكريين كالذين نعرفهم، لا يعرفون غير السلاح والحديد.. وإنما هم " رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته " كما جاء في الحديث ولأنهم كذلك فمواقفهم واضحة، وهم على بينة من أمرهم، لا يدعون لشيطان

[172] / تاريخ ما بعد الظهور ص 497.

الشك مجالا بينهم وقلوبهم " لا يشوبها شك في ذات الله ".

قوة القلب والشجاعة، فبالرغم من أنهم يقومون بمهمة التغيير العالمي الكبرى، ويواجهون بالتالي معسكر الفساد كله صفا واحدا، إلا أن ذلك، لا يخيفهم بل إن قلوبهم وحماسهم (أشد من الجمر ).. ولا شك أن لوجودهم في صف الإمام الحجة يكسبهم قوة فوق قوتهم ذلك أنه:( إذا قام قائمنا كان الرجال من محبينا أجرأ من سيف وأمضى من سنان ) وكأن الأنصار هؤلاء ينتظرون خروج القائد إذ لا حركة كاملة لهم بدونه " فإذا هز رايته لم يبق مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد"، ومع ملاحظة التعبير الكنائي الذي يوجد في الرواية، يمكن لنا معرفة ما لوجود الإمام من الأثر النفسي والمعنوي الهائل في قلوب المؤمنين، فإنه " يضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد).

التميز الروحي والعبادي، إذ أن المهمة بقدر ما هي ثقيلة وصعبة فإن الزخم العبادي، والارتباط بالله ينبغي أن يكون بنفس المستوى، فإذا كان المطلوب (أسد بالنهار) فلا بد أن يكونوا (رهبان الليل).

وأما طاعتهم لقائدهم، فإنهم فيها (أطوع من الأمة لسيدها)، وأنهم لعمق إيمانهم به، يتمسحون بسرج الإمام ويتبركون به، ويحفون به ويفدونه بأنفسهم، وإذا ما أراد شيئا فإنهم يسارعون إلى تنفيذه.

وإذا كان الشعار لدى كل جماعة يختصر اهتماماتها، ودوافع حركتها فإن شعار أصحاب الإمام الحجة ، والرمز بينهم هو " أمت ، أمت " و" يالثارات الحسين عليه السلام " ، فالأول هو شعار الرسول في غزواته ، بينما الثاني هو عنوان الثورات العلوية المواجهة لحكومات الجور والطغيان ، على امتداد التاريخ .

المصادر بعد القرآن الكريم

(أ)


1- الأخبار الطوال- ابن قتيبة الدينوري- منشورات الشريف الرضي – قم إيران .
2- الأصول من الكافي – ثقة الإسلام الكليني – قم ايران .
3- الأمالي – الشيخ محمد بن النعمان المفيد – المكتبة الإسلامية – قم إيران .
4- الاختصاص – الشيخ محمد بن النعمان المفيد – جامعة المدرسيين – قم إيران .
5- أعيان الشيعة – السيد محسن الأمين – دار التعارف – بيروت – لبنان .
6- الإمامة والسياسة – لابن قتيبة .
7- الإمام الصادق – محمد الحسين المظفري – دار الزهراء – بيروت – لبنان .
8- أنصار الحسين – الشيخ محمد مهدي شمس الدين .


(ب – ت )


9- بحار الأنوار – المولى محمد باقر المجلسي - مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان .
10- تنقيح المقال – العلامة الشيخ عبدالله المامقاني – المكتبة المرتضوية – النجف .
11- تاريخ الرسل والملوك – ( تاريخ الطبري)- دار الاستقامة – القاهرة .
12- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام – السيد حسن الصدر – شركة النشر والطباعة- بغداد .


(ج-ح-خ)


13- جابر بن حيان – د. زكي نجيب محمود – مكتبة مصر – القاهرة .
14- حياة الإمام الحسن (ع) – بقر شريف القرشي – مؤسسة الوفاء- بيروت .
15- حياة الإمام الهادي (ع)- باقر شريف القرشي- دار الأضواء – بيروت .
16- الحياة الشخصية عند أهل البيت- فوزي آل سيف - دار البيان العربي- بيروت .
17- الخطيب الشحشح- محمد مرهون – دار الفردوس- بيروت .


(ر-س-ش)


18- رجال السيد بحر العلوم- السيد مهدي بحر العلوم – منشورات الشريف الرضي- قم .
19- الروضة المختارة – صالح علي الصالح – منشورات الشريف الرضي- قم .
20- رجال الكشي( اختيار معرفة الرجال ) الشيخ الطوسي- منشورات أهل البيت .
21- سيرة ابن إسحاق- ابن إسحاق .
22- السيرة النبوية- ابن هشام – منشورات الشريف الرضي.
23- شرح نهج البلاغة –ابن أبي الحديد المعتزلي- دار الكتب العربية – القاهرة .
24- سفينة البحار – الشيخ عباس القمي- مكتبة السنائي- قم .


( ص-ط-ع-غ)


25- الطبقات الكبرى- ابن سعد- دار صادر- بيروت .
26- ضحى الإسلام – أحمد أمين – بيروت .
27- عوالم العلوم/ حياة الإمام الحسن – الشيخ عبدالله البحراني – مدرسة الإمام المهدي (عج)- قم .
28- الغدير – العلامة الأميني- بيروت .
29- الغيبة – شيخ الطائفة الطوسي- مكتبة ناصر خسرو- طهران .


(ك-م)


30- الكامل في التاريخ – ابن الأثير محمد بن محمد الشيباني- دار صادر – بيروت .
31- كمال الدين وتمام النعمة- للشيخ الصدوق- جامعة المدرسيين – قم .
32- مختصر تاريخ العرب- سيد أمير علي .

33- مروج الذهب ومعادن الجواهر- المسعودي .
34- مقاتل الطالبيين- أبو الفرج الأصفهاني- دار الكتاب- قم .
35- مقتل الحسين(ع) – أبو مخنف الأزدي .
36- مقتل الحسين (ع)- السيد عبد الرزاق المقرم – مكتبة الداودي- قم .
37- معجم رجال الحديث- آية الله السيد الخوئي- منشورات مدينة العلم – قم – ايران .
38- مقدمة ابن خلدون- عبد الرحمان بن خلدون- دار ومكتبة الهلال- بيروت .
(ن-و)
39- النصرة في حرب البصرة – الشيخ المفيد محمد بن النعمان- منشورات الداودي- قم .
40- نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الأمامية – فوزي آل سيف - دار البيان العربي- بيروت .
41- وفيات الأعيان – ابن خلكان- منشورات الشريف الرضي .

الفهرس

الموضوع ..... الصفحة
الإمام الباقر (ع)
محمد بن علي الباقر (ع) .....
1- زيد بن علي بن الحسين (ع) .....
2- محمد بن مسلم بن رياح الثقفي .....
3- جابر بن يزيد الجعفي .....
4- سديف بن مهران المكي .....
5- الكميت بن زيد الأسدي .....
الإمام الصادق (ع)
جعفر بن محمد الصادق (ع) .....
1- محمد بن علي بن النعمان الصيرفي .....
2- هشام بن الحكم .....
3- زرارة بن أعين الشيباني .....
4- جابر بن حيان الكوفي .....
5- إسماعيل بن محمد الحميري .....
الإمام الكاظم (ع)
موسى بن جعفر الكاظم (ع)
1- بهلول بن عمر الصيرفي .....
2- محمد ابن أبي عمير الأزدي .....
3- الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن السبط (ع) .....
4- الخليل بن أحمد الفراهيدي .....
5- علي بن يقطين البغدادي .....
الإمام الرضا (ع)
علي بن موسى الرضا (ع) .....
1- يونس بن عبد الرحمان .....

2- صفوان بن يحيى البجلي .....
3- الحسين بن سعيد الأهوازي .....
4- يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن .....
5- دعبل بن علي الخزاعي .....
الإمام الجواد (ع)
محمد بن علي الجواد (ع)
1- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت .....
2- علي بن مهزيار الأهوازي .....
3- زكريا بن آدم الأشعري القمي .....
4- إبراهيم بن هاشم الكوفي القمي .....
5- أحمد بن محمد بن خالد البرقي .....
الإمام الهادي (ع)
علي بن محمد الهادي (ع) .....
1- محمد بن علي الهادي (ع) .....
2- السيد عبد العظيم الحسني .....
3- علي بن جعفر الهماني .....
4- أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل .....
5- سعد بن عبدالله الأشعري .....
الإمام العسكري (ع)
الحسن بن علي العسكري (ع) .....
1- داوود بن القاسم الجعفري .....
2- أيوب بن نوح بن دراج النخعي .....
3- الفضل بن شاذان النيسابوري .....
4- عبدالله بن جعفر الحميري القمي .....
5- إسماعيل بن علي النوبختي .....
الإمام الحجة(عج)
الإمام محمد بن الحسن المهدي (عجل الله فرجه) .....
1- عثمان بن سعيد .....
2- محمد بن عثمان .....
3- الحسين بن روح .....
4- علي بن محمد السمري .....
5- هل تكون الخامس .....
المصادر .....
الفهرس .....